دراسات فى

تاريخ إسبانيا والبرتغال فى العصور الوسطى

دكتور محمد محمود النشار

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

كليـة الآداب - جامعـة طنطـا

الطبعة الأولى

٢٠٠٧م



عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

ÉIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

٥ شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع تليفون وفاكس ٣٨٧١٦٩٣

Publisher:EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES
5, Maryoutia St ., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693
E-mail : dar_Ein@hotmail.com
book ein @ yahoo.com
web site: WWW.Dar -Ein.com الموقع الالكترونى

إهداء

إلى أساتذتى الأجلاء الذين أدين لهم بالفضل :

أ.د. أسامة زكى زيد
أ.د. جوزيف نسيم يوسف
أ.د. حسنين محمد ربيع
أ.د. زبيدة محمد عطا
أ.د. السيد عبد العزيز سالم
أ.د. عصام الدين عبد الرءوف الفقى

إلى أصدقائى الأعزاء :

أ. أسامه محمد عبد المجيد
أ. أشرف عبد الحميد الفكهانى
أ.د عادل عبد الحافظ
أ.د. عاطف عبد المقصود
أ.د. محمد أحمد محمد
أ. محمد صلاح الدين يونس
أ. مختار حفناوى

(حسب الترتيب الهجائى)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أقدم للباحثين والمهتمين بالدراسات التاريخية لشبه الجزيرة الأيبيرية عدة دراسات تخص تاريخ إسبانيا والبرتغال فى العصور الوسطى محاولا سد ثغرة فى الدراسات الإسبانية والبرتغالية والتى أهملها الباحثون العرب خاصة وأن جل اهتمامهم كان موجهًا إلى الدراسات الخاصة بالمسلمين فى الأندلس والتعرض لتاريخ الممالك المسيحية الاسبانية والبرتغال فقط فيما يخص ما يرونه من أحداث علاقتهم بالمسلمين ، معتمدين فى هذه الدراسات على المصادر العربية والقليل جداً من المصادر الإسبانية والنادر من المصادر البرتغالية.

حقيقة أن دراساتى تشمل فى أكثرها العلاقات بين الممالك المسيحية والبرتغال بالمسلمين فى الأندلس ؛ ولكن اعتمدت على الاطلاع بتوازن على المصادر الاسبانية المذكورة لها وللبرتغال الحصول على أكبر قدر ممكن من هذه المصادر .

والجدير بالذكر أن المصادر الاسبانية والبرتغالية سدت فجوات فى الروايات التاريخية الاسلامية - مع وفرتها ودقتها- إلا أنه على سبيل المثال في الفترة ١٢١٧م إلى ١٢٥٠م استولت البرتغال على العديد من المدن والقلاع والأراضى ووصلت بحدودها إلى ساحل البحر جنوبًا . ولم تشر المصادر الاسلامية إلى سقوط هذه القواعد إلا بذكر كلمة وسقطت كذا وكذا دون تفاصيل . وقد اعتمدنا فى بحثنا عن «دور الصليبيين فى استيلاء البرتغاليين على مدينة قصر أبى دانس ٦١٤هـ / ١٢١٧م » وفى البحث الآخر عن «استيلاء البرتغاليين على المدن والقلاع الإسلامية فى غرب الأندلس ١٢٢٦-١٢٥٠م» على المصادر البرتغالية، حيث أفاضت المدونات البرتغالية فى ذكر غزوات ملوك البرتغال وأحداث الاستيلاء على القواعد والمدن الأندلسية فى غرب الأندلس لما لها من أهمية فى تاريخ مملكة البرتغال . ومعظم هذه المدونات وضعت بأيدى رهبان ورجال دين تحت رعاية ملوك البرتغال وكانت هذه الغزوات وعمليات الاستيلاء من وجهة نظرهم هى تسجيل بطولات لهؤلاء الملوك وأعمالهم ، ولذلك كانت تهتم بذكر الكثير من التفاصيل.

ومن ثم كان علينا مقارنة الروايات ومحاولة تفنيدها وتنقيتها وعرضها عرضا تاريخيا يتوافق مع الأوضاع السائدة آنذاك سواء أكانت فى مملكة البرتغال أو الممالك المسيحية الأخرى (أراجون وقشتالة) والمسلمين فى شبه الجزيرة وخاصة فى غرب الأندلس.

والجدير بالذكر أن مملكة البرتغال لم تجد اهتماما من الباحثين فى دراسة تاريخها وهى ميدان بكر للدراسات التاريخية ؛ ولكن لابد من معرفة اللغة البرتغالية والتى لاتجد اهتمامًا بتعلمها فى العالم العربى ولايوجد (فيما أعلم) قسم ، أو مركز لتدريس اللغة البرتغالية فى الجامعات المصرية والعربية.

وهذا ما دفعنى إلى الخوض فى هذه الدراسات وفتح مجالات لمحاولة دفع الباحثين إلى الاهتمام بتاريخها ، ومما هو جدير بالذكر أن دراساتى فى تاريخ البرتغال وخاصة بداية من دراساتى عن تأسيس مملكة البرتغال قد شدت اهتمام البرتغاليين مما دفع السفير البرتغالى إلى طلب مقابلتى وشجع اهتماماتى بتاريخ البرتغال . وقد اهتمت أيضا الأكاديمية الدولية للثقافة البرتغالية وضمتنى إلى عضويتها ونشرت حولية الأكاديمية الدولية للثقافة البرتغالية موسوعاتها عام ١٩٩٥-١٩٩٦ لكل من أسهم اسهامات فى التاريخ والثقافة البرتغالية وأفردت لنا صفحة ٢٨٥ عن أبحاثى.

أما بالنسبة لتاريخ إسبانيا المسيحية فقد تعرضنا لثلاثة أبحاث أولها يخص «حركة الاسترداد فى عهد فرديناند الأول ملك قشتالة وليون ١٠٣٥-١٠٦٥م والذى نجح فى الاستيلاء على العديد من المدن والقلاع الاسلامية فى فترة سقوط الخلافة الأموية وقيام دول الطوائف المتنازعة والتى كانت نكبة للمسلمين فى الأندلس وبداية الانهيار للوجود الاسلامى فى الأندلس . وقد تبلورت حركة الاسترداد على يدى فرديناند الأول فيصير أول وأكبر من حقق إنجازات ضخمة ضد المسلمين أضافت إليه شهرة كبيرة بين ملوك الممالك المسيحية . وفى نفس الوقت يعتبر عهده حدا فاصلا بين مقاومة الإسبان والدفاع عن وجودهم وكيانهم وتطور فكرهم من الاستعداد لتغيير استراتيجياتهم وبداية الهجوم وتنفيذ حركة الاسترداد بشكل ملموس وصدق واضح وكل ذلك لما حدث للمسلمين من سقوط الخلافة الأموية وأنقسامهم وتناحرهم فيما بينهم.

والثانى بعنوان « سياسة بدرو الثانى ملك أراجون فى جنوب فرنسا (١١٩٦-١٢١٣م) وتوضح تشابك تاريخ مملكة أراجون مع تاريخ جنوب فرنسا وقد نجح بدرو فى تأكيد وتوسيع

أملاك ونفوذ مملكته فى جنوب فرنسا إلا أن ظهور الحركة الألبجنسية وإزدياد نشاطها ، فبدأ النفوذ الأراجونى يتهاوى فيها ، ولم تلبث أن ضاعت تلك الأملاك.

والبحث الثالث «محاولات مملكة أراجون فى الاستيلاء على مملكة نابولى ونتائجها (١٤١٦-١٤٥٥م) حيث نجح الفونسو الخامس فى الاستيلاء على مملكة نابولى بعد محاولات عديدة (دفعته إلى ذلك الأحداث التى تمر بها صقلية وجنوب ايطاليا من نزاعات مختلفة فى الوقت نفسه اهتمام مملكة أراجون بتوسيع نفوذها ونشاطها التجارى خاصة وأن صقلية خضعت لسيطرتها فى أواخر القرن الثالث عشر ، وبعد نجاح الفونسو الخامس فى الاستيلاء عليها أقام مملكة مهمة اهتم فيها بالعلوم والفنون مما دفع البعض إلى تلقيبه بالعالم تشبها بألفونسو العاشر ملك قشتالة .

بالإضافة إلى بحث عن الدراسات الحديثة فى الربع الأخير من القرن العشرين عن تاريخ البرتغال فى العصور الوسطى، وهى دراسة وتقييم لمؤلفات حديثة تناولت تاريخ البرتغال فى الربع قرن الأخير باللغات المختلفة ما بين البرتغالية والاسبانية والإنجليزية والفرنسية ، وهى دليل للباحثين عن البرتغال فى تلك الفترة .

وإلى إصدار قريب يتناول تاريخ اسبانيا والبرتغال كتاريخ عام متكامل إن شاء الله .

والله ولى التوفيق

د. محمد النشار

القاهرة ٢٠٠٦م



(١)

حركة الاسترداد فى عهد فرديناند الأول

ملك قشتالة وليون

١٠٣٥-١٠٦٥م / ٤٢٦-٤٥٧هـ

اختلف المؤرخون فى تحديد مفهوم كلمة حركة الاسترداد[١] "La Reconquista" هل هى تشمل مقاومة كل غاز لشبه الجزيرة الأيبيرية من القوى الأجنبية ، التى نزحت إليها أم أنها تقتصر على مقاومة المسلمين، الذين فتحوا شبه الجزيرة (٧١١م) حتى طردهم منها وانتهاء وجودهم السياسى فى ١٤٩٢م. والواقع أن الرأى الثانى هو الفكرة السائدة لدى معظم المؤرخين ، حيث أن القوى الأجنبية الأخرى، اشتركت فى بعض الصفات والديانات مع أهالى شبه الجزيرة الأيبيرية ، انتهت باندماجهم معا وأصبح سكان أسبانيا خليط من هذه الشعوب، ولذلك كان الرأى السائد والأرجح هو الحروب التى شنها الأسبان لطرد المسلمين من الأندلس[٢].

١- كان الإطار الأول لمفهوم حركة الاسترداد يعنى جهود الإسبان وكفاحهم ضد القوى الأجنبية المختلفة، التى تقاطرت على شبه الجزيرة منذ بداية عهد الفينيقيين حتى انتهاء الوجود الإسلامى بها (حسين مؤنس، فجر الأندلس، القاهرة ١٩٥٩م، ص٣١٠). أما الإطار الثانى، هذه الحروب التى شنها الإسبان ضد المسلمين فى الأندلس منذ (٧١١-١٤٩٢م) واستمرت زهاء ثمانية قرون حتى إنهاء وجودهم السياسى بالأندلس .
Martin, Jl: La Peninsula en la Edad Media, Barcelona 1978, p. 229 .

٢- حقيقة أن هناك بعض الاعتراضات على استخدام مصطلح حركة الاسترداد ولكن يجوز استخدامها لأن هذه الحروب شنها الإسبان على أساس أنهم يستردون ما فقدوه إلى حوزة المسيحية مرة أخرى ولهذا أطلقوا عليها هذه التسمية، وجدير بالذكر أن ابن الخطيب استخدم هذا المفهوم عندما أشار فى كتابة أعمال الاعلام عن وضع المسلمين بعد سقوط الخلافة بقوله «ومن لدن تفرقة شمل الإسلام وانشقت عصاه- وتبددت كلماته ولم يكن هم عدو الإسلام إلا استرجاع البلاد والأقطار» أعمال الإعلام، بيروت ١٩٥٦، تحقيق / ليفى بروفنسال ، ص٤١ .

وأنظر تحليلنا لهذه الحروب هل هى حركة استرداد أم حروب صليبية، محمد النشار: البابوية وفرنسا على مسرح الحروب الصليبية فى الأندلس - مجلة اتحاد المؤخين العرب، ١٩٩٦م، «ندوة الإطار التاريخى للحركة الصليبية ص٣-٤ .

وجدير بالذكر أنه إذا كان المؤرخون قد أشاروا إلى بداية حركة الاسترداد ، عندما أحرز «بلاى» انتصارا فى مناوشة مع المسلمين، فى معركة كهف كوفادونجا[٣] Covadonga ، إلا أنها لم تكن ظاهرة ملموسة إلا فى عهد الملك فرديناند الأول حيث خطا بها خطوات كبيرة، جعلته لأول مرة يفرض كملك مسيحى سيطرته السياسية على المسلمين فى شبه الجزيرة الايبيرية، اعتماداً على انقسامهم وظهور دويلات الطوائف بعد سقوط الدولة الأموية فى ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م، وما تلاها من نشوب المنازعات والمنافسات والحروب بينهم.

حقيقة أنه عقب سقوط الخلافة مباشرة، كانت وفاة سانشو الكبير ١٠٣٥م ملك نافار ، وتوزيع المملكة على أبنائه الأربعة [٤]، ونشوب الحروب الأهلية بين أولاده والتى استمرت فترة طويلة [٥]، حتى نجح الملك فرديناند الأول ملك قشتالة وليون فى السيطرة على مملكة أبيه، ومن ثم بدأ يفرض سطوته السياسية والعسكرية على المسلمين، من خلال حروبه للاستيلاء على أراضيهم بمدنها وقلاعها .

٣- بالغ المسيحيون فى إطفاء أهمية كبيرة على هذه المعركة واعتبروها بداية حقيقة لانتصارات الإسبان والواقع أنها أضفت عليها الكثير من الهالات والأساطير وهى لم تكن إلا مناوشة أو غارة مسيحية على فرقة إسلامية ولمزيد من التفاصيل عن هذه المعركة أنظر:

Cronica de la corona de Aragon, Barcelona, 1919, p.1 حسين مؤنس، بلاى وميلاد استوريس، فصلة من مجلة كلية الآداب- المجلد الحادى عشر- الجزء الأول- مايو ٩٤٩م، ص٩-١٠ .

٤- كان قد أعطى جارثيا مملكة نافار وفرديناند مملكة قشتالة وجليقية وراميرو مملكة أراجون وجونزالو مقاطعتى سوبراب وريباجورث .

- Cronica de la Corona de Aragon, p.5; Principe de Viana Cronica de los Reyes de Navarra, Valencia 1971, pp. 58-61 ; Zurita , J.: Anales de la Corona de Aragon, Ti, Zaragoza 1976, pp. 52-60 ; CF. also: Caalaghan, J.E.: A history of Medieval Spain, London 975, p.94 .

٥- كانت قد بدأت هذه الحروب بمقتل جونزالو، فضم مقاطعتى سوبراب وريباجورث إلى مملكة أراجون، ثم قامت الحروب بين راميرو، الذى كان يطمع فى مملكة نافار ضد أخيه جارثيا ، وبدأت الحروب سجالا بينهم ثم انتقل الصراع بين نافار وقشتالة وهى أطول وأشهر هذه الحروب، حتى انتهت ١٠٥٤م بمقتل جارثيا ، وأصبح فرديناند له الكلمة العليا على الممالك المسيحية فى شبه الجزيرة الايبيرية، ولمزيد من التفاصيل عن هذه الحروب انظر: =

وجدير بالذكر أن الصورة العامة لحركة الاسترداد ، والملك فرديناند ، تأتى من خلال التفاعلات والعلاقات مع الممالك الإسلامية الأربع الرئيسية المجاورة له آنذاك: وهم بنو ذى النون فى طليطلة ، وبنو هود فى سرقسطة ، وبنو الأفطس فى بطليوس ، وبنو عباد فى أشبيلية ، فقد تشابكت العلاقات بين هذه الممالك الأربع ما بين حروب وتحالفات ، تغيرت وتبدلت فيها المواقع مما جعل فرديناند ينتهز الفرصة ويتدخل مرة متحالفا مع أمير ضد آخر ، ومرة لحسابه الخاص حيث اعتمد فى تنفيذ سياسته الاستردادية على تشجيع الخصومات وتأجيجها بين الممالك الأربع، والسعى إلى الكسب على حسابها حتى حقق أكبر الإنجازات.

وجدير بالذكر أن سياسته تجاه دول الطوائف فى فترة حكمه تنقسم إلى قسمين : الأولى الفترة من ١٠٣٥م وحتى ١٠٥٥م حيث كان مشغولا بالحروب الأهلية مع أخوته، ومحاولات توحيد مملكة أبيه ، ولذلك كانت علاقته بالمسلمين علاقة مراقبة وحذر، وتدخل فى النزاعات ، وفرض الجزية دون الاهتمام بضم مدن وقلاع إسلامية إلى أراضيه بشكل ملموس، أما بالنسبة للقسم الثانى وهى الفترة من ١٠٥٥م إلى وفاته ١٠٦٥م ، فقد قام خلالها بشن حملات عسكرية هدفها الأساسى الاستيلاء على الأراضى والمدن والقلاع الإسلامية . ويمكن القول أن حركة الاسترداد قد تبلورت بشكل ظاهر ملموس فى هذه الفترة.

أما بالنسبة لعلاقته بالمسلمين فى الفترة الأولى من حكمه (١٠٣٥م- ١٠٥٥م) فإنها عاصرت - كما أشرنا - سقوط الخلافة الأموية، وبداية عصر دول الطوائف ، فقد أصبح فرديناند ملكا على قشتاله بعد وفاة أبيه [٦]، وبعد ذلك بسنتين سطع نجمه حيث ضم مملكة

- Cronica Najerensa, Valencia 1966.pp. 95-96 ; Cronica Navarras, Vcalencia 1964 , p. = 26 ; Primera Cronica general de España, Editorial gredos 1955, pp. 484-485 ; cf . Also: Herculano, A, Historia de Portugal, TI, Lisboa 1980, [[. 221-222 .

- محمد عبدالله عنان، دول الطوائف ، القاهرة ١٩٨٣، ص٣٧٨: ٣٨١ .

٦- تعتبر أول نشأة لقشتالة عندما أصبحت كونتية مستقلة عن المملكة الليونية الاشتورية على يد فرنان جونثالث Fernan Gonzalez عندما كافح ضد الملك راميرو من أجل استقلاله بحكمها فى منتصف القرن العاشر الميلادى.

- Martin, Op. cit ., pp.203-205 .

ليون إلى حكمه ، خاصة بعد مقتل صهره برمود الثالث، فى موقعة تامارون Tamaron ١٠٣٧م ، التى أعقبها بحصار مدينة ليون واقتحامها ، واحتفل بوضع التاج على رأسه، وأصبح بذلك أقوى حكام الممالك المسيحية الاسبانية حيث كان أخوته الثلاثة يحكمون ممالك صغيرة المساحة (٧).

وقد نشبت الحروب الطويلة بين الملك فرديناند وأخيه جارثيا ملك نافار ولم يغب خلالها عن ذهن الملك فرديناند ممالك دول الطوائف ، وما بينها من حروب ونزاعات (٨)، ومحـــاول

= - دوزى : المسلمون فى الأندلس- الجزء الثانى، ترجمة د. حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤، ص٤٠-٤٥ .

ولكنها انتقلت إلى حكم سانشو الكبير ملك نافار ، الذى كان متزوجا من البيرة أخت جارثيا ابن سانشو جارثيا، كونت قشتالة ، حفيد فرنان جونثالث وعندما تلقى جارثيا مصرعه فى ليون استولى سانشو على قشتالة بصفته وريث لعرشها عن طريق زوجته، وندب لحكمها ولد فرديناند الأول .

- Tarapha, F.: Cronica de España , Barcelona 1562, p.11; C.F. also : Valdeon : J.: El Reino de Castilla en la Edad Media Bilbao 972, pp. 26-27 ; Riu : R.M., Manual de Historia de España edad Media 7-5, Madrid 989, p. 208 .

- عنان، دول الطوائف ، ص٣٧٧ . وهناك رأى لبالدون يذكر أن فرديناند قد لقب بكونت ، وكان تابعا لأخيه جارثيا ملك نافار، وأنه لم يتلقب بلقب ملك إلا فى ١٠٣٧م عندما ضم ليون ،

- Valdeon, Op. cit., p. 2-9 .

٧- كان الملك سانشو الكبير قد طمع فى مملكة ليون، ونجح فى انتزاع الكثير من أراضيها. وعندما رأى النبلاء فى ليون ضعف ملكهم برمود ، أقنعوه بمهارة أن يزوج أخته سانشا بفرديناند ابن الملك سانشو، وأهداهما كدوطة للزواج الأراضى ما بين سيا cea ونهر بيسورجو Pisuergo ولكن بعد وفاة الملك سانشو تنكر برمود لوعوده، وأراد أن يسترد ما أهداه إلى أخته، وعندما علم فرديناند دعى أخاه جارثيا ملك نافار والتقوا فى معركة تامرون، التى هزم فيها برمود ، وجرح، ثم توفى متأثرا بجراحه .

- Rodrigo , Jimenez de Roda : Historia de las hechos de España , Madrid 1982, p.227 ; Anales Complutense. C.L.R. Ti Valencia 1913 , p. 323 . C.F. also : Callaghan , Op cit ., p. 136 ; Fernandez, L.S.: Historia de España, Edad Media, Madrid 1970, p. 164 .

٨- وخير توضيح لذلك ما ذكره ابن الكرديوسى عن تلك الفترة وعند ذلك انقطع اسم الخلافة من الجزيرة=

استغلالها من خلال تقديم المساعدات مقابل الجزية، وفرض النفوذ، وذلك بالتدخل فى أحداث الصراع الطويل بين المأمون صاحب طليطلة [٩]، وسليمان بن هود صاحب سرقسطة والثغر الأعلى[١٠]، على المنطقة الواقعة بين قلعة أيوب حتى وادى الحجارة، والتى بدأت بهجوم أحمد

= ودارت الدوائر المبيرة ، وفسد حال الرائس والمرؤس وارتفع كل خامل، وخسيس وثار الثوار، واشتعلت بكل مكان النار وظهر العدو غاية الظهور ولاسيما على الاطراف والثغور «تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط تحقيق د. أحمد مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٧١، ص٦٨ . وأشار أيضا ابن الخطيب بقوله «ومن لدن تفرق شمل الإسلام وإنشقت عصاه وتبددت كلماته ولم يكن هم عدو الإسلام إلا استرجاع البلاد والأقطار واستضافة العمالات وافتتاح القلاع والاستيلاء على الثغور تارة فى سبيل المشارطة والاستجارة وتارة فى سبيل المسالمة والمتاركة وتارة بالغلاب والمنازلة وقد وقع من ملوكهم التكالب والتنافس . أعمال الإعلام ، ص٢٤١ . وفى اضافة أخرى «وجعل الله بين أولئك الأمراء ملوك الطوائف من التحاسد والتنافس والغيرة، ما لم يجعله بين الضرائر المترفات والعشائر المتغايرات ، فلم تتصل لهم فى يد الله ولانشأ على التعاضد عزم ولا توجه إلى الاستكثار قصد» أعمال الإعمال، ص٢٤٤ .

٩- تعتبر مملكة طليطلة من أكبر وأهم دول الطوائف ، حيث تتمتع بموقع استراتيجى هام وتشمل مساحة كبيرة من قلب الأندلس وحدودها من الغرب مملكة بطليوس ، ويحدها قورية وترجالة نحو الشمال الشرقى حتى قلعة أيوب وشنتمرية الشرق، والتى يحدها من الشرق مملكة سرقسطة وتمتد فيما وراء نهر التاجة متاخمة لحدود قشتالة ، وجنوبا بغرب حتى حدود مملكة قرطبة عند مدينتى المعدن والمورر، ويتوسطها عاصمتها طليطلة ، ومن أهم مدنها مدينة سالم، ووادى الحجارة ، قونقة ، ووبذة واقليش، ومورة وطلبيرة وترجالة وغيرها.. ومؤسسها أبو الحسن بن يحيى بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن ذى النون، ولمزيد من التفاصيل عن دولة بنى ذى النون أنظر: ابن عذارى ، البيان المغرب، الجزء الثالث/ ١٩٨٣، ص٢٢٧-٢٨٣، ابن بسام الشنترينى: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، القسم الرابع، المجلد الأول ، تحقيق ، إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٩، ص١٤٢ : ١٦٩ ، عنان : دول الطوائف ، ص٩٤-١١٨ ، ليفى بروفنسال ، نفس المرجع ، ص١٢٢-١٢٣ .

١٠- كانت مملكة سرقسطة أو الثغر الأعلى من أعظم دول الطوائف ، إذ كانت ذات مساحة مترامية. وترجع أهميتها إلى أنها كانت بؤرة الأحداث إذ تقع بين الممالك المسيحية الإسبانية، فمن الشرق كتالونيا والشمال الغربى مملكة نافار ومن الجنوب والغرب مملكة قشتالة، وتشمل عدة مدن هامة أهمها : طرطوشة وأعمالها ، وسرقسطة وأعمالها ، وأفراغه ولاردة وقلعة أيوب، وطركونة ، وتطيلة ووشقة وبربشتر، ومؤسسها سليمان بن هود المستعين، وتلقب ابنه أحمد بالمقتدر، ولمزيد من التفاصيل انظر:

ابن عذارى، البيان ، ج٣ ، ص٢٢١-٢٣٢ ، عبد الواحد المراكشى المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، الدار البيضاء، ١٩٧٨م، ص١٠٦-١٠٧ ؛ ١٠٧ ، عنان، دول الطوائف ، ص٢٦٤-٢٩٦ .

بن سليمان بن هود فى ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م على تلك المناطق وحدثت المعركة فى وادى الحجارة بينه وبين المأمون، وهزم فيها الأخير [١١]، مما دفعه إلى إرسال سفارة إلى الملك فرديناند ، يطلب مساعدته مقابل الاعتراف بسيادته ودفع الجزية.

وجدير بالذكر أن طلب التحالف مع ملك مسيحى ضد ملك مسلم كان اتجاها جديداً، كما أشار ليفى بروفنسال حيث بدأ ظهور تفوق الممالك المسيحية الإسبانية لأول مرة على المسلمين، فبعد أن كانت هذه الممالك تطلب الهدن والأحلاف مع المسلمين، أصبح المسلمون هم الذين يطلبونها [١٢]، ولكن هذا الاتجاه الجديد يساير الأوضاع الجديدة للمسلمين ، لأنقسامهم إلى عدة دويلات (فكان لابد من الصراع والتنافس والمصالح التى تعدت حدود الجنس والدين) فما كان من فرديناند إلا أن استجاب ، وأرسل فرقة توجهت إلى أراضى سليمان بن هود، وبدأت فى النهب والسلب والقتل ، وكان آنذاك وقت الحصاد للمزروعات ، مما دفع الجيش القشتالى إلى حصد الغلات الذى استغرق شهرين، ثم عادوا إلى بلادهم محملين بالغنائم والأسرى ، والسبايا، ويوضح لنا ابن عذارى أن كل هذه الغارات التى استمرت شهوراً ، وسليمان بن هود متحصن بحصونه، ولم يحاول صد هذه الغزوة[١٣]، اللهم إلا أنه حاول كسب ود الملك فرديناند، لكى يترك التحالف مع المأمون ويتحالف معه هو، وأرسل لذلك كثيرا من الأموال والهدايا إليه طالبا أن يقوم بمساعدته بالهجوم على أراضى ابن ذى النون، ومن الجدير بالذكر أن ابن عذارى[١٤] يشير إلى أن ابن هود حاول أن يجتذب أيا من الأخوين (فرديناند وجارثيا) معتمدا على العداء والصراع الناشب بينهما، ولكن كان الأقوى هو فرديناند بالإضافة إلى جذبه إلى صفه ليترك التحالف مع المأمون.

١١- ابن عذار ، البيان ، ج٣ ، ص٢٧٧-٢٧٨، عنان ، دول الطوائف ، ص٩٨ .

- Lomax , D.W: La reconquista, Barcelona 1984 , p. 74 .

١٢- ليفى بروفنسال ، الاسلام فى المغرب والأندلس ، ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم وآخرون، القاهرة ١٩٥٦، ص١٤٢ .

١٣- ابن عذارى ، البيان ، ج٣، ص٢٧٨ ، عنان، دول الطوائف ، ص٩٩ .

- Lomax, Op.cit., Loc cit .

١٤- ابن عذارى ، البيان، ج٣، ص١٧٩ .

وقد استجاب الملك فرديناند لدعوة سليمان بن هود، وخرج بجيشه ونجح فى التوغل داخل إقليم طليطلة، حتى وصل إلى وادى الحجارة وقلعة النهر [١٥]. وأغار على المدن والقلاع وسلب ونهب، ما كان يجده فى طريقه، فماذا كان موقف كل من أهل طليطلة وحاكمهم المأمون؟. اتهمهم ابن عذارى بالجبن والتخاذل[١٦] حتى أنهم أرسلوا إلى سليمان بن هود يستنجدون به، ويطلبون الصلح ويناشدون فيه نخوته الإسلامية [١٧]، فاستجاب لهم ولكنه كان متظاهرا بالاستجابة. إذ أشار ابن عذارى إلى أنه خرج بجيشه، ومعه فرقة من النصارى (المتحالفين معه)، ويقصد بهم فرقة من جيش الملك فرديناند وتوجهوا إلى مدينة سالم[١٨]، وحاصروها، وقتل كثير من المدافعين عنها. ولكن قرر أن يسارع بالاستيلاء على الحصون المجاورة التى كان قد انتزعها منه من قبل ابن ذى النون، وصال وجال فى تلك المنطقة[١٩]، فما كان من المأمون إلا أن يتحالف مع المعتضد ابن عباد، صاحب إشبيلية، ضد سليمان بن

١٥- قلعة النهر Alcala de Henares وهى تطلق عليها أحيانا قلعة عبد السلام أو قلعة هناريس واسمها القديم هو Complutense وهى حاليا قرية تقع شرق مدريد.

١٦- وقد أشار ابن عذارى أيضا إلى تقاعس المسلمين فى الدفاع عن أراضيهم بقوله وصب الله تعالى على أهل الثغور من الجبن عن العدو ما لا كفاء له فلا يكاد أحد منهم يلقى نصرانيا فى قرار من الأرض، إلا ويوليه الدبر غير مستحى من الله سبحانه من الفرار أمامه، حتى تعود أعداء الله ذلل منهم فلايعيرون حبلهم شيئا، فذهبت أكثر أموال أهل طليطلة بتكرار الغارات عليهم وفشت جوانحهم، وجلا كثير من أهل ضياعهم وأطرافهم إلى قاعدتهم. البيان، ج٣، ص٢٨٠.

١٧- فدخلوا عليه ووعظوه وذكروه بالله سبحانه وعرفوه بما تهيأ للعدو من النصر والظفر على المسلمين وما أفسده من بلادهم وما ظفرت به أيديهم من أموال المسلمين «ابن عذارى: البيان، ج٣، ص٢٨٠.

١٨- مدينة سالم Medinaceli وهى شمال مدريد بنحو ١٥٣ كم فى الطريق بين مدريد وسرقسطة. وهى مدينة قديمة عرفت فى العصر الرومانى باسم Ocilis، لما فتح العرب اسبانيا عمر هذه المدينة زعيم مغربى مصمودى اسمه سالم بن ورعمال المصمودى، الذى يحتمل أن يكون من قادة الرعيل الأول وقام بفتح اسبانيا. ومنذ ذلك الوقت عرفت المدينة باسم هذا القائد سالم. انظر هامش رقم ١، ص٦٠ لأحمد مختار العبادى فى تاريخ الأندلس لابن الكرديوسى، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، ١٩٧١ وقد أشار إليها أبو الفدا بأنها قاعدة الثغر الأوسط الأندلسى وهى مدينة جليلة وبها قبر المنصور بن أبى عامر، تقويم البلدان، باريس، ١٨٩٠، ص١٧٨، ١٧٩.

١٩- ابن عذارى: البيان، ج٣، ص٢٨٠-٢٨١.

هود ، الذى وعد بالمساعدة، ولكنه انشغل فى صراعه وحروبه مع ابن الأفطس، ولم يقدم المعونة التى ترجها المأمون[٢٠]. ولذلك سارع المأمون إلى محاولة نجدة مدينة سالم، ومقاومة هجمات ابن هود، فتوجه إلى المدينة، وتحصن فى داخلها حيث وجد أنه لاقبل له بمقاومة جيوش ابن هود، فأسرع بطلب النجدة من الملك جارثيا، الذى وجدها فرصة لمناوءة أخيه، وفى الوقت نفسه البحث عن المكاسب ، وإحداث نوع من توازن القوى (حيث كان فرديناند متحالفا مع ابن هود) ولذلك خرج جارثيا بجيشه وتوجه إلى الثغر الأعلى- أراضى بن هود المجاورة له بين تطيلة ووشقة- وعاث فى تلك المناطق ، ثم حاصر قلهرة، ونجح فى الاستيلاء عليها (٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م) [٢١].

وجدير بالذكر أن الملك فرديناند، كان لايمكن أن يترك هجمات أخيه على أراضى حليفه ابن هود ، وحتى لايحقق مكاسب على حسابه وحساب حليفه، ولذلك قرر الاستجابة لنداء ابن هود، وتوجه بجيشه للإغارة على أحواز طليطلة ، وأصبح حرا طليقا فى تحركاته فيما حول طليطلة[٢٢] ، حيث كان المأمون متواجدا بجيشه فى مدينة سالم ، مدافعا عنها ضد ابن هود، فلما علم بالخبر، خرج تحت ضغط جنوده لمواجهة الملك فرديناند ، ولكن عجز عن ذلك ، وأصبح موقفه وموقف أهل طليطلة سيئا جدا فلم يجدوا بدا من إرسال سفارة إلى الملك فرديناند، يطلبون الهدنة والصلح ويعرضون دفع الجزية له، ولكنه اشترط عليهم شروطا صعبة وفرض أموالا كثيرة فردوا عليه بأنه لو كانت لدهيم أموال لأنفقوها فى جمع جيوش من البربر، تساعدهم فى الدفاع عن بلادهم ، فما كان من الملك فرديناند إلا أن رد عليهم بقوله :

«أما قولكم لاتقدرون على هذه الأموال ، فذلك محال فلو كسف سقوف بيوتكم لبرق ذهبا لكثرته ، وأما استدعاؤكم البرابرة فأمر تكثرون به علينا، وتهددونا به ولاتقدرون عليه مع عداوتهم لكم ، ونحن قد صمدنا إليكم وما نبالى من أتانا منكم ، فإنما نطلب بلادنا التى غلبتمونا عليها قديما فى أول أمركم، فقد سكنتموها ما قضى لكم، وقد نصرنا الآن عليكم

٢٠- ابن عذارى : البيان ، ج٣ ، ص٢٧٨-٢٧٩، عنان : دول الطوائف، ص٩٩ .

٢١- ابن عذارى : البيان ، ج٣، ص٢٨١ .

٢٢- وكان يساعد جيش الملك فرديناند آنذاك عبد الرحمن بن إسماعيل بن ذى النون أخو المأمون والثائر عليه. ابن عذارى: البيان، ج٣ ، ص٢٨١ ، عنان : دول الطوائف، ص١٠٠ .

بردا ءتكم فارحلوا إلى عدوتكم ، واتركوا لنا بلادنا ، فلاخير لكم فى سكناكم معنا بعد اليوم، ولن نرجع عنكم أو يحكم الله بيننا وبينكم»(٢٣).

ويتضح من خلال رد الملك فرديناند السابق، إصراره على التمسك بسياسة الاسترداد ، وأن هدفه الرئيسى ، هو طرد المسلمين من الأندلس، وهى السياسة التى خطط لها منذ بداية حكمه، ويتضح أيضا من أسلوبه مدى علمه بأوضاع المسلمين فى دويلات الطوائف ، وما وصل إليه حالهم من الضعف ، وإن كان يرى أوضاعهم الاقتصادية جيدة خاصة وأنهم خلال مطالبة بعضهم له بالمساعدة والعون ضد أخوانهم، كانوا يعرضون عليه الأموال الكثيرة والتى لاتأتى إلا من ازدهار الأوضاع الاقتصادية والتى ترتبط أيضا بإزدهار الحضارة فى عصر دول الطوائف.

وأمام رفض الملك فرديناند فى التهادن والتصالح مع المأمون، واستمراره فى مساعدة سليمان بن هود لجأ المأمون إلى تجديد التحالف مع جارثيا ضد بنى هود فى سرقسطة ، والذى توجه بجيشه فى ٤٣٦هـ / ١٠٤٦م إلى أراضى الثغر الأعلى، وعاث فيها تخريبا وسلبا ونهبا(٢٤).

وهكذا دواليك كانت سلسلة الهجمات المتبادلة ، واستعانة كل من المأمون وسليمان بن هود بالملكين فرديناند وجارثيا ، واللذين اغتنما هذه الفرصة وقاما بقرض النقود وجمع الجزية، والسلب والنهب فى غارتهم ، دون القيام بضم أراضى جديدة لملكتهما على حساب المسلمين بشكل ملموس.

وجديربالذكر أن سليمان بن هود قد توفى ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م ولكن لم ينقطع التعاون بين مملكة سرقسطة ومملكة نافار، حيث أن خليفته المقتدر أحمد بن هود (٤٣٨-٤٧٤هـ) (١٠٤٦-١٠٨١م) قد أرسل فرقة من الجنود لمساعدة الملك جارثيا وأخيه راميرو ملك أراجون، ضد الملك فرديناند حيث اشتبك الأخوان ومعاونوهم فى معركة شديدة، فى سبتمبر ١٠٥٤م وهى Atapuerca حيث قتل جارثيا فى المعركة ، وانتصر الملك فرديناند، وفرت الجيوش النافارية والأراجونية، ولم يتعقب جيش الملك فرديناند بالمطاردة إلا حلفائهم المسلمين حيث

٢٣- ابن عذارى: البيان ، ج٣ ، ص٢٨١- ٢٨٢ .

٢٤- ابن عذارى البيان ، ج٣ ، ص٢٨٢ .

انتقم منهم بالقتل والأسر[٢٥]، وذلك اتباعا لأوامر فرديناند بعدم مطاردة الجيوش المسيحية، حقنا لدمائهم وأن تكون المطاردة فقط للمسلمين [٢٦].

وهكذا نجد أن الملك فرديناند الأول قد اتبع فى سياسته، قبل فرض سيطرته على الممالك المسيحية، وانتهاء الحروب الأهلية مع أخيه جارثيا ملك نافار، يعتمد على الإيقاع بملوك الطوائف ، والقيام بحملات من أجل فرض النفوذ والاستيلاء على مغانم تعينه فى أهدافه من أجل تأكيد وتوطيد نفوذ مملكته، ولذلك كانت حملاته ضد المسلمين لاتتعدى السلب والنهب، واستغلال النزاعات بين المسلمين وتنميتها- كما أشرنا من قبل- لم ينجز فى تلك الفترة فتوحات بضم أراضى إلى مملكته إلا فى الفترة الثانية من حكمه .

وفى هذه الفترة التى تبدأ من ١٠٥٥م بعد مقتل أخيه جارثيا وانتهاء الحرب مع نافار (١٠٥٤م) أصبحت مملكته ممتدة الأطراف [٢٧]، بدأ يستعد لدور جديد فى علاقته بالمسلمين، وهى مرحلة الغزو والفتح وضم الأراضى الإسلامية إلى مملكته ، فكانت أول مشاريعه مهاجمة الأراضى المتاخمة لها وهى أراضى لوزيتانيا (البرتغال)[٢٨] التى تقع ضمن مملكة بطليوس لبنى الأفطس[٢٩] . ولذلك جهز جيشًا ضخمًا فى ١٠٥٥م وتوجه إلى نهر الدويرة ، واخترق

25- Elcronicon del sulensw, p. 125 , Primera Cronica.., pp. 284-285 ; Cronicas Navarras, p. 26; p. 26; CF: also Pidal la España del cid , Buenos Aires, 199, pp. 77-78 Lafuente, Op. cit, p. 26-29; Herculano , Op. cit., pp. 221-222 .

٢٦- اشباخ : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، القاهرة، ١٩٤٠، ص١٧-١٨ .

٢٧- أشار رودريك الطليطلى إلى أنه بعد وفاة أخيه أصبحت السلطة العليا على اسبانيا ومملكته ضمت جليقية واشتوريا وليون وقشتالة وناخر Najera والابرو (نهر) وأراضى من نافار بين نهر الابرو وجبال البدينية.

- Radrogo, Op. cit., p.232 .

٢٨- يطلق البرتغاليون أحيانا فى العصر الحديث على بلدهم اسم لوزيتانيا مما يدل على الارتباط الاقليمى بين هذه التسمية واسم «البرتغال» وإن كانت حدود لوزيتانيا تفوق حدود البرتغال الحالية من حيث المساحة، ولمزيد من التفاصيل انظر:

- Gómez Y Guevara : Lusitania, Santiago de Chile 1977, pp. 1-30 ; Mar ....., pp. 19-23 .

٢٩- من أهم ممالك الطوائف وهى تشمل مساحة كبيرة من الأراضى، تحدها جنوبا جبال الشارات الكبرى (سيرامورينا) التى تفصلها عن مملكة بنو عباد فى أشبيلية وتحدها من الشرق مملكة طليطلة، وتبدأ =

أراضى إقليم لوزيتـانيـا (وهى مـا يطلق عليـهـا حـقـول القـوط) وهاجم سـيـا Cea (Cena) واستولى عليها ثم استولى على قلعة جويا Govea وبعض القلاع المجاورة وطرد سكان بعضها وترك البعض الآخر بعد دفع الجزية والخضوع له [٣٠]. وكانت هذه البداية لسلسلة هجماته فى تلك المرحلة.

أما عن حملته الثانية على البرتغال (١٠٥٧-١٠٥٨م) فقد حدث خلاف بين المؤرخين حول ما تم فتحه أولا وهل هى مدينة بازو (بيزيه) Visea أو لاميجو (لميقة)[٣١] Lamego، وجدير بالذكر أن المدونات الأقرب إلى الأحداث ، أشارت أولا أنه فى ١٠٥٧م قد توجه الملك فرديناند إلى مدينة بازو، لينتقم لمقتل حماه الملك ألفونسو الخامس أمام أسوارها ١٠٢٨م[٣٢]، وكانت هذه المدينة تشتهر بقوة حاميتها من رماة السهام، ولذلك قرر أن يتوجه إليها أولا،

= أراضيها من مثلث نهر وادى يانه غربا حتى المحيط الأطلنطى ، وتشمل أراضى البرتغال حتى مدينة باجه فى الجنوب وعاصمتها بطليوسن، وتشمل عدة مدن عامة مثل مارده ويابرة واشبونه وشنترين وشنترة وقلمرية وبازو وغيرها، لمزيد من التفاصيل . انظر : ابن عذارى: البيان، ج٣ ، ص٢٣٥-٢٤٠ ، وعبد الواحد المراكشى، ص١١١-١١٢، عنان : دول الطوائف ، ص٨١-١٩٣ .

30- El Cronican del Silense, p. 129 , Rodrigo Op. cit, p. 232 , Sandoval, Op. cit. cit., p.4 , cF: also : Serrao , Op. cit., p. 66; Lafuente : Op. cit ., p. 270 .

٣١- بعض المصادر والمراجع التى أشارت إلى الاستيلاء على بازو فى ١٠٥٧م هى بالإضافة إلى المصادر الأساسية لأحداث فتح بازو.

- Cronica Najerense , pp. 97-98 ; Primera Cronca general de España. p. 486 ; CF . Also : Serrao , Op. cit ., p. 66 .

- عنان : دول الطوائف ، ج٣، ص٣٨٣ .

٣٢- المصادر والمراجع التى أشارت إلى فتح لاميجو أولا فى ١٠٥٧م.

- Chronicon Conimbricense, p. 330 ; Chronicon Complutense, p. 57; Cronica de Godos, p. 256; Chronicon complutense, p. 55; CF. Also : Livernore: Portugal p. 26 .

٣٣- كان الفونسو الخامس ٩٩٩-١٠٢٨م ملك ليون قد قام بغزوات عديدة ضد أراضى المسلمين. المجاورة له، وخاصة شمال البرتغال واستولى على بعض الأراضى، وتوجه إلى حصار مدينة بازو، ولكن أصيب بسهم مسموم أثناء الحصار، مما أدى إلى وفاته .

- Rodrigo , Op. cit., p. 212 , Lomax , op. cit., p.72 .

وفعلا تم حصارها ولكن لم يستطع الاقتراب من أسوارها ، لهطول السهام عليهم من المسلمين المدافعين عنها ، وكانوا مهرة فى التسديد مما دفعه إلى الإنسحاب ، قليلا[٣٤]، وأمر بعمل تروس مغلفة بالخشب والتسلح بالدروع المثلثه ، وتجهيز فرقة من المسلحين بالمقاليع ، ثم أرسل قوات استطلاع إلى كل مداخل المدينة، لكي تختار منطقة الهجوم، ثم أمر الفرسان بالرمى بالمقاليع تجاه المدينة، حتى يشغلوا رماة السهام، وتتقدم إحدى الفرق إلى أبواب المدينة، واستمر القتال لعدة أيام دون توقف، حتى نجحوا فى اقتحام المدينة، وكان دخولهم مصحوبا بالقتل والأسر والنهب، وقد أشارت جميع المصادر الإسبانية إلى أنه وقد نجح فى أسر الفارس الذى رمى الملك الفونسو الخامس بالسهم، الذى قتله، وأمر بقطع يديه ورجليه وثمل عينيه مع التعذيب الشديد حتى توفى[٣٥].

ثم توجه الملك فرديناند بعد ذلك إلى لاميجو (الميق) وهى المدينة ذات الموقع الحصين فى ١٠٥٨م، والتى حاصرها بالآلات والقلاع الخشبية، واشتد القتال، واستولى عليها بعد عدة أيام بعد أن نجح فى فتح ثغرة فى الأسوار نفذ منها جيشه إلى داخل المدينة، وبدأت قواته فى القتل والسلب والنهب ، وأسر العديد من رجالها الذين أبقاهم من أجل أعادة بناء الكنائس، وجمع الكثير من الغنائم ووزعها على الكنائس والأديرة والفقراء[٣٦].

وجدير بالذكر أنه من خلال استعراض المصادر والمراجع والاختلاف حول أى من المدينتين فتح أولا : نجد أن المصادر المعاصرة وأهمها مدونة راهب سيلوس ، قد أشارت إلى أن مدينة بازو

34- El cronicon del Silense, pp. 129-130 ; Sandoval, Op. cit., pp. 4-5 ; Primera Cronica , p. 486 ; Lucas de Tuy, Op. cit., p. 348 CF. Also : Lafuente , Op. cit., p. 271 ; Stephens, H.N.: Portugal, London 1891 , p. 14 .

35- El Cronicon del Silense, p. 131 ; Rodrigo, Op. cit., p. 233 ; Lucas de Tuy , op. cit., p. 348. cF. also : lafuente, op. cit , p. 270, Stephens, op . cit, p. 14 ; Serrao , op. cit, p. 66 .

36- El Cronicon del Silense p. 131 ; Rodrigo , op. cit., p. 233; Sandoval, op. cit., p. 5; Primera Cronico , p. 486 ; CF : also : Lafuente, op. cit., p. 270 , Martin y Dolores, op. cit., p. 271.

- عنان دول الطوائف، ص٣٨٣ .

هى التى فتحت أولا فى ١٠٥٧م وأن مدينة لاميجو فتحت بعدها ، بالإضافة إلى أن مدينة بازو تعتبر أكثر أهمية ، كذلك الرغبة فى الانتقام من أهلها لمقتل حماه الملك الفونسو الخامس أمام أسوارها ، إلى جانب أن بازو أقرب المدن إلى حدود مملكته ولذلك كان من الطبيعى الاتجاه أولا إلى بازو .

وبعد الاستيلاء على لاميجو ، توجه الملك فرديناند إلى القلاع المجاورة ، وكان أولها قلعة القديس خوست Sad Justo (كما أشار راهب سيلوس) وسانت مارتين Sainte Martin (كما أشارت المدونة الأولى لتاريخ إسبانيا العام وسندوبال) وهما يقعان على نهر ملوية Malua وهما قلعتان قويتان جدا ، ثم اتجه إلى ما يجاورهما من قلاع، واستولى عليها وهى قلاع تاروكا Tarouca وترابنكا Travonca وبنيلابا Penalva وقلاع أخرى. وقد سوى بعض هذه القلاع بالأرض ، حتى لايستخدمها المسلمون مرة أخرى ضدهم، والبعض الآخر أسكن بها المسيحيين، لأجل أن يكونوا سدا منيعا ضد غزوات المسلمين(٣٧).

والسؤال الذى يحتاج إلى إجابة : ماذا كان رد فعل مملكة بطليوس وبنو الأفطس وحكامها لهذه الهجمات منذ ١٠٥٥-١٠٥٨م على أملاكها .

وباستعراض للمصادر المعاصرة، نجد أن محمد بن عبدالله بن الأفطس، والذى تلقب بالمظفر، كان قد دخل فى صراعات وحروب عديدة ضد المعتضد بن عباد فى إشبيلية ، حتى عقد الصلح بينهما فى ٤٤٤هـ / ١٠٥١م (٣٨)، والحروب التى قامت بين المظفر وبين المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة وهى معارك متفرقة فى تواريخ مختلفة (٣٩). فنتيجة لخوف المظفر من هجوم المأمون بن ذى النون والمعتضد بن عباد على أراضيه، بالإضافة إلى ضعفه نتيجة للحروب الطويلة معهما ، فإنه لم يقم بصد حملات الملك فرديناند أو إرسال قوات للدفاع

37- El Cronicon de Silense, p. 131-132 ; Primera Cronica, p. 486 ; Sandoval op. cit: Chronicon Luistono , E.S.T. 14 Madrid 1959 , p. 404 ; CF: also : Serrao , op. cit., p. 67 ; Livermore, H.A. new history of Portugal , Cambridge 1976 , p. 39 .

- عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٨٣ اشباخ ، ج١ ، ص١٥ .

٣٨- ابن عذارى : البيان، ج٣ ، ص٢٣٤-٢٣٥ ، عنان : دولة الطوائف، ص٨٥ .

٣٩- ابن عذارى : البيان، ج٣ ، ص٢٣٧ . عنان : دول الطوائف ، ص٨٥ .

عن تلك المناطق، خاصة وأن هذه المناطق كانت شبه منعزلة عن مملكة بطليوس ولها شبه استقلال[٤٠] ، بالإضافة إلى اعتماد المظفر على أن حصون هذه المنطقة قوية، ويبدو أنه أكتفى بعرض الجزية على الملك فرديناند.

وأنه أثناء انشغال الملك فرديناند فى الحرب ضد المسلمين فى البرتغال، فإن بعض الأفراد من مملكة طليطلة ومملكة سرقسطة، قد هاجموا أراضى الحدود القشتالية الليونية من أجل السرقة والنهب، كما أشار ساندوبال وقتلوا وأسروا الكثيرين، وهذه المنطقة هى على خط نهر الدويرة فى طرف جبال شقوبية، ولذلك بعد انتهاء حملاته ضد البرتغال قرر معاقبة كل من مملكتى طليطلة وسرقسطة[٤١].

ولذلك توجه فى عام ١٠٦٠م[٤٢]، بحملة ضخمة ضد كل من المملكتين، وهاجم بجيشه أولا القلاع التابعة لمملكة سرقسطة ، فاستولى عليها وهى غرماج Gormaz (ويطلق عليها أحيانا شنت استبين) وهى فى منطقة البة والقلاع (Santistevan) (San Esteban de Gormaz) ثم استولى على مدينة معبر الملك Vada del Rey ثم مدينة برلانجا Berlanga. وكان المسلمون فى هذه المدينة قد فوجئوا بحصار العدو، الذى نجح فى إحداث ثغرات بالسور، بعد عدة أيام من الهجوم على جميع الجوانب ، وقد هربوا وتركوا أفواجا من الأطفال والنساء[٤٣]. ويشير المؤرخ مارتين إلى أن هجمات المقتدر بن هود أمير سرقسطة ضد مدينة طرطوشة (والتى احتلها عام ١٠٥٩)[٤٤]، فقد شجعت هذه الحروب الداخلية للملك فرديناند لكى يستولى على القلاع السابقة، واستمر فى خططه بالاستيلاء على المدن والقلاع، حيث استولى على قلعة أجيلار Aguilera .

٤٠- عنان : دول الطوائف ، ص٣٨٣ .

41- Sandoval, Op. cit., p. 5 .

٤٢- لم يشر كثير من المؤرخين إلى سنة هذه الحملة بدقة إلا أنه فى المدونه الأولى لتاريخ اسبانيا أشارت إلى أنها فى العام الخامس والعشرين من حكمه أى (١٠٦٠م) وبيدال أيضا يشير إلى نفس عام ١٠٦٠م.
Pidal, La Espaã, p. 86 .

43- El Cronicon del Silense , p. 141; Primera Cronica , p. 488 ; Sandoval , op. cit ; Loc cit ; Cronica Najerense , p. 101 ; CF : also Lafuente, op.cit ., p. 270 ; Riu , op. cit ., p. 208 .

44- Marin , op. cit ., p. 332 .

أشارت المصادر الإسبانية إلى أن فرديناند استولى على قلعة شنتمرية الشرق Santa Maria [٤٥]، وقد اتفق ابن الكرديوس مع المصادر الاسبانية على ذلك بقوله «فاحتوى على حصون كثيرة منها شنتمرية بلد ابن رزين» [٤٦]. والواقع يبدو أنه فرض عليها الجزية، ولكن لم تضم إلى أملاكه (حيث استمر بها حكم بنى رزين حتى دخل المرابطون مدينة شنتمرية) ثم واصل حملاته، حتى استولى أيضا على قلعة جورموز Guermoz (Guermezes) ، التى سواها بالأرض ، وهدم كل أبراج الحراسة التى أقامها المسلمون على جبل بانتاجو -Par) rantagon) Parentago وأيضا كل ما يحيط بها [٤٧].

ثم استولى على ثلاث قلاع قوية فى أودية (Bargecotex) Bargaras وHorcecores وأيضا واصل حتى وادى كارثينا Caracena حتى ضاحية مدينة سالم، وقد سوى كل هذه القلاع بالأرض ولم يتوقف حتى وصل إلى حقول طرسونة ، حتى كانتبريه، وانتصر على المسلمين فى هذه الحقول ، والتى كانت بها حاميات قوية [٤٨] ، فلم يجد المقتدر بن هود بدا لوقف حملات الملك فرديناند إلا بدفع الجزية سنة ١٠٦٠م [٤٩].

= كان المقتدر بن هود يريد استخلاص طرطوشة من الصقالبة وضمها إلى مملكته، وانتهز الفرصة عندما قامت ثورة فى طرطوشة ضد حاكمها الفتى النبيل، فزحف عليها المقتدر فى قواته، وسلمها إليه النبيل فى الحال؛ وانتهت بذلك دولة الفتيان الصقالبة ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م. (ابن عذارى: البيان، ج٣ ، ص٢٥٠ و ٣٠٢).

٤٥- شمنترية الشرق أو سهلة بن رزين وتعرف الآن باسم البراثين Albarracin وهى تقع فى نفس الاقليم القديم السلت أيبرى، وتقع إلى الشمال الغربى من مدينة بلنسية وغربى Teruel وشرقى وادى الحجارة، وكان يحكم هذه المدينة عز الدولة أبو حامد هذيل بن خلف بن رزين (٤٠١- ٤٥٠هـ) ثم خلف ابنه أبو مروان عبد الملك بن هذينة بن رزين، الذى ظل يحكم هذه المدينة إلى أن مات (٤٩٦هـ) .

أنظر هامش رقم (٥) للدكتور / أحمد مختار العبادى، فى تاريخ الأندلس لابن الكرديوس، ص٧٥ ، ولوصف هذه المدينة انظر: الحميرى: صفة جزيرة الأندلس، ص١١٤- ، ١١٥ ولمزيد من التفاصيل عن هذه الامارة الصغيرة : انظر دول الطوائف ، ص٢٥٣- ٢٥٩ لعنان .

٤٦- ابن الكرديوس: نفس المصدر ، ص٧٥ .

47- El Cronicon del Silense , p. 141; Lucas de Tuy , op.cit., p.352 .

48- Sandoval, op. cit , p. 6; Primera Cronice, p. 488; CF, also : lafuente, op. cit., p. 270 .

٤٩- فقد أشار ابن عذارى إلى ذلك بقوله « ثم أن الروم دمرهم الله استطالت أيديهم فى مدة ابن هود =

وقد أشارت مدونة راهب سيلوس ولوقا التوى [٥٠]، إلى أن بعض الفرق الإسلامية من إقليم السلت ايبرى ومملكة طليطلة ، قد هاجمت أراضى مملكته، ولذلك أمر الملك فرديناند بتجهيزات ضخمة لقوات من الفرسان ورماة السهام من كل مملكته، لكى يهاجم اقليم قرطاجنة Cartejena (Cartagena)[٥١]، ومملكة طليطلة ، فى عام ١٠٦٢ م ولكن الإشارة إلى إقليم قرطاجنة يؤدى إلى التساؤل ، لأن هذا الإقليم هو إقليم بلنسية ، وقرطاجنة تعتبر ميناء لمدينة بلنسية لأنها تبعد مسافة ٦٤كم ، وهذه المنطقة تقع فى الجنوب الشرقى من شبه الجزيرة وهى منطقة بعيدة جدا عن الممالك المسيحية ، لأنها فى عمق أراضى المسلمين جنوبا ، وفى نفس الوقت ليست مجالا لنشاط وحملات الملك فرديناند ، ولكن الهجمات جاءت من منطقة السلت إيبرى، وهى منطقة وسط شرق شبه الجزيرة. وفى المنطقة المحيطة ببلنسية والمجاورة لحدود الممالك المسيحية، وكانت منطقة نشاط واسع لحملات الملك فرديناند، ومما يؤيد رأينا فى عدم تأكيد الهجوم على منطقة قرطاجنة ، أن الملك فرديناند توجه بحملته إلى مملكة طليطلة ، وما ذكر من مواقع حملاته فهى منطقة طليطلة.

وقد توجه الملك فرديناند بجيشه- كما أشرنا- إلى مملكة طليطلة حيث وصل إلى جبال أوكا Oca وأونيا Ona (Onya) واستولى على كل المواشى والغلات فى حقول هذه الجبال ثم توجه إلى حصار أودية طلمنكة Talamanca[٥٢] وبسيدا Vcede واستولى على كل ما فى

= على بلاد المسلمين بالثغر الأعلى فأخذ معهم ابن هود فى اعطاء الجزية وصالحهم فأخذ الطاغية ما الذى رتبه عليه وقسمه على رعيته وعلى أهل عسكره » البيان ، ج٣ ، ص٢٢٨-٢٢٩ .

- Lomax , op. cit.,p. 75 .

50- El Cronicon del Silense, p. 141 ; Lucas de Tuy, op.cit , p. 352 .

٥١- قرطاجنة (الخلفاء) ،كما أشار الحميرى فهى من كورة تدمير وهى ميناء لمدينة مرسية وهى مدينة قديمة أزلية لها ميناء ترسو فيها المراكب الكبار والصغار . وهى إقليم يسمى الفندون وهى فى داخل الولاية القديمة التى تسمى تدمر.

- الحميرى: صفة جزية الأندلس، ص ص١٥١-١٥٢ .

٥٢- أشار الحميرى إلى مدينة طلمنكة بقوله «مدينة ثغر الأندلس، بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن منها أحمد بن محمد بن عبدالله بن لب بن يحيى المعافرى الطلمنكى المقرى وبينها وبين وادي الحجارة عشرون ميلا: صفة جزيرة الأندلس، ص١٢٨ ؛ عدنان : دول الطوائف ، ص٣٨٣ .

هذه الأودية من ممتلكات المسلمين، ودمر حقولهم وأسر من بها من المسلمين ، بعد جمعه للأبقار والمواشي وكل الثروات، بدون أن يعطى هدنة للمسلمين أو لجنوده (٥٣).

وجدير بالذكر ، أن ابن الخطيب ، أشار إلى تلك الأحداث ، وأن الملك فرديناند كان يتعمد ترك المسلمين حتى تنضج مزروعاتهم ثم يغير عليهم، ويجمعها على ظهور البغال إلى بلاده(٥٤) .

ثم واصل الملك فرديناند تقدمه، حتى وصل إلى وادى الحجارة، ومدريد (مجريط) وكل القلاع الواقعة على ضفاف أنهار خراما Jarama وهناريس Hernares، التى ضمها بحصار قلعة النهر (الكالا دى هناريس Al Cala de Henares، والتى كانت تدعى قديما Com-plutense) فما كان من المسلمين إلا أن تحصنوا داخل أسوارها ، فى حين قام الملك فرديناند بعد استيلائه على كل ممتلكاتهم خارج القلعة، بضرب أسوارها بالآلات ، حتى نجح فى إحداث ثغرة فى سورها ، مما دفع المدافعين إلى الإسراع بسدها ، وأرسلوا يستنجدون بالمأمون ملك طليطلة ، ويطلبون إنقاذهم خاصة ، وأن القلعة التالية بعدهم هى طليطلة ذاتها (٥٥).

53- El Cronicon del Silense , p. 143; Sandoval, op. cit., p.6; Primera Cronica, pp. 488-489 ; CF . Also : Pidal , La España, p. 88; Valdeon, Op. cit., p. 29; Fernandez, op. cit., p.172 .

عنان : دول الطوائف، ص٣٨٣ .

٥٤- وقد أشار ابن الخطيب إلى سياسة فرديناند الثانى عند قوله «لما استولى ملك قشتالة اذونش بن فرذلند على مدينة طليطلة دار ملك الروم على الثغر الجوفى، وانتظمت له البلاد ، وقد كان أخوه شانجة وأبوه فرذلند قبله، راضى له ذلك بما ألقى بكلكله على صاحبها يحيى بن دنون الملقب بالمأمون ٤٤٥هـ ونازله وألح عليه وضعف أمر المسلمين حتى لم يقدروا إلا على التحصن والاحتجاز وكان من شأن الطاغية أن يترك المسلمين بأحواز الموضع الذى قد قصد ويخيلهم وما يريدونه من معايشهم فإذا كثرت الغلات، استكثر من الاحتشاد، وفرض على رعيته أمما من الفلاحين لضم الأقوات، فيحاول كل منها ما كان المسلمون يستفيدون لأنفسهم وينقل ذلك على ظهور محلاته ورعيته إلى ثغور المجاورة لبلاد المسلمين ليميز بها محلاته عند الحاجة لذلك وضرب الجزية عليهم بما شاء». أعمال الأعلام، ص٢٤٣ .

55- El Cronicon del Silense , pp. 143-145 ; Primera Cronica p. 489 ; CF . Also : Herculano , op. cit ., p. 223; Riu , op. cit., p. 208 .

- عنان : دول الطوائف ، ص٣٨٣ .

فما كان من المأمون الذى رأى عجزه عن مقاومة الملك فرديناند إلا أن أرسل إليه يناشده السلام، وجمع كثيرا من الأموال والهدايا ، وتوجه بنفسه إلى مقابلته ، وقدم إليه كل ما جمعه، وأعلن اعترافه بالخضوع والتبعية مع دفع الجزية ووافقه فرديناند[٥٦]، وعاد محملا بالغنائم والأموال، التى منح كثيرا منها إلى الأديرة والكنائس [٥٧].

وهكذا أجبر كل من ابن الأفطس فى بطليوس ، والمأمون في طليطلة والمقتدر بن هود فى سرقسطة ، على دفع الجزية والخضوع للملك فرديناند الأول، ولكن سرعان ما امتنع ابن الأفطس عن دفع الجزية ، ويفسر ذلك ابن عذارى عندما أشار إلى أنه من الأمراء امتنع ابن الأفطس عن دفع الجزية ، ولذلك أرسل الملك فرديناند جيشًا مكونا من عشرة آلاف فارس، حيث كانت وجهته مدينة شنترين [٥٨]، أهم مدن مملكة بطليوس ، فلما علم ابن الأفطس، أسرع إليها قبل قدوم الجيش المسيحى، الذى وجد قائده صعوبة فى الاستيلاء على المدينة المشهورة بحصانتها، فقرر التفاوض مع ابن الأفطس ، والتقى الاثنان على نهر التاجة، حيث كان ابن الأفطس راكبا زورق ، والقائد المسيحى راكبا فرسه يخوض به الماء، وتفاوض الاثنان ، فطلب القائد المسيحى ضرورة دفع الجزية ، ولكن تمنع ابن الأفطس ، وبعد شد وجذب وافق على دفع خمسة آلاف دينار جزية سنوية [٥٩].

٥٦- أشارت المدونة الأولى إلى تمنع الملك فرديناند فى الموافقة فى بادئ الأمر بحجة أن كل ما يقوله المسلمون لاينفذوه. Primera Cronica p. 489.

57- Lucas de Tuy , op. cit., pp. 352-353 ; Sandoval , op. cit., Loc cit ., Cronica Najerense, p. 102 ; CF. Also : Lafuente, op. cit., pp. 270-271 .

٥٨- إحدى المدن الهامة التى تتمتع بموقع جغرافى واستراتيجى واقتصادى هام جعلها تحتل مكانة بارزة على مدار التاريخ فى شبه الجزيرة الايبيرية فهى تقع على الضفة اليمنى لنهر التاج فوق ربوة مرتفعة أمام منحنى نصف دائرى للنهر تبعد ستة وأربعين ميلا شمال مدينة لشبونة ولذا فهى تتمتع بحصانة طبيعية لوجودها على قمة جبل عال وبأسفلها المزارع على طول النهر الذى يستدير بها استدارة السوار بالمعصم ونظرا لخصوبة أراضيها فكانت من المدن الزراعية ذات الثراء الفائق مما جعلها هدفا لأطماع المسيحيين . انظر محمد النشار: تأسيس مملكة البرتغال، مؤسسة عين ، القاهرة ، ١٩٩٥ م، ص١٥٩ . وانظر لمزيد من التفاصيل الادريسى: صفة المغرب وأراضى السودان ومصر والأندلس، تحقيق دوزى امستردام ١٩٦٩م، ص١٨٦ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص١٧٢-١٧٣ . الحميرى: نفس المصدر، ص١١٣ .

٥٩- ابن عذارى : البيان، ج٣ ، ص٣٣٨ ، عنان : دول الطوائف ، ص٨٦ .

وجدير بالذكر أن ابن عذارى لم يشر إلى العام الذى وقعت فيه تلك الحملة، ولكن من خلال سير الأحداث نجد أنها بعد حملة ١٠٦٢م على طليطلة ، لأن ابن عذارى أشار عندما رفض ابن الأفطس دفع الاتاوة من بين جميع أمراء الثغور) والمقصودين هما أميرا سرقسطة وطليطلة والأخير دفع الجزية فى عام ١٠٦٢م، ولذلك نرى أن هذه الحملة تكون فى نهاية ١٠٦٢م وبداية ١٠٦٣م.

حقيقة أن المصادر الأولية الإسبانية ، لم تشر صراحة إلى هذه الحملة ولكن أشارت مدونة راهب سيلوس، وأيضا ساندوبال، أنه قبل حملة الملك فرديناند على أراضى أشبيلية فى ١٠٦٣م فإن الملك فرديناند كان قد توجه إلى إقليم لوزيتانيا، وقام ببعض الحملات ضد مدنها، لإجبارها على دفع الجزية[٦٠]. ومما يؤكد هذا أن المؤرخ فرناندز أشار إلى أن هذه الحملة على البرتغال كانت فى ربيع سنة ١٠٦٣م[٦١].

أما عن حملته الشهيرة ضد أراضى ابن عباد، حيث توجه بجيش ضخم إلى أراضى الوادى الكبير، وقد كشفت لنا المصادر عن الغرض منها، حيث كان يرغب فى إحضار أجساد القديسين ولكن لا نتفق معها فى أنها السبب الرئيسى للحملة، ولكن من أهم أسبابها أن دولة بنى عباد هى أقوى وأكبر دول الطوائف فى الأندلس، وأن فرديناند رأى أنه فرض سيطرته على الممالك الثلاث (سرقسطة - طليطلة - بطليوس) دون أهم هذه الممالك، والتى تعتبر لها الزعامة على باقى دول الطوائف ، ولذلك لكى تكتمل سيطرته وفرض زعامته على شبه الجزيرة الايبرية، كان لابد من فرض سيطرته على مملكة بنى عباد، والاعتراف بتبعيتها له ودفع الجزية رمز هذه التبعية .

وقد دخل الملك فرديناند فى أراضى الوادى الكبير مدمرا كل ما يقابله، من أودية وقلاع وحقول، مستوليا على كل ثروات تلك المناطق، مما دفع المعتضد ابن عباد إلى طلب السلام، وجاء إلى الملك فرديناند مقدما الكثير من الهدايا والأموال ، عارضًا دفع الجزية مثلما فعل باقى ملوك الطوائف فى الأندلس، وحينئذ دعا الملك فرسانه، وعقد مجلسا طالبا النصيحة من

= Martin Y Dolores : Historia de Extremadura, t. 2, Badajoz 1985 , pp. 271-272 .

60- El Cronison del Silense, p. 147 ; Sandoval, op.cit., p.10 .

61- Fernandez , op. cit.p. 173 .

مستشاريه، الذين رأوا أن يدفع المعتضد جزية سنوية، وأن يسلم إلى السفراء ، الذين سيوفدهم ملك قشتالة جثة القديسة العذراء خوستا ، التى استشهدت زمن الاضطهاد الرومانى ، فاستجاب المعتضد لهذه الشروط [٦٢]، وإن كانت السفارة التى أرسلها لم تعثر على جسدها ونقلت بدلا منها جسد القديس إيزادور وبعض أجساد القديسين[٦٣].

وهكذا نجد أن فرديناند قد فرض الجزية والخضوع على الممالك الأربعة الرئيسية فى الأندلس، كما أشارت المدونات الأسبانية فى عام ١٠٦٣م.

وكانت مملكة سرقسطة مطمع لكل الممالك المسيحية المجاورة، فكل منها يعتبرها إمتداد طبيعى لمملكته ، فنجد أن ريموند برنجير الأول يفرض الجزية على لاردة، وراميرو الأول ملك أراجون يهدد سرقسطة نفسها، ويحاول فرض الجزية على بعض المدن الإسلامية التابعة لها، ولذلك انتهز فرصة انشغال أخيه بغزوة أشبيلية ، وسار لمهاجمة المسلمين فى سرقسطة ووشقة وتطيلة[٦٥].

62- El Cronicon del Silense , p. 147 ; Primera Cronica, p. 490 ; Lucas de Tuy , op. cit ., pp. 354-355 ; CF. also : Pidal : El Imperio Hispánico y los Cinco Renos , Madrid 1950 ,p. 91 ; Lafuente , Op. cit , p. 271 .

- دوزى : المسلمون فى الأندلس ، ج٣، ترجمة د.حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٤٥، ص٧٩-٨٠ .

٦٣- الواقع أن المصادر الاسبانية أفاضت فى الحديث عن هذا الموضوع لتأكيد الجانب الدينى فى حياة الملك فرديناند الأول وخاصة أن معظم المؤرخين وعلى رأسهم راهب سيلوس كانوا رهبان أو رجال دين ولمزيد من التفاصيل عند هذا الموضوع انظر:

- El Cronicon del silense, pp. 147-151; Lucas de Tuy , op.cit., pp.355-357 ; Cronica Najerense , pp.102-106; CF. Also : Pidal : la España , pp. 88-89 ; Lafuente, op. cit.,p. 271 .

- دوزى : نفس المرجع، ص ص٨٠-٨١ .

64- Chornicon Compostellano, E.S.T. 23, Madrid 1850 , p.327 .

- وانظر : نفس المصدر فى مجموعة مدونات اللاتين لحركة الاسترداد .

- Las Cronicas Latianas de la Reconquista traducion por Huici, A.M., RI , Valencia 1913 , p. 85 ; Cronicon de los Reyes Leonese, p.323 ; CF; Also : Pidal : El Imperio, pp.90-91 .

٦٥- كانت هذه المدن تدفع الجزية لاراجون ثم تحولت عنها لتغدو كل مملكة سرقسطة تابعة لملك قشتالة فرديناند كما أشرنا . أشباخ: نفس المرجع، ج١، ص١٩ .

وكانت مفاجأة للمسلمين لأنهم أخذوا على غرة ، ولذلك طلبوا المساعدة من صاحب الجزية عليهم الملك فرديناند ، الذى لبى نداءهم، إلا أنه لم يرغب فى قطع غزوته على أشبيلية ، ولذلك أرسل ولى عهده سانشو على رأس جيش لمساعدة مسلمى سرقسطة ضد أخيه[٦٦]، حيث التقيا فى معركة جراوس Grados- grous والتى انهزم فيها الجيش الأراجونى ولقى الملك راميروا مصرعه [٦٧].

وكان كل ما يخشاه الملك فرديناند ، أن تسقط سرقسطة فى أيدى أخيه وهى كانت مطمحه إلى حين.

أما أهم انجازات الملك فرديناند التى ختم حكمه بها هو الاستيلاء على المدينة الهامة قلمرية[٦٨]. والتى أشارت جميع المصادر إلى أهميتها، فهى أعظم القواعد الإسلامية فى شمال غربى الأندلس، وأقوى مدينة فى تلك المنطقة، وتعتبر عاصمة للأقليم ومدينة مهمة للعبادة المسيحية[٦٩]، وكانت سجالا بين المسلمين والمسيحيين ، حيث كان الملك الفونسو الثالث (٨٦٦- ٩١٠م) وقد استردها من المسلمين عام ٨٧٨م وعمر ما حولها [٧٠]، حتى استردها المنصور بن أبى عامر فى ٣٧٥هـ / ٩٨٧م فى حملاته المشهورة [٧١]، وبقيت فى

66- Cronicas Navarras, Valencia 1964 ; p.26; CF. also: Callaghan, op. cit., p. 196 .

- أشباخ : نفس المرجع ، ج١ ص١١ . عنان ، دول الطوائف ، ص٢٨٠ .

67- Primera Cronica , p. 475 ; CF.also : Fernandez , op. cit ., p.175 ; Lomax, op. cit., p. 80 .

٦٨- قلميزة (قلمرية) Coimbra أشار إليها الحميرى بقوله «بالأندلس من بلاد برتغال بينها وبين قورية أربعة أيام، وهى على جبل مستدير وعليها سور حصين ولها ثلاثة أبواب وهى فى نهاية من الحصانة، وهى صغيرة متحضرة عامرة كثيرة الكروم والتفاح والقراسيلو مكانها فى رأس جبل تراب لايمكن قتالها وهى على نهر أرجاء »صفة جزيرة الأندلس، ص١٦٤ .

69- El Cronicon del Silense , p. 133; Tarapha, op. cit., p.111; Cronica Najerense , pp. 98-99 ; Lucas de Tuy , op. cit., p. 349 .

70- Rodrigo op. cit., p. 182 , CF. also : Martin Y Dalores, op. cit., p. 267 .

71- Chronicon Complutense , p. 55. CF . also : Peres D. Como Nasceu Portugal, Porto 1931 , p. 53 ; Livermore, Portugal, Un . Press 1973, p. 26 ; Serrao , op. cit., p. 65 .

ابن عذارى : البيان ، ج٣، ص٢٣٨ .

أيدى المسلمين، حتى قرر الملك فرديناند الاستيلاء عليها لكى يكمل فتوحاته حتى نهر الونديجو، خاصة وأن مستشاره ششند المستعرب قد نصحه بضرورة الاستيلاء عليها، وهو الخبير بالشئون العربية حيث خدم ابن عباد (٧٢) من قبل.

ويشير أمريكو كاسترو (٧٣)، إلى الجانب الدينى فى حملات الملك فرديناند الأول، حيث تشير المدونات المعاصرة بتفاصيل وافرة عن رحلته إلى مدينة شانت ياقب، لالتماس البركة والمساعدة . فزار قبر القديس الراعى وقضى ثلاثة أيام فى الصلاة والعبادة ، وكما أشار راهب سليوس بأنه تم عقد مجلسا للصلاة، وكان الحلم والقديس شانت ياقب، الذى وعده بأنه يمنحه هذه المدينة لتعود للمسيحيين (٧٤).

وقد استعد الملك فرديناند الأول بجيش ضخم، وآلات حصار وقلاع خشبية، وعدد كبير من المهندسين، لكى يواجه أسوار مدينة قلمرية القوية (٧٥). والتى خيم أمامها فى ٤٥٦هـ - ٢٠ يناير ١٠٦٤م (٧٦)، وبدأ الحصار وكان يعتمد أساسا فى خطته على تجويع المدينة ، حيث أنه من الصعب اقتحامها وهى بهذه القوة والحصانة.

٧٢- من أشهر الشخصيات لتلك الفترة هى ششند المستعرب، وقد أفاضت المصادر الإسلامية والإسبانية عن هذه الشخصية، حيث أنه قد أسر هو صغير من هذه المنطقة فى غزوة القاضى ابن عباد ضد ابن الأفطس، وربى فى بلاط ابن عباد وأعجب به المعتضد، واستخدم فى السفارات بينه وبين الملك فرديناند ، ثم ما لبث أن انضم إلى خدمة الملك القشتالى. والذى قربه لمعرفته باللغة العربية وأحوال المسلمين ودائم النصح له كوزير. وأصله من مقاطعة بيرة فى شمال البرتغال. ولمزيد من التفاصيل انظر: ابن بسام: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، م٤ ، بيروت ١٩٧٩ ، ص١٦٥-١٦٦ ، عنان : دول الطوائف ، ص٥٨، ص٣٨٥ . وهناك بحث مستقل بذاته عن هذه الشخصية لبيدال .

Pidal , El Conde Mozarabe Sisande Davidis , Y la Palitica de Aldonso VI con Taifas, Al Andallis vol . 12, 1947 , pp. 30-39 .

73- Castro , A., La realidad historico de España Mexico 1987 , p. 291 .

74- El Cronicon del Silense, p. 133; Rodrigo , op. cit., p. 233; Lucas de Tuy , op.cit ., p. 349 ; Cronica Najerense, pp. 99-100 .

75- Rodrigo, op. cit , Loc cit ., Primera Cronica, p. 487 .

٧٦- Pidal, la España , p. 94 عنان : دولة الطوائف ، ص٣٨٤ . وقد أشار لافوتى إلى العام خطا حيث أشار إلى أنه فى ١٠٥٨م . Lafuent, op. cit., p. 270 .

واستمر الحصار وكانت أثناءها قد تعرضت مؤن الجيش القشتالى للنفاذ، وفى لحظة قرر الملك فرديناند الانسحاب، ولكن تدخل الفارس السيد الكمبيادور الشهير بالاتصال برهبان دير لورفان Lorvan القريب، والذين أمدوه بكل ما يتاجونه من الغلال، والتى سعد بها الملك فرديناند (واعتبرها مساعدة من الله) وهكذا ازدادت معنويات جيشه فى حين عانت المدينة من الجوع (٧٧).

وبعد حصار شديد دام ستة أشهر، اشتد فيها القتال، ونجح الجيش المسيحى فى إحداث ثغرات فى أسوار المدينة، وتيقن حاكمها راندة من عدم وصول نجدات، ورغبة فى نجاته هو وأسرته فإنه قد أرسل إلى الملك فرديناند سرا على أن يخرج هو وعائلته من المدينة، وهو ما نفذه وخرج فى الليل إلى معسكر الملك فرديناند، وأصبح أهل المدينة لم يجدوا قائدهم(٧٨)، مما أدى إلى هبوط الروح المعنوية لدى سكان المدينة، خاصة وأنه أصبح الأمل ضعيفا فى النجدة أو المقاومة، لاسيما بعد أن تمكن الجوع من سكانها بشكل كبير.

أما عن رواية الاستيلاء على المدينة فنجد الروايات الإسلامية والإسبانية تختلف فى بعض التفاصيل، وتتفق فى البعض الآخر، فنجد الرواية الإسلامية تشير إلى أن سكان المدينة، عندما رأوا فرار حاكم المدينة رانده إلى المعسكر المسيحى، فإنهم طلبوا التسليم مع منحهم الأمان فلم يوافق الملك فرديناند، الذى علم بنفاذ الأقوات، فكثف فى هجومه على المدينة حتى اقتحمها عنوة، فقتل من قتل وسبى من سبا(٧٩).

أما الراوية الإسبانية فإنها تشير إلى بعض التفصيلات بأن الجيش المسيحى هاجم بقوة بالآلات الخشبية (الإبراج) حتى نجح فى إحداث ثغرة فى سور المدينة، وعندما عجز المسلمون عن سد الثغرة أو الدفاع، طلبوا إيقاف القتال وذلك فى ٩ من يوليو (٨٠)، وحينئذ أمر الملك

77- Rodrigo , op. cit ., p. 233 ; Primera Cronica , p. 487 ; Sandoval, op. cit., pp. 12-13 ; CF . also : Pidal, La España , p. 95 .

٧٨- ابن عذارى، البيان، ج٣، ص٢٣٨-٢٣٩، عنان: دول الطوائف، ص٨٦.

٧٩- ابن عذارى: البيان، ج٣، ص٢٣٩، عنان: نفس المرجع والصفحة.

٨٠- فى رواية أخرى ٧ من يوليو.

Cronicon Compostelano , p. 57 ; CF . also : Castro , op. cit., p. 291 .

فرديناند بايقاف القتال، حتى يرى ماذا يريدون ، وحينئذ خرج المسلمون من المدينة، يرجون الملك أن يسمح لهم بالخروج ومعهم أولادهم ونساؤهم ، ويتركون كل أملاكهم ولايأخذون إلا نفقات الطريق، فوافق الملك ودخل المدينة (٨١)، ولكن حامية المدينة رفضت التسليم ، واستمرت فى الدفاع عنها حتى نفذت الأقوات، وعندئذ نجح الجيش المسيحى فى اقتحام القلعة، وأسر كل من كان بها من الحامية، والذين بلغ عددهم على حد قول بعض المصادر خمسة آلاف وخمسمائة أسير(٨٢)، وذلك كان فى يوم الجمعة ٢٣ يوليو سنة ٦٤م، ودخلها الملك فى احتفال كبير فى ٥ يوليو نفس العام(٨٣).

والواقع أن اختلاف بعض المصادر فى تاريخ الاستيلاء على المدينة ما بين ٩ يوليو و٢٣ يوليو ، فإن من تبنوا تاريخ ٩ يوليو على أساس استلام سكان المدينة ودخولها كان فى هذا اليوم، أما من يرى تاريخ ٢٣ يوليو فعلى أساس أن المدينة استسلمت يوم ٩ يوليو ولكن سقوط القلعة فى المدينة والاستيلاء الكامل عليها كان فى ٢٣ يوليو.

وجدير بالذكر أن سقوط قلمرية كان كارثة بالنسبة للمسلمين فماذا كان رد فعلهم؟ نجد أن بنى الأفطس لم يحركوا ساكنا من أجل إرسال نجدات لمساعدة سكان المدينة ، وقد وقفوا مكتوفى الأيدى، ويبدو أنه لنفس السبب السابق عدم القدرة على مواجهة جيش فريناند ، وفى الوقت نفسه الخوف من هجوم المعتضد بن عباد على أراضيهم، وكان رد الفعل الوحيد هو

81- El Cronicon del Silense , p. 139; Rodrigo , op. cit., p.233; Primera Cronica , p. 487 ; Sandoval, Op. cit., pp. 13-14 ; Lucas de Tuy , op. cit ., p . 349 ; CF , also : Lafuente, op. cit. p. 270 .

82- Cronicon compostelano, p. 57 CF. also : Pidal, la España , p. 95 .

– دوزى : تاريخ المسلمين، ج٣ ، ص٧٠٢ .

83- Pidal, La España , p. 95 ; Serrao , op. cit., p.67 .

– وجدير بالذكر أن المصادر المسيحية قد أضافت كثير من الهالات حول الاستيلاء على قلمرية حيث حضور أحد الحجاج من بيت المقدس لزيارة قبر القديس شانت ياقب والحلم الذى رآه والحديث من القديس شانت ياقب له عن قرب سقوط المدينة واشتراك القدس بنفسه فى المعارك ضد المسلمين والواقع- كما أشرنا من قبل- أن مؤرخى هذه المدونات معظمهم من الرهبان ورجال الدين ولذلك خلطوا كثيرا من الأساطير والرؤيا الدينية بالأحداث التاريخية وقد أشارت إلى تلك الأساطير كل المصادر التى تعرضت لأحداث الاستيلاء على قلمرية.

عندما حضر رانده حاكم المدينة إلى المظفر ابن الأفطس ، ووبخه وأمر بقتله [٨٤]، نتيجة لتخاذله فى الدفاع عن المدينة.

وهكذا عندما اكتملت فتوحات فرديناند فى أراضى المسلمين الواقعة بين نهرى دويرة ومنديجو كون منها كونتية البرتغال [٨٥]، وعين عليها ششند المستعرب حاكما عليها. وهكذا أجبر الملك فرديناند المسلمين على النزوح جنوبا وطردهم حتى منطقة حدود نهر مونديجو.

أما آخر حملات الملك فرديناند الأول، فكانت ضد بلنسية، والواقع أن من أهم أسبابها الأحداث التى مرت بها المنطقة من حادثة بربشتر، واستيلاء الحملة الصليبية عليها سنة ١٠٦٤م، وعجز المقتدر عن انقاذها، مما أدى إلى استنفار شعور المسلمين وأمرائهم فى الأندلس للجهاد. واجتمع كثير من المسلمين فى فرق من مختلف الممالك، وكانت هذه النكبة قد جعلت الحماسة تشتعل تجاه المسيحيين، وكان لابد من حدوث تطورات هامة تتضح فى الأسباب المباشرة التى أشارت إليها المصادر الإسبانية لحملة الملك فرديناند، فقد أعقبت الحماسة ضد المسيحيين أن تم اضطهاد المستعربين. وفى نفس الوقت كانت بعض الفرق الإسلامية من مملكة سرقسطة ، هاجمت بعض الأراضى لملك قشتالة فرديناند الأول، بالإضافة إلى تحالف المقتدر بن هود أمير سرقسطة مع المعتضد فى أشبيلية ، ولذلك قطع الجزية عن الملك فرديناند [٨٦].

ونتيجة لهذا قرر الملك القيام بحملة تأديبية فى ٢٥ يناير سنة ١٠٦٥م ضد مملكة سرقسطة، حيث توجه بجيشه إلى أراضيها الجنوبية (وهو الإقليم القديم السلت ايبرى celtiberia) مدمراً الكثير من القرى والمزارع والقلاع، حتى وصل إلى مدينة بلنسية [٨٧]،

٨٤- ابن عذارى : البيان ، ج٣ ، ص٢٣٩ ، عنان : دول الطوائف ، ص٨٧ .

85- El Cronicon del Silense , p. 139 ; Cronicon Complutense , p. 55; CF . also : Herculano , op. cit ., p. 236 ; Peres : Op. cit., p. 53 ; Merea , p. De “Portucale” (Civitar) ao portugal de D. Henrique , Porto, 1944 , p.25 .

86- Rodrigo , op. cit., p. 236 ; Lucas op.cit., p. 360 , Sandoval, op. cit., p. 15 CF . also : Fernandez , op.cit., p. 174 ; Pidal,La España, p. 100 .

- عنان : دول الطوائف، ص٢٢٤ .

٨٧- أشار عنان إلى أن عبد العزيز المنصور ١٠٢١-١٠٦١ / ٤١١م ٤٥٢هـ) وهو والد عبد الملك على علاقة طيبة بملوك اسبانيا المسيحية، وخاصة الملك فرديناند الأول وأنه استعان بفرق من النصارى في حروبه =

حيث بدأ حصارها وفى المقابل بدأ الارتباك داخل أسوار المدينة، ولكن أهلها أسرعوا بالتحصن خلف الأسوار، وعندما وجد الملك فرديناند صعوبة فى الاستيلاء على المدينة، لجأ إلى الحيلة، حيث تظاهر بالانسحاب نحو الشمال إلى موقع يدعى بطرنة، مما دفع غرور البلنسيين إلى الخروج بقيادة عبد الملك لمطاردة الفارين، ولكن كمن القشتاليون، ثم فاجئوا البلنسيون، وهزموهم وأمعنوا فيهم قتلا وأسرا، مما دفع الباقين إلى الارتداد إلى مدينتهم، يتبعهم الملك فرديناند، وتحصن فلول البلنسيين فى داخل المدينة، وعاد القشتاليون محاصرة المدينة، مما دفع المأمون للاسراع لنجدة صهره عبد الملك على الرغم من خضوعه لفرديناند ودفع الجزية له، ولكن حدث أن فرديناند قد شعر بالمرض، فقرر التراجع بقواته إلى ليون، حيث توفى بعد قليل فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٠٦٥م[٨٨].

وجدير بالذكر أن توجهه لحصار مدينة بلنسية، هل كان لحسابه الخاص، أم مساعدة للمأمون صاحب طليطلة والذى كان على خلاف وصراع مع زوج ابنته، وحاكم بنلسيه عبد الملك بن عبد العزيز بن أبى عامر حفيد المأمون[٨٩].

ونجد أن الرأى الأول هو الأقرب إلى منطق الأحداث، حيث أنه فى حملته المذكورة، قد وصل فى تحركه حتى مدينة بلنسيه، فرأى محاصرتها والاستيلاء عليها خاصة وأنه يعلم أحوالها وأحوال العلاقة بين عبد الملك، وصهره، ولذلك أراد انتهاز هذه الخلافات وتوسيع

= ضد مجاهد العامرى، ولم نجد إشارة واضحة لهذه الحروب، ولكن لانستبعد كما أشار على أساس أن جدته ترجع إلى نسب هؤلاء. (عنان: دول الطوائف، ص٢٢٢-٢٢٣).

٨٨- ابن عذارى: البيان، ج٣، ص٢٥٢-٢٥٣، عنان: دول الطوائف، ص٢٢٤ وقد أشارت أيضا المصادر والمراجع الاسبانية إلى نفس التفاصيل مع اختلافات صغيرة.

Cronica Najeranse, p. 108; Sandoval, op. cit., p. 15; CF . also : Pidal, la España, pp. 100-101 ; Fernandez , op. cit., p. 174 ; Lafuente, op. cit., p. 271 .

- دوزى: نفس المرجع والجزء، ص٨٢-٨٣.

٨٩- كان عبد الملك صهرا للمأمون بن ذى النون، وكان قد أساء السيرة مع زوجته بالإضافة إلى صفاته السيئة، ولذلك غضب منه المأمون بسبب ذلك، بالإضافة إلى أن المأمون كان قد طلب منه أن يرسل إليه فرقة من الجند لمساعدته فى حروبه، ولكن عبد الملك اعتذر مما أضمر له الشر.

- ابن عذارى: البيان، ج٣، ص٢٥٥، ٢٥٣، عنان: دول الطوائف، ص١٠١.

دائرة ملكه، ولكن يبدو أن بعض المؤرخين نادوا بالرأى الثانى لسببيت: الأول أن هناك اشارة غامضة لابن عذارى من أن المأمون استعان بفرقة من النصارى فى حروبه ضد عبد الملك، والثانى أنه أعقب معركة بطرنة استيلاء المأمون على بلنسية (٩٠)، ولكن بتحليل الرأى الثانى نجد أن ابن عذارى نفسه أشار إلى أن المأمون أسرع إلى نجدة بلنسية ، عندما حاصرها الملك فرديناند، بالإضافة إلى أن إشارة ابن عذارى غامضة ، ويشير إلى أنها «فرقة من النصارى» ويمكن أن تكون من إحدى الممالك الاسبانية الأخرى المتصارعة مع الملك فرديناند، ويبدو أن المؤرخين فسروا الفرقة بأنها تابعة لفرديناند على أساس أن المأمون يتبع فرديناند ، ويدفع له الجزية ولذلك نرى أن الرأى الأول هو الأقرب إلى منطق الأحداث وتؤكده المصادر نفسها.

وهكذا يعتبر الملك فرديناند الأول من أهم ملوك اسبانيا، حيث بدأت حركة الاسترداد تتبلور فعليا على يديه، ونجح فى استقطاع كثير من الأراضى والمدن والقلاع الإسلامية، وفرض سيطرته على أكبر ممالك الطوائف الإسلامية وأجبرهم على دفع الجزية له والاعتراف بالسيادة، وكان يحلم بطرد المسلمين من شبه الجزيرة قاطبة، ويتضح ذلك فى القول الذى أشرنا إليه من قبل عندما طلب منه أهل طليطلة الصلح ورد عليهم بأنه يريد طردهم من هذه البلاد، ويأمرهم بالرحيل إلى العدوة ، لأنه لن يتركهم حتى ينفذ ذلك، ويتضح زعامته لشبه الجزيرة أنه قبيل وفاته أعطى لسانشو الكبير قشتالة ، وحقوق الجزية على مملكة سرقسطة ، وخص الفونسو الابن الثانى بليون واشتوريا وحقوق الجزية على مملكة طليطلة ، وخص الابن الثالث جارثيا بجيلقيه والبرتغال وحقوق الجزية وعلى مملكتى اشبيلية وبطليوس (٩١).

ويتضح من ذلك أن الملك فرديناند الأول، أصبحت له الكلمة العليا فى شبه الجزيرة الايبرية سواء على الممالك المسيحية أو الممالك الإسلامية. وقد أشار راهب سليوس بنفس النص «قد أصبحت كلمة الملك فرديناند على كل أسبانيا هى العليا ويخضع له كل المسلمين»(٩٢). ولذلك

٩٠- هناك روايتين أشارت إليهما المصادر لاستيلاء المأمون على بلنسية : الأولى أنه جاء إلى بلنسية زائراً لصهره، فاستقبله ولكن المأمون دبر كمينا ، وقبض عليه واستولى على بلنسية والرواية الأخرى استعانته لغزو بلنسية بفرقة من النصارى، وهزيمته لعبد الملك ووقوعه فى الأسر . الرواية الأولى والثانية .

- أنظر : ابن عذارى، البيان ، ج٣ ، ص٢٢٦-٢٧ ، ٣٠٣ عنان ، دول الطوائف ، ص١٠١-١٠٢ . أما الرواية الثانية فقط أشار إليها اشباخ : نفس المرجع، ص٢١ .

91- El Cronicon del Silense , 161; Cronicon de las Reyes Leoneses, p. 323 .

جميع المصادر السابقة أشارت إلى نفس التقسيمات .

92- El Cronicon del Silense , p. 155 .

لقب بفرديناند العظيم El Mgno وكان يطلق عليه اسم الامبراطور نتيجة لرئاسته العليا على شبه الجزيرة بممالكها، خاصة وأن هذا اللقب ارتبط بمن يحكم مدينة ليون.

ولذلك وما تم استعراضه من غزواته وحملاته، واستيلاءاته على المدن والقلاع الإسلامية، يمكن أن نقرر بأن الملك فرديناند، قد تبلورت على يديه حركة الاسترداد، ويعتبر من أول وأكبر من حقق إنجازات ضخمة ضد المسلمين، أضافت إليه شهرة كبيرة بين ملوك الممالك الإسبانية، وفي الوقت نفسه يعتبر عهده حدا فاصلا بين مقاومة الإسبان، والدفاع عن وجودهم وكيانهم وبين بداية تطور فكرهم من الاستعداد لتغيير استراتيجيتهم، وبداية الهجوم، وتنفيذ حركة الاسترداد بشكل ملموس، وهدف واضح، وكل ذلك لما حدث للمسلمين من سقوط الخلافة الأموية وانقسامهم وتناحرهم فيما بينهم.

المصادر والمراجع

أولا : المصادر الإسبانية

- Carlos Prinicipe de Viana : "Cronica de los Reyes de Navarra" Valencia 1971 .

"Chronicon Conibricense" España Sagrada , T. 23, Preparar Por Henrique Florez, Madrid 1850 .

"Chronicon Lusitano" España Sagrada, t. 14 Preparar por Henrique Florez, Madrid 1905 .

" Cronica de la Corona de Aragon" : Barcelona 1919 .

"Cronica dos Godos Apendice Brandao, Cronica de Conde D. Henrique, D. Teresa E Infant D. Teresa E Infante D. Alfonso, Porto, 1944 .

" Cronicas Najerense" : Edicion Eindices por Antonio Ubieto Arteta, Valencia 1966 .

Cronicas Najerense " : Edicion Eindices por Antonio ubieto Arteta Valencia 1966 .

Cronica Navarras " Edicion Eindices por Antonio ubieto Arteta, Valencia 1964 .

" las cronicas Latianas de la Reconquista"

1- Anales Complutenses.

2- Cronicon Complutense. Cronicon Compostelano .

3- Cronicon de los Reyes Leoneses. Tomo 1, Valencia 1913 .

4- El Cronicon del Silense (Cronicon del Monje Silense) Tomo 2, Vaclencia 1913 .

5- El Cronicon del Silense (Cronicon del Monje Silense Tome 2, Valencia 1913 .

Lucas de Tuy : " Cronica de España " T.2, Publicada por Ramon Meneendez Pidal, Editorial Gredos, 1955 .

Rodrigo : Jimenes de Rada: " Historia de las hechos de España " Madrid 1982 .

Sandoval : F.P. " Historia de las Reyes de Castilla Y de Leon" Pampelona 1634 .

T. Arapha F" Chronica de España " Barcelona 1562 .

Zurita J." Anales de la Corona de Aragon: Tomo 1, Zaragoza 1976 .

ثانيًا : المصادر العربية:

ابن بسام : (ت ٥٤٢هـ ١١٤٧م) أبو الحسن على الشنتريني: «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» القسم الرابع المجلد الأول تحقيق / إحسان عباس، بيروت ١٩٧٩ .

ابن الخطيب : (٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله». أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام» تحقيق ليفى بروفنسال ، بيروت ١٩٥٦ .

ابن عذارى : (ت ٧١٢هـ / ١٣١٢م) أبو عبدالله محمد المراكشي . «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» الجزء الثالث تحقيق / إحسان عباس ، بيروت ١٩٨٠م.

ابن الكرديوسي: (عاش في القرن السادس الهجرى، الثاني عشر الميلادى) أبو مروان عبد الملك بن الكريوسي. «تاريخ الأندلس لابن الكريوسي ووصفه لابن الشباط» تحقيق د. أحمد مختار العبادى ، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، ١٩٧١م.

أبو الفدا: (ت ٧٣٠هـ / ١٣٣١م) الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا اسماعيل . «تقويم البلدان» باريس ١٨٩٠م.

الادريسى : (ت ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢م) الشريف محمد بن عبد العزيز . «صفة المغرب وأراضى السودان ومصر والأندلس ووصف أفريقيا وأسبانيا » تحقيق دوزى ، امستردام ١٩٦٩م.

الحميرى (عاش في القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى) أبى عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم. «صفة جزيرة الأندلس» تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧م.

عبد الواحد المراكشي : (٦٦٩هـ / ١٢٧١م) محى الدين عبد الواحد بن على. «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» تحقيق د. محمد سعيد العريان. القاهرة ١٩٦٣ .

ثالثا: المراجع الأوربية

- Callaghan, J.E. A history of Medieval Spain " London 1975. Fernandez,
  L.S. : " Historia de España " Edad Media, Madrid 1970 .
- Gomez Y Guevara : " Luistania Santiago de Chile 1977 .
- Herculano , AA.: Historia de Portugal T.1, Lisboa 1980 .
- Lafuente , M: Historia General de España T.I, Barcelona 1879 .
- Livemore, H:
  1- Portugal un. Press 1973 .
  2- A new history of Portugal Cambridge 1976 .
- Lomax, D.W.: La Reconquista Barcelona 1984 .
- Martin, J.L.: La Peninsula en la Edad Media Barcelona 1978 .
- Nartin, Y Dolores L Historia de Extremadura T.2, Badajoz 1985 .
- Martin , O: Historia de Portugal, vol . 1 (N.D)
- Merea, P.: De Portucale (Civita) as Portugal de D. Henrique Porto 1944 .
- Peres, D.: Como nasceu Porugal Porto 1931 .
- Pidal, R.M.:
  1- El Imperio Hispanico u las Cinco Reinos Madrid 1950 .
  2- La España del Cid Buenos Aires 1939 .
  3- El Conde Mozarabe Sisande Davidiz y la Politica de Albonso VI
  Con las Taifes Al- Andalus, vol . XII, 1947 .
- Rtu, M.R.: Edad Media 711-1500, Nadrid 1989 .
- Serroa, J.V. Historia de Portugal, vol .I , Lisboa 1976 .
- Srephens, H.M.: Portugal London 1891 .
- Valdeon, J: El Reino de Castilla en Edad Media, Bilboa 1972 .

رابعا : المراجع العربية والمعربة

- أشباخ : يوسف «تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين» الجزء الأول، القاهرة ١٩٤٠م .

- حسين مؤنس : دكتور:

١- فجر الأندلس القاهرة ١٩٥٩ .

٢- «بلادى وميلاد اشتوريس وقيام حركة المقاومة النصرانية فى شمال إسبانيا» فصلة من مجلة كلية الآداب- المجلد الحادى عشر، الجزء الأول، مايو ١٩٤٩ .

- دوزى : «تاريخ المسلمين فى الأندلس» الجزء الثانى والثالث ، ترجمة د. حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤-١٩٩٥م.

- محمد عبدالله عنان: «دول الطوائف» القاهرة ١٩٨٨م.

- محمد محمود النشار : دكتور:

١- «تأسيس مملكة البرتغال» مؤسسة عين القاهرة ، ١٩٩٥م.

٢- «البابوية وفرنسا على مسرح الحروب الصليبية فى الأندلس القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى» اتحاد المؤرخين العرب ١٩٩٦» ندوة الإطار التاريخى للحركة الصليبية».

- ليفى بروفنسال : دكتور «الإسلام فى المغرب والأندلس» ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم وآخرون، القاهرة (بدون تاريخ) .

(٢)

سياسة بدرو الثانى ملك أراجون فى جنوب فرنسا

(١١٩٦ - ١٢١٣م)

كان الارتباط بين إقليم كتالونيا وفرنسا[١] وثيقا منذ تأسيس الإمبراطور شارلمان لماركية أسبانيا (الثغر الأسبانى) فالثابت تاريخيا أنه نجح فى الاستيلاء على عدة مدن من أهمها أورخل Urgel وأوزنة وبرشلونة من مسلمى الأندلس فى سنة ٨٠١م وأصبحت هذه الماركية امتدادا فرنسيا[٢]، وظل ارتباط إقليم كتالونيا بفرنسا قائما حتى بعد أن أعلن حكام مدن هذا الثغر استقلالهم السياسى عن فرنسا على يد ويفريدو[٣] Wifredo وتمثل هذا الارتباط من خلال التبادل التجارى بين الإقليمين، فضلا عن علاقات المصاهرة وتوطيد أواصر الصداقة والتعاون ضد مسلمى الأندلس والذى تمثل فى أحداث عديدة[٤].

١- جدير بالذكر أن فرنسا كاصطلاح جغرافى لم تكن قد وجدت بعد كوحدة سياسية ولم يبدأ استخدام هذا الاسم إلا فى أوائل القرن الحادى عشر فقد كانت تطلق عليها اسم الأرض الكبيرة Tere Major أو بلاد الفرنجة أو بلاد الغال أو غاليا وكانت هذه الأراضى بعد زوال الحكم الرومانى قد انقسمت إلى عدة ولايات مستقلة ففى الجنوب سبتمانيا (أى المدن السبع) ثم أكيتانيا Aquitane وفى الشرق على وادى ردونه Rod-anus أى نهر الرون. نجد ولايتى بروفانس وبورجونيا وفى الشمال أى شمال نهر اللوار نجد مملكة الفرنجة الميروفنجية التى تمتد شرقا حتى تشمل المانيا حاليا.

أحمد مختار العبادى: تاريخ المغرب والأندلس، الاسكندرية (بدون تاريخ) ص٨٦ .

٢- محمد عبدالله عنان، دول الطوائف ، القاهرة ، ١٩٨٨م، ص٤٠٨ ، محمد مرسى الشيخ ، دولة الفرنجة وعلاقاتها بالأمويين فى الأندلس، الإسكندرية ١٩٨١م، ص١٦٩ . وراجع أيضا :

Antonio de la torre : La Reconquista en el Pirines , la reconquista Españolay la Antigua Mediay Mderna Historia de España XI (sid) , pp. 239-241 .

Lomax D. W., La Reconquista, Barcelona 1984 , p. 49 .

3- Canica de la Corona de Aragon , Año 1919 , p. 2 .

وانظر أيضا : أشباخ : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، القاهرة ١٩٤٠م ص١٢٥ .

٤- من أهمها على سبيل المثال هجوم المنصور ابن أبى عامر على برشلونة (٩٨٥م / ٣٧٥هـ) الذى أدى إلى دفع كثير من الفرنسيين للحضور دفاعا عن برشلونة ومساندة ريموند بوريل كونت برشلونة .

كان لعلاقات المصاهرة أبلغ الأثر فى توطيد الصلات إذ إن جنوب فرنسا كان تابعا لكونتية كتالونيا عن طريق وراثة أمرائها لهذه المناطق من خلال صلات المصاهرة القائمة بينهما وظهر هذا واضحا فى عهد ريموند برنجير الرابع أمير أراجون وكتالونيا حيث كان يحكم ولاية بروفانس الكونت برنجار ريموند (أخو ريموند برنجير الرابع) [٥].

ويرجع الفضل الأول لتأكيد امتداد نفوذ مملكة أراجون فى جنوب فرنسا لإلفونسو الثانى (العنيف Elcasto ١١٦٢-١١٩٦)[٦] وذلك من خلال حملاته المستمرة وحروبه فى تلك المناطق [٧]، التى استفدت كثيرا من جهوده وقواده [٨].

= Defoutneaux, M. Les Francias en Espagne aux XI et XII Siecles Paris 1949, p. 128-129 . Lomax , op. cit,p. 66 .

5- Dufourcq y Dalche Historia economicay Social de la España Cristiana en Edad Media, Barcelona , 1983, p. 124 .

أشباخ : نفس المرجع ، ج٢، ص٧ .

كان والدهما ريموند برنجير الثالث قد تزوج من دونيادولس وارثة ولاية بروفانس وضمت هذه الولاية لكتالونيا بالإضافة إلى بضعة إمارات صغيرة أخرى فيما وراء البرينيه سواء بموت أصحابها أو باتفاقات سابقة مثل أتونة وقرقشونة.

عنان، عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ج١، القاهرة ١٩٦٤ ، ص٥٠٠ .

٦- حدث خلط بين بعض المؤرخين الذين اعتبروا أن ريموند برنجير ابن ريموند برنجير الرابع وألفونسو الثانى ملك أراجون شخصين مختلفين ولكن فى الواقع هما شخص واحد لأن ريموند عند توليه العرش غير اسمه إلى ألفونسو الثانى.

Cronica de la Corona de Aragon, p. 42 .

Zurita J. : Anales de la Corona de Aragon, TI, Zaragoza 1976 , p. 240 .

٧- كان ألفونسو الثانى قد ضم إلى أملاكه كثيرا من الكونتات فى جنوب فرنسا أهمها كونتية بروفانس خاصة بعد وفاة أميرها ريموند برنجير فى ١١٦٦ ولم يكن له وريث وأيضا كونتية روسيليون بعد وفاة كونتها خيرارد بدون وريث بجانب حملاته العديدة من أجل توطيد أملاكه فى جنوب فرنسا .

Cronica de San Juan le la Paña . Valencia 1961 , pp. 126-133 , Zurita , op. cit pp. 278-283 cf . Also : Ballesterosy Beretta, Historia de España y su influencia en la historia , T2 Barcelona 1944, p. 504 Chaylor . H J. : A History of Aragon and Catalonia , New York 1969 , p. 68 .

٨- قد بدأ حكمه بنشاط فى اتجاهين مهمين أولا تأكيد وتوسيع أملاكه فى جنوب فرنسا والثانى تحرير =

توفى الملك ألفونسو الثانى فى بربينيان Perpinan ٢٥ أبريل ١١٩٦ م وترك مملكة قوية متسعة الأملاك وقسمت المملكة بين ولديه (٩)، فابنه الأول بدرو الثانى حصل على مملكة أراجون وكونتية كتالونيا وكونتيات روسيليون وبياس Pallas وحقوق الولاية على مدينة بيزية Beses حتى أطراف أسبا Aspa، بينما ورث ابنه الثانى ألفونسو كونتيات ، بينما ورث ابنه الثانى ألفونسو كونتيات بروفنسيا وميبيانMillan وجابلدا Gavalda ورودييز Rodez وBeses حتى أطراف أسبا Aspa وحقوق الولاية تجاه مونبلية(١٠).

بدأ بدرو الثانى حكمه (٢٥ أبريل ١١٩٦م) تحت وصاية أمه الملكة سانشا لحين بلوغه العشرين (١١)، والتى أكملها فى ١٦ مايو سنة ١١٩٦ وذلك بعد خلافات مع أمه واحتفل بتنصيبه ملكا لأراجون فى سرقسطة وفيه أكد أمتيازات وحقوق النبلاء و(التى منحها

= مملكة أراجون من الخضوع الإقطاعى وقطع هذه الصلة بمملكة قشتالة ففى الأولى نجح إلى حد كبير حتى أنه كان يدعى بامبراطور البرينيه وفى الاتجاه الثانى نجح فى فى ذلك عندما ساعد الملك القشتالى الفونسو الثامن فى استعادة قوينقه وبناء عليه حرر من الخضوع الإقطاعى .

Lozoya , M: Historia de España , T2 Barcelona 1967 , pp. 61-62 ; Ramsey , J.F. Spain , the un . of Alabama press, 1973 , p. 75 .

٩- ترك الملك ألفونسو الثانى ثلاثة أولاد هم بدرو وألفونسو وفرديناند والأخير كان راهبا فى دير السيستر شيان أما بالنسبة للإناث فقد اختلفت المصادر فمدونة روديك الطليطلى ومدونة سان خوان دى لابينا أشارا إلى ثلاثة . أما حوليات ثوريتا فأشارت إلى أربعة الأولى دونيا كونستانس والتى كانت متزوجة من أمريكو ملك هنغاريا والتى بعد وفاته ستتزوج من الملك فردريك الثانى ملك صقلية (والإمبراطور للإمبراطورية الألمانية المقدسة) والثانية والثالثة لينور وسانشا ستتزوجا من الأب والابن وكلاهما كونتات مدينة تولوز ولهما نفس الاسم ريموند السادس ثم السابع والرابعة دونيا دولس Dulce والتى كانت راهبة فى دير Sijeno تابعا لجماعة فرسان القديس يوحنا (الاسبتارية) .

Rodrigo , J.R.: Historia de los hechos de Españe , Madrid 1982 , p. 224 ; Cronica de San Juan de la peno , a 131 ; Zurita op. cit , p. 299 ; Cronica de pere Maca , Univesidad de Velencia 1979, p. 24 .

10- Zurita , op. cit , p. 299 CF . also Bellesteros, op. cit, p. 509 .

١١- ولد بدرو الثانى سنة ١١٧٧ كما أشار المؤرخ : =

أسـلافـه) ثم دعى الكورتيس Cortes للاجتماع فى مدينة دروقة وبحضور والدته فى ١٣ سبتمبر ١١٩٦ ووافق المجتمعون على تتويج الملك وفى المقابل أقر الملك الامتيازات والمنح للنبـلاء [١٢]، ويبدو أن الخلاف القائم - قبيل تنصيبه- مع والدته والتى رغبت فى أن ينفذ ابنها بدرو الثانى وصية والده فى تبعية بعض الحصون والقلاع فى كتالونيا لوالدته قد تصاعد مما أدى إلى تدخل الفونسو الثامن ملك قشتالة عندما اجتمع مع بدرو الثانى وأمه فى أريزا Ariza فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٢٠٠م، وانتهى الاجتماع بالاتفاق على أن يتنازل الملك الأراجونى عن بعض القلاع الجنوبية لمملكة أراجون على الحدود القشتالية مثر أريزا Ariza وأبلى Apile وفى الوقت نفسه تتسلم أراجون مدينة طرطوشة[١٣]، وبعض المدن من الملك القشتالى مع تأكيد الملك بدرو الثانى على التسليم باحتفاظ الملكة لبعض القلاع فى كتالونيا[١٤].

استمر الملك بدرو الثانى يسير على نفس سياسة أسلافه فى الاهتمام بشئون أملاكه فى جنوب فرنسا والتى استغرقت جل اهتمامه وأعماله حيث إنها جلبت عليه مشاكل عديدة بين تمرد بعض الأمراء المحليين بالإضافة إلى اختلافهم فيما بينهم وبين رغبة شمال فرنسا

= Enric : B'Pere el Catolic, Els Primers Comtes - Reis - Historia de Catalunya vol 4 editorial vicens vives (eld), p. 107 .

يعنى ذلك أنه عندما تولى كان عمره ١٩ عاما وذلك ينفى ما ذكره بعض المؤرخين وعلى رأسهم (أشباخ ، نفس المرجع ج٢ ، ص١٢٥) بأن عمره كان ٢٣ عاما ومما يؤكد هذا أنه فعلا عند وفاة أبيه لم يكمل عشرون عاما وانتظر خمسة شهور حتى يكمل العشرون عاما كما أشار المؤرخ لوزيا.

Lozoya, op. cit, T2, p. 61 .

12- Cronica de la Corona de Aragon p. 47 , Zurita op. cit , p. 301 .

أشباخ ، نفس المرجع، ج٢، ص١٢٥ .

١٣- كانت مدينة طرطوشة قد استولى عليها ريموند برنجير الرابع فى سنة ١١٤٨م من المرابطين وذلك بمساعدة قوات من البيزيين والجنويين وفرسان الداوية وإن كان قد سلمت بعد ذلك إلى الملك ألفونسو السابع.

Soler, A.G.: La edad Media en la Corona de Aragon , Barcelona 1930 , p. 110; Corredera, E: Noticia de las Condes de Urgel, Lerida 1973 , p. 97 .

14- Zurita, op. cit , pp. 303-304, ce also : Ballesteros, op. cit., p. 510 .

عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ج٢ ، ص٦٠٣ .

(فيليب أغسطس) في فرض سيادتها على جنوب فرنسا [١٥]، مما كان له أثر كبير على سياسته الداخلية [١٦].

بدأت أحداث جنوب فرنسا تشد انتباه الملك بدرو الثاني وكانت أول اهتماماته هو توطيد أملاكه في جنوب فرنسا وذلك لإنهاء العداء المستمر بين كونتات تولوز ومملكة أراجون[١٧]، ومن أجل ذلك عقد اتفاقية تحالف في بربيجنان Perpgnan بينهما في سنة ١٢٠٠م وزوج أخته دونيا لينور من ريموند السادس كونت تولوز [١٨]، وبهذا انتهى العداء التقليدي بينهما مما كان له أكبر الأثر في توطيد أملاكه .

تتابعت أحداث جنوب فرنسا عندما اندلعت الحرب بين أخيه الفونسو كونت بروفنسيا وجالرمو كونت فوركالكير Forcalquer بسبب هجوم الأخير على أراضي الأول واستيلائه على بعض القلاع[١٩] في سنة ١٢٠٤م وهنا توجه الملك بدرو الثاني إلى بروفنسيا لأجل إنهاء هذه الحرب بينهم، وطلب من المتنازعين الحضور أمامه وعقد هدنة وترك الخلافات وقد انضم لتأكيد

15- Chaytor , Op. cit, p.68 .

١٦- الواقع اتسمت فترة حكم بدرو الثاني بالنزاعات المستمرة مع نبلاء المملكة حتى لقد أطلق أحد المؤرخين على سياسته الداخلية كلمة واحدة هي افلاس.

Munoz , A.S: Aragon en su historia , Zaragoza 1984 . p. 38 .

١٧- انظر تفاصيل هذا العداء ، والحملات المستمرة للملك الفونسو الثاني ضد كونتية تولوز.

Rodrigo , Op. cit, p. 224 ; CF , also : Lozoya op. cit, pp. 58-59 ; Ballesteros, op. cit, p. 504 .

18- Zurita, op. cit .p. 304 ; Cronica Latina de los Reyes de Castilla, Universidad de cadiz 1984 , p. 30 , CF also : Lozoya , op. cit, p. 61 .

١٩- كان سبب تلك الحرب أنه قد تم الاتفاق بين الملك الفونسو الثاني والكونت جالرمو على زواج ابنة أخته جارسيد Garsebd بابنه الفونسو كونت بروفنسيا وتمت الخطبة وتوفى الملك الفونسو الثاني وهنا حسب الاتفاق لم يحصل كونت جالرمو على دوطة زواج ابنة أخته ولذلك توجه إلى كونتية بروفنسيا واستولى على بعض القلاع وأهمها قلعة سيستريكو Sistarico وقتل حاميتها وكان مدفوعا بذلك من كونت سانشو عم الملك وحاكم روسيليون وأيضا ساعده هوجو دي باثيو Hugo de Baucio وأخيه ريموند وكثير من نبلاء فرنسا.

Zurita , op. cit , p. 306; Cronica de la Corona de Aragon , p. 50 .

هذه الاتفاقية كونتات ناربونى وتولوز وبعض الأساقفة، وأعلن الملك أنه يضع تلك القلعة (سبب النزاع) تحت سلطاته وهى على ساحل بروفنسيا واشترط الملك أنه فى حالة عدم إنجاب أخيه ألفونسو كونت بروفنسيا أولادا تعود إلى الكونت جالرمو، وبذلك نجح فى إنهاء هذه الحرب وأخضع هذا الكونت (جالرمو) لسلطته [٢٠].

بعد توطيد الأمور فى جنوب فرنسا شرع الملك بدرو الثانى فى التجهيز للقيام برحلته الشهيرة إلى روما من أجل أن يتوج على يد البابا أنوست الثالث (١١٩٨-١٢١٦م)[٢١] فى روما وعرض مشروعا لحملة صليبية بالاشتراك مع جنوة وبيزا للاستيلاء على جزر البليار (مايورقة ومنورقة) [٢٢]. ولتحقيق ذلك أرسل إحدى السفارات لبابا روما يطلب السماح له بالتوجه إليه للتويج على يده وعرض مشروع الحملة الصليبية ، وقد استقبل البابا السفارة بلطف كبير وأجاب بتأييد ومباركة هذا المشروع وفى الوقت نفسه عرض على الملك الأراجونى

20- Cronica de San Juan de la Peña, p. 13; Zurita , op. cit , p. 306; CF also : Fernandez , L.S.: historia de España Edad Media Madrid 1970 , p. 268 .

أشار أشباخ إلى أن هذه الأحداث كانت فى سنة ١٢٠٢م ، والواقع أنها كانت فى سنة ١٢٠٤م حيث بعدها مباشرة من بروفنسيا كانت الرحلة الشهيرة للملك بدرو الثانى إلى روما.

أشباخ ، نفس المرجع . ج٢ ، ص١٢٧ .

٢١- كان البابا أنوسنت الثالث قد تولى المنصب بعد وفاة البابا سلستين الثالث وهو واحد من البابوات الأكثر حيوية وطاقة وقد أبدى صلابة شديدة فى تأكيد وتوسيع نفوذ البابوية وكان من أكبر البابوات الداعين للحرب ضد المسلمين سواء أكان فى بلاد الشام والتى تمثلت فى دعوته للحملة الصليبية الرابعة ضد مصر والتى انحرفت القسطنطينية وأيضا أعد العدة للحملة الصليبية الخامسة بالدعوة لها وفى نفس الوقت هو الذى دعا إلى الحرب الصليبية ضد المسلمين فى الأندلس وأمر بتوجه المسيحيين لمساعدة ملوك أسبانيا ضد المسلمين وانبثقت عن دعوته حضور كثيرا من الصليبين من إيطاليا وفرنسا وألمانيا وإنجلترا واجتمعوا مع قوات الممالك المسيحية فى أسبانيا بقيادة الفونسو الثامن وهزموا المسلمين (الموحدين) فى موقعة العقاب الشهيرة سنة ١٢١٢ .

انظر لمزيد من التفاصيل .

Rodrigo , op. cit , p. 308 .

عنان : عصر المرابطين والموحدين . ج، ص٨٨-٨٩ ، فشر : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى، دار المعارف، ٩٧٦ ، ص٤ .

التوسط من أجل زواج فردريك الثانى ملك صقلية - والذى ناشده بذلك- من الملكة دونيا كونستانس أخت الملك وأرملة أمريكو ملك هنغاريا (٢٣).

أما عن أهداف ومبررات بدرو الثانى ملك أراجون من التتويج فقد كان يحدوه آمالا كبيرة فى تدعيم المركز الدولى لمملكته مستمدا هذه السياسة من أسلافه من منطلق العلاقات القوية بين البابوية ومملكة أراجون منذ عهد راميرو الأول(٢٤) وخلفائه بجانب نزعته الدينية والتى أشارت إليها المدونات التاريخية بالإضافة إلى استخدام هذه العلاقات القوية بالبابوية فى تأكيد نفوذ دولته أمام الممالك الأخرى فى شبه الجزيرة وفى الوقت نفسه ليضفى على حكمه شرعية دينية فى مواجهة النبلاء فى مملكته(٢٥) وليدحض دعواهم بأنهم أصحاب الحق فى منح

22- Zurita , op. cit , p. 309 ; CF also : Soler, op. cit, p. 124 ; Chaytor, op. cit, p. 69 .

عنان ، المرجع السابق، ج٢، ص٣٠٦ .

23- Zurita, op. cit, p. 309 .

٢٤- كان راميرو الأول من أول ملوك الممالك المسيحية الأسبانية الذين اعترفوا بالبابا وكنيسته عندما عقد فى جاقة ١٠٦٠م / ٤٥٠هـ مجمع فرض فيه أن يرسل إلى روما عشر إيراد دولته وعشر الجزية التى يحصل عليها من مسلمى سرقسطة وتطيلة وأن يلتزم أبنائه من بعده بذلك مع الوعد باستبدال طقوس الصلاة القوطية بالطقوس الرومانية وبذلك أصبحت مملكة أراجون تتبع البابوية اقطاعيا مما جعل البابا اسكندر الثانى يقرر تقديم المساعدات لها .

Zurita , op. cit , pp. 68-69 ; CF. also : Ballesteros , op. cit, p. 44 .

وتوالت اعترافات ملوك أراجون بالخضوع الاقطاعى للبابوية متمثلا فى ريموند برنجير الرابع والذى أعلن الخضوع الاقطاعى للبابا أدريان الرابع فى ١١٥٦ وأيضا لاسكندر الثالث عن طريق الفونسو الثانى ملك أراجون .

Kehr , p. El Papado y los Reinos de Navarra y Aragon.

٢٥- كان منذ بداية حكم بدرو الثانى وهو فى نزاعات مستمرة مع نبلاء مملكه إذ أنه اتبع سياسة قوية ضد النبلاء والبارونات وحاول التقليل من سلطاتهم ونفوذهم والذين حاولوا تعضيد الملكة فى نزاعها معه واستمروا على هذا المنوال طيلة حكمه ولمزيد من التفاصيل عن هذه النزاعات انظر:

Cronica de la Corana de Aragon , pp. 47-79 ; Pidal , R.M. El Imperio Hispanico y los Cinco Reinos , Madrid , 1950 , p. 196 .

أشباخ ، نفس المرجع ، ج٢ ، ص١٢٥-١٢٧ .

التاج ، ويقضى على دعاوى ملوك قشتالة والذين كانت لهم السلطة العليا على أراجون حتى سنة ١١٧٧م [٢٦].

أما بالنسبة لمشروع الحملة الصليبية لاستعادة جزر البليار من أيدى المسلمين يمكن تفسيرها في ضوء الأحداث آنذاك حيث كان استيلاء الموحدين على جزيرتى مايورقة ومنورقة من أيدى أسرة بنى غانية المرابطى فى عام ١٢٠٣م / ٦٠٠هـ [٢٧].

أصبحت مملكة أراجون مهددة من قوة جديدة أشد بأسا وأعظم قوة[٢٨] . هذا بالإضافة إلى أن بدرو الثانى كان يرنو إلى تأسيس قوة بحرية أراجونية فى الحوض الغربى للبحر المتوسط ليحمى مملكته وفى الوقت نفسه يحمى تجارة كتالونيا النامية فى الحوض الغربى للبحر المتوسط آنذاك [٢٩].

على أية حال ، فبعد أن وطد بدرو الثانى السلام فى بروفنسيا جنوب فرنسا[٣٠] أبحر الملك فى أسطول مكون من خمس سفن ويصحبته نبلاء كتالونيا وبروفنسيا والأساقفة فى موكب

٢٦- أشباخ ، نفس المرجع ، ج٢ ، ص١٢٨ . Ramsey , op. cit, p. 75

حقيقة أن ألفونسو الثامن قد حرر مملكة أراجون من التبعية الاقطاعية عندما ساعده الفونسو الثانى فى استعادة قوينقه سنة ١١٧٧م ولكن مملكة قشتالة تعتبر نفسها لها السيادة على مملكة أراجون.

٢٧- عبد الواحد المراكشى ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، المغرب ط. السابعة، ١٩٧٨، ص٤٥٦-٤٥٨ .

الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس، القاهرة، ص١٩١ .

28- Huici , A.M: Historia Politica del Imperio Almohade, T2, Tetuan 1956 , p. 397 .

وكان لاستيلاء الموحدين على هذه الجزر أثره على الملك بدرو الثانى إذ أنه كان لايخشى من أسرة بنى غانية المواجهين لسواحل مملكته وذلك لسببين أولهما انشغاله بحرب الموحدين مما دفعهم إلى التهادن مع الممالك والإمارات المسيحية فى الحوض الغربى للبحر المتوسط والأخير أنه مهما بلغت قوتهم البحرية فإنهم لايشكلون خطرا كبيرا على مملكته ، ولكن بعد استيلاء الموحدين على جزر البليار كان التهديد الأكبر لسواحل مملكته . عصام سالم : جزر الأندلس المنسية ، بيروت ١٩٨٤م ص٤٠٤ .

29- Lozoya , op. cit , p. 61 .

٣٠- أشار أحد المؤرخين إلى أنه خرج من مرسية وليست بروفنسيا Idem ولكن المصادر وكثيرا من المؤرخين أشاروا إلى أنه سافر من بروفنسيا بعد توطيد السلام فى جنوبها .

Cronica de la Corona de Aragon , p. 51 ; Zurita op . cit , p. 309 CF also : Ballesteros, op. cit, p. 511 .

فخم حتى وصل إلى ميناء جنوة واستقبل استقبالا حافلا [٣١]، ثم توجه إلى ميناء أوستيا حيث استقبله نبلاء روما والكاردينالات وصحبوه حتى روما [٣٢]، فى ٨ نوفمبر سنة ١٢٠٤م وقضى الملك ثلاثة أيام ليرتاح من عناء السفر، صحبه بعدها البابا ومعه الكاردينالات والأساقفة والرهبان إلى دير سان بانكرثيو Pancracio ثم سار بدرو فى ثيابه الملوكية بجانب البابا إلى كنيسة القديس بطرس ووضع على الهيكل التاج والصولجان رمزا إلى أنه يقدم مملكته إلى القديس بطرس وبالتالى قدم إليه البابا السيف دلالة على أنه يرد إليه المملكة مع خضوعه لأداء الجزية ووضع بدرو على الهيكل وثيقة بأن يؤدى جزية سنوية مقدارها ستون قطعة ذهبية [٣٣]، ثم ركع ووضع البابا التاج على رأسه [٣٤]. وتعهد بدرو نظير ذلك بأن يدافع عن المذهب الكاثوليكى وأن يحترم حريات الكنائس وامتيازاتها ويطارد الكفرة وأن يقيم العدل فى سائر بلاده وأن يحكم أراجون وكتالونيا كإقطاع من البابوية مع دفع الجزية[٣٥]، ولخلفائه نفس هذا التعهد ، ورد البابا بمنح حق تتويج ملوك أراجون فى سرقسطة على يد رئيس أساقفة طركونة على أن تطلب موافقة البابا قبل ذلك [٣٦]، وقد أعطى البابا

٣١- لم تشر المصادر إلى موضوع الحملة الصليبية الذى يحمله بالاشتراك مع جنوة .

32- Zurita, op. cit , p. 310 ; CF . also : Ballesteros , op. cit , loc . cit .

٣٣- وفى رواية أخرى ٢٥٠ Mazmudinas .

Riu , M.R. Ranual : Mazmudinas de Historia de España , Edad Media 711-1500, Madrid 1989 , p. 235 .

34- Cronica de la Corana de Aragon, p. 51 CF . also : Enric , op . cit , p. 120 ; Chapman, E.C : A History of Spain, New York Barcelone 1975 , p. 354 .

أشباخ :نفس المرجع ، ج٢ ص١٢٨-١٢٩ .

٣٥- وكان الملك قد ألقى القسم الآتى «أنا بدرو ملك أراجون أقسم وأتعهد بأن أكون دائما مخلص ومطيعا لسيدى البابا أنوسنت وخلفائه وأن تكون مملكتى على مثل هذا الإخلاص والطاعة وأن أحافظ على دين الكثلكة وأقمع كل ضروب الإلحاد وأن أحمى حريات الكنيسة وحقوقها وأن أعمل على تحقيق العدالة والسلام فى جميع أراضى المملكة وكان الله والإنجيل فى عونى »

أشباخ : نفس المرجع والجزء والصفحات .

Chaytor , op. cit , p. 69 .

٣٦- راجع تفصيلات ذلك فى :

Cronica de Juan de la pena, p. 137 ; Rodrigo , op. cit p. 225 ; Zurita , op. cit , p. 310 CF . also : Munoz , op. cit , pp. 138-139 ; Soler , op. cit , p. 124 .

راية الكرسى المقدسة ولقب حامل الراية[٣٧]، وبهذا اعتبر بدرو قائداً لجيوش البابوية ثم أمر البابا بمصاحبة الكاردنالات والنبلاء له حتى ضفاف نهر التيبر Tiber لتوديعه .

وتجدر الإشارة هنا أنه لم تمدنا المصادر المعاصرة بما تم بشأن مشروع الحملة الصليبية لاستعادة جزر البليار الذى كان يحمله لعرضه على البابا وباشتراك جمهورتى جنوة وبيزا، ويبدو أن سبب فشل مشروع الحملة يرجع إلى اعتذار جمهورية جنوة عن الاشتراك فيها لعدم استعدادها وما اقترحه البابا على الملك بدرو الثانى بشأن زواج فردريك الثانى ملك صقلية من الملكة كونستانس الأرملة . ويبدو أن هذا الموضوع كان لديه عوائق حتى تم تنفيذه بعد ذلك بخمس سنوات .

بمجرد عودة الملك بدرو الثانى بعد تتويجه فى روما واجهته مشكلتان كبيرتان : المشكلة الأولى تتمثل فى احتجاج النبلاء والفرسان (والذى أصبح سمة فى عهده) عليه لسببين أولهما، أنه لم يستشيرهم فى هذه الخطوة قبل أن يقوم بها والثانى تذمرهم من خضوعه وأداء الجزية ومملكتهم تمر بظروف اقتصادية صعبة وطالبوه بسحب اعترافه بالتبعية الإقطاعية للبابوية ولكنه اضطر إلى دفع الجزية التى تعهد بها [٣٨]، وذلك عن طريق فرض بعض التشريعات التى حاول أن يسنها فى شئون الضرائب وغيرها مثل ضريبة مونديخ Monedaje والتى بمقتضاها يجب على النبلاء والرعايا الأحرار فى المدن أن يؤدوا عن جميع الثروات العقارية والمنقولة اثنتى عشرة فلسا عن كل ما قيمته جنيه وذلك مما أزاد فى السخط واحتجاج النبلاء واعتراضهم[٤٠]. أما المشكلة الثانية فهى أن السلام الذى وطده بين جالرمو كونت بروفنسيا قد نقض وذلك عندما شن كونت فوركالكير الحرب ضد كونت بروفنسيا وذلك

عنان ، المرجع السابق، ج٢، ص٦٠٣-٦٠٤ .

أشباخ ، نفس المرجع والجزء والصفحة.

37- Lozoya, op. cit , loc cit .

٣٨- ترتبط رحلة بدرو الثانى إلى روما بتفاصيل الأحداث التالية فى صفحات البحث .

٣٩- أشباخ ، نفس المرجع ، ج٢ ، ص١٢٩ ، عنان ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص٦٠٤ .

40- Cronica de la Corona de Aragon, p. 52 ; CF . also : Fernandez, op. cit , p. 277 .

أشباخ : نفس المرجع ، ج٢ ، ص١٣٠ .

بالدخول إلى أراضيه والانتصار عليه وأسره ، وهنا قرر الملك بدرو الثانى التوجه بجيشه لمحاربة كونت فوركالكير حتى أرغمه على إطلاق سراح أخيه [٤١].

أما قضية زواج الملك بدرو الثانى فكان يهدف به إلى تحقيق مصلحة مملكته أى أنه يبحث عن الزواج السياسى فقد تعددت مشاريعه [٤٢]، وكان أهمها المشروع الثالث للزواج، الارتباط

41- Cronica de la corona de Aragon , p. 51 ; Zurita , op. cit , p. 312 .

٤٢- المشروع الأول عندما تحالف مع ملك قشتالة الفونسو الثامن فى الحرب ضد مملكة ليون ثم تصالحوا وتحالفوا جميعا ضد ملك نافار، وتوجه الملوك الثلاثة تجاه أراضى نافار (١٢٠٤م) واستولوا على عدة قلاع أهمها Roncesvalles و Aibar واللتان طالب بهما ملك أراجون على أساس أنهم تابعتان لأراضيه مما دفع أنوسنت الثالث أن يطلب منهم التوقف عن القتال وتوطيد السلام بينهم واقترح أن يتزوج الملك الأراجونى من ابنة الملك النافارى ، ولكن لم يتم هذا للقرابة بينهما (من الدرجة الثالثة) ولمزيد من التفاصيل انظر:

Zurita, op. cit, p. 317 , CF . also : Ballesteros, op. cit, pp. 511-512 .

أما بالنسبة للمشروع الثانى للزواج جاء من مستشارى ماريا وريثة مملكة بيت المقدس حيث إن الصليبيين فى بلاد الشام يرغبون فى أن يحكم مملكتهم بدرو الثانى نظراً لما عرف عنه الشجاعة وأنه من أفضل الفرسان آنذاك وأنهم يحتاجون إلى مثل هذه الشخصية للدفاع عن الخطر الذى يواجهه الصليبيون فى بلاد الشام وخاصة بعد فقد كثير من أراضيهم والتى استولى عليها الأيوبيون، ولذلك أرسلوا سفارة للملك الأراجونى من أجل الزواج بالملكة ماريا للحفاظ على مملكتهم وأن الملكة أقسمت بوافقتها على الزواج أمام هؤلاء السفراء ونبلاء كثيرين، ولكن أثناء المفاوضات اتجه بدرو الثانى اتجاها آخر فى الزواج من ماريا دى مونبليه .

Zurita, op. cit, pp. 319-321 ; CF. also : Ballesteros, op. cit, loc cit .

وجدير بالإشارة أن ماريا هى ابنة إيزابيلا والماركيز كونراد ، لمزيد من التفاصيل عن مشروع هذا الزواج انظر:

Eijan . S, Relaciones mutuas de España y tierra Santa Santiago , 1912 , p. 136-138 .

والواقع أن انصراف بدرو الثانى عن الزواج بالملكة ماريا وريثة بيت المقدس لأنه كان مشروط بحضوره وحكمه لمملكة بيت المقدس ويعنى ذلك التخلى عن مملكة أراجون لأن الأوضاع فى مملكة بيت المقدس تستلزم بقاءه هناك فى حين أن مملكة أراجون هى مملكته ومملكة أجداده ولن يكون عمليا أن يبقى فى بلاد الشام ويحكم من هناك مملكة أراجون خاصة وأنه كان على علاقات سيئة بنبلائه .

بماريادى مونبلييه Maria de Montpellier وريثة اقطاع مونبلييه[٤٣] والتى كانت قد ترملت بعد وفاة زوجها كونت مارسيليا وتزوجت للمرة الثانية فى ديسمبر سنة ١١٩٧ م من كونت برنار كونت كومنجز Cominges والتى طلقت منه للقرابة والتى أصبحت بعد وفاة أبيها وريثة كونتية مونبلييه[٤٤].

هنا رأى الملك بدرو الثانى الفرصة سانحة لضم كونتية مونبلييه إلى أملاكه بهذا الزواج - وقد نفذ الأبناء ما عجز عنه الآباء من زواج ألفونسو الثانى أبيه بأمها البرنسيسة البيزنطية- وتأكيداً لسياسته التى أخذ على عاتقه تنفيذها من توسيع وتأكيد نفوذه فى جنوب فرنسا[٤٥]، وقد تم الزواج فى ٢١ من سبتمبر سنة ١٢٠٤م[٤٦]. واستقبل نبأ الزواج فى هذه المدينة (مونبلييه) استقبالا رائعا وأقسم نبلاؤها على قبولهم بالخضوع الإقطاعى للملك وفى المقابل أقسم الملك على حماية الامتيازات لكونتية مونبلييه قبل إتمام الزواج بشهر أى فى شهر أغسطس سنة ١٢٠٤م وأن الامتيازات التى أقسم عليها الملك يلتزم بها خلفاؤه[٤٧] تجاه هذه

٤٣- كانت أوديشيا Eudaxia ابنة الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين (١١٤٣-١١٨٠م) قد حضرت من القسطنطينية من أجل الزواج بألفونسو الثانى ملك أراجون- والد الملك بدرو- ولكنه نتيجة ميزان مصالحه تخلى عن هذا الزواج وتزوج من سانشا ابنة ملك قشتالة، وكانت البرنسيسة البيزنطية آنذاك قد وصلت إلى مونبيليه عند احتفال الملك الفونسو بزواجه من القشتالية وكانت صدمة للأميرة والتى سرعان ما عرض عليها جليوم الثامن Guellem VIII كونت مونبيليه الأرمل الزواج فوافقت وتزوجت منه ومن هذا الزواج ولدت دونيا ماريا والتى بعد وفاة أبيها أصبحت الوريثة الوحيدة لكونتية مونبيليه.

Soler, op. cit , p. 124 ; Enric , op. cit, pp. 110-111.

حقيقة أن جالرمو قد طلق هذه البرنسيسة البيزنطية وعقد زواج جديد ولكن البابا أنكر الاعتراف بهذا الزواج الجديد وعدم شرعية الأبناء الذين ينجبون من هذا الزواج. Lozoya , op. cit , p. 62.

44- Cronica de Maca, p. 25; Cf . also : Soler , op. cit , loc cit Choytor , op. cit, pp. 68-69 .

٤٥- وكان قد اعتمد على تأكيد نفوذه بالزواج السياسى - كما أشرنا- عندما زوج أخته ليونور بريموند السادس ثم بعد وفاته زوج أخته الثانية بابنه ريموند السابع كونتات تولوز .

Chaytor , op. cit, p. 68 .

46- Rodrigo , Op. cit, p. 225 ; Cronica de la corona de Aragon, p. 53 ; Zurita, op. cit, p.321.

أشار المؤرخ المحدث لوزيا بأن الزواج تم فى ٥ من يونيو ١٢٠٤ بعكس المصادر السابقة Lozoya, op. cit, loc.

47- Lozoya , op. cit, loc cit .

الكونتية وإن كان قد نقض بعض الامتيازات[٤٨] بعد ذلك- وعلى هذا النحو تم الزواج، غير أن الملك بدرو لم يسعد به رغم جمالها وشبابها فلم يشعر بانجذاب نحوها ونفر منها بعد الزواج بقليل وأهملها تماما وأبقاها فى مونبيليه[٤٩] وهذا يدعم رأينا أن الغرض من هذا الزواج كان غرضا سياسيا، ومنذ عام ١٢٠٦م مرت مملكة أراجون بظروف اقتصادية صعبة تمثلت فى الصراعات المستمرة مع النبلاء ومحاولة فرض الضرائب الجديدة[٥٠].

ولاحت للملك بدرو إحدى الفرص للاستيلاء على كونتية أورخل[٥١] الغنية من أجل إصلاح أحواله المالية، ففى فبراير سنة ١٢٠٦ عقد اتفاقا مع جويرو كابريرا Guerau Cabrera لكى يساعده فى الاستيلاء على تلك الكونتية[٥٢] وإن كانت المصادر لم تشر إلى بنود هذه الاتفاقية إلا أنها لم تبرز أحداثها إلا عندما توفى الكونت أرمنجول الثامن Armengol VIII[٥٣] فى ٨ مايو سنة ١٢٠٨م وترك ابنة صغيرة ووحيدة هى أورمبياكس Aurembiaix من زوجته البيرا Alvira كونتيسة سوبريتس Subirats حيث أصبحت الكونتية تحت أطماع كل من من الملك بدرو الثانى وجويرو كابريرا وكان على ألبيرا أن تحافظ على الكونتية، وفطنت إلى احتياج بدرو الثانى إلى المال ولذلك عقدت معه اتفاقية لحمايتها من أعدائها وتقديم الولاء والطاعة له وعرضت له كل إمكانياتها وذلك حماية لحقوق ابنتها واضطرت فى نهاية الأمر إلى التنازل عن الكونتية لبدرو الثانى فى ٣١ من أكتوبر سنة ١٢٠٩م[٥٤].

٤٨- كان الملك بدرو الثانى قد انتهك تلك الحقوق والامتيازات التى أقسم عليها لسكان المدينة ولذلك قامت التمردات ولهذا واستغرقت جهود طويلة من أجل القضاء عليها . Ibid

49- Soler, op.cit, Loc cit .

٥٠- أشار رودريك الطليطلى إلى الأزمات الاقتصادية التى عانت منها مملكة أراجون . انظر Rodrigo, op. cit, loc. cit

ولمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر:

أشباخ ، نفس المرجع ، ج٢ ، ص١٢٦-١٣١ .

٥١- الواقع أن كونتية أورخل على حدود جبال البرينيه وهى فى الوقت الحاضر داخل حدود أسبانيا أما آنذاك فهى مرتبطة أكثر بجبال البرينيه والحدود بين فرنسا وكتالونيا آنذاك حدود متداخلة ومتشابكة .

51- Corredera, op. cit, p. 120 .

٥٣- أسرة أرمنجول منحدرة من أسرة بوريل التى استقلت بحكم برشلونة عن فرنسا من قبل ولكن انحصرت أملاك هذه الأسرة فى كونتية أورخل . Zurita, op. cit. p. 325 .

54- Zurita, op. cit, p. 325 , CF. also : Corredera, op. cit, pp. 124-125 .

استاء الكونت جويرو كابريرا من هذا التصرف لأنه يرى نفسه أحق بهذه الكونتية من ابنة أرمنجول الثامن على أساس أن والدته هي ابنة أرمنجول السابع وفي نفس الوقت يرى أنه أحق بالزواج من ابنة ارمنجول ولذلك شن حربا شديدة هاجم فيها كونتية أورخل واستولى على عدة قلاع أهمها Agramunt و Bolaguer و Linale [٥٥] وهنا بمقتضى اتفاقية بدرو الثانى مع ألبيرا والتى وضعت حقوق ابنتها فى يده تصدى لجويرو وبدأت الحرب بينهما سجالا حتى استطاع الملك أن يحاصر الكونت جويرو فى بلاجير Balaguer فى ٣١ يوليو سنة ١٢١١م، ونجح الملك فى الاستيلاء على المدينة وقلعتها واستطاع جويرو الهروب ولجأ إلى قلعة ليورينز Liorens وحضر بدرو الثانى سريعا وحاصر القلعة واستولى عليها وأسر جويرو مع بعض أتباعه وقادهم فى حراسة شديدة إلى جاقة وظل بها حتى أطلق سراحه بعد وفاة الملك بدرو الثانى[٥٦].

وفى نهاية عام ١٢٠٨م جاء إلى برشلونة الفونسو كونت بروفنسيا أخو الملك الأراجونى وفى صحبته عدد من النبلاء والفرسان وأخته الأرملة الملكة كونستانس ليتوجهوا إلى صقلية لتزف إلى عريسها الملك فرديناند الثانى- واستغرق هذا الموضوع منذ سنة ١٢٠٤م فى رحلة بدرو إلى روما- وفى جالرمو (صقلية) توفى الكونت الفونسو تاركا زوجته الكونتيسة حفيدة كونت فوركالكير واين يدعى برنجير[٥٧] وكان لهذه الوفاة دور كبير فى تأكيد الملك بدرو الثانى لنفوذه على تلك الكونتية إذ أنه كثيرا ما كان يعمل على إشعار أخيه بالتبعية الإقطاعية [٥٨]. فالآن استطاع أن يفرض نفسه وصيا على ابن أخيه برنجير وحكم منذ حينئذ بروفنسيا وكونتية فوركالكير[٥٩].

كانت المشكلة الرئيسية فى جنوب فرنسا آنذاك وكان لها أكبر الأثر على مملكة أراجون هى مشكلة الألبيجسيين Albigenses (المهرطقين) إحدى المذاهب الهرطقية الرئيسية فى العالم المسيحى آنذاك[٦٠].

55- Cronica de San Juan la Peña , p. 139 ; Zurita . op. cit, loc cit CF. also: Corrdera, op. cit, p. 126 , Ballesteros, op.cit, p.512 .

56- Zurita , op. cit, loc . cit ; cF, also : Corredera, op. cit, los . cit .

57- Zurita , op. cit , p. 328 .

58- Fernandez, op. cit, p. 271 .

59- Ballesteros , op. cit , loc cit.

٦٠- انتشرت مذاهب الهرطقة فى أوائل القرن الثانى عشر على نطاق واسع والتى بدأت بمذهبى الأول =

والجدير بالذكر أن هذه المشكلة ترجع إلى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى ومثلت روح الاستياء العامة من الأوضاع التى ترددت فيها الكنيسة ورجالها من جهة وانتشار بعض المذاهب الهرطقية فى جنوب فرنسا من جهة أخرى.

وكانت بداية الإلبيجسيين ترجع إلى الكاتارين Cathari أى الإطهار وكانت تعاليمهم ذات أصل شرقى وعلى صلة بتعاليم المانويين ونادوا بتعاليم تتعارض تعارضا كبيرا مع تعاليم الكنيسة ومذهبهم يقوم على الثنائية بوجود إلهين أحدهما للخير والآخر للشر الأول يحكم العالم الروحى والثانى يحكم العالم المادى وما يندرج تحت الثنائيات المطلقة فهناك روح ومادة- ونور وظلام، وخير وشر ، كما نادوا بتحريم ذبح الحيوانات وأكل لحومها وتحريم الزواج وإنكار الثالوث المقدس إلى غير ذلك من الآراء الهدامة وانتشرت فى بقاع كثيرة من أوربا خاصة فى المناطق التى اشتدت الفوارق بين رجال الكنيسة وصغارهم وكان لهم تركز كبير حول مدينة ألبى Albi فى كونتية تولوز مما جعلهم ينسبون إليها ويعرفون باسم الألبيجسيين[٦١].

= الوالد نسيبين والذى ينسب إلى بطرس والدو الذى هاجم رجال الدين وما أصبحوا فيه من ثروة وترف وذلك ما يتعارض مع تعاليم المسيحية وروحها أى بمعنى أدق وجد الانفصال بين المسيحية ورجالها وعامة الشعب من الفقراء، وكان مجمل اختلافهم مع الكنيسة حول أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية دون أن يعترضوا على تعاليمها الدينية فى البداية وبهذا يختلفون عن مذهب الكاتارين (الألبيجسيين) وأخذوا يهاجمون الكنيسة واحتكارها للوعظ والإرشاد والتى لم تسمح إلا لرجالها بهذه المهمة ورفضوا الطاعة للبابا وصدر ضدهم قرار الحرمان الكنسى وتحولوا إلى فرق هرطقية وباشروا طقوسهم الدينية دون وساطة رجال الدين وتطرفوا فى اعتناق الآراء الغريبة عن الكنيسة سعيد عاشور: أوربا فى العصور الوسطى، القاهرة ١٩٧٥ ، ص٢٥٣-٢٥٤ .

٦١- لمزيد من التفاصيل عن هذه الفرق وتعاليمها انظر ما يلى :

Zurita , Op . cit , p. 342 .

Cronica de la Corona de Aragon, p. 54 .

cF. also : Chaytor, op. cit, pp. 70-71 .

سعيد عاشور: أوربا العصور الوسطى ، ج١ ، ص٢٥٤-٢٥٥ .

فشر: أوربا فى العصور الوسطى، ص٢٣٨ .

وقد انتشر هذا المذهب بشكل كبير فى تلك المنطقة وكانت سببا لظهور القديس دومنيك(٦٢) الذى أسس فى تلك المنطقة أخوة جماعة المبشرين والذى أخذ على عاتقه هو وجماعته محاربة الهرطقة الإلبيجسية عن طريق الأفكار التى نادى بها وهى تفسير العقيدة الصحيحة لدخض الهرطقات والتقشف والرجوع لتعاليم المسيحية الأولى .

وجد البابا أنوسنت الثالث أن التعامل مع المهرطقين فى جنوب فرنسا بإرسال المبعوثين والوعاظ للوعظ والإرشاد(٦٣) لم يؤت ثماره خاصة وأن أمراء تلك المناطق وعلى رأسهم ريموند السادس كونت تولوز رفضوا أن يمدوا البابوية بالقوة اللازمة لتنفيذ عزمها(٦٤) فلجأ البابا إلى ملك فرنسا والذى كان مشغولا بالحرب ضد حنا ملك إنجلترا فلم يلب نداء البابوية الذى تكرر خلال سنوات ١٢٠٥-١٢٠٧ خاصة وأن فيليب لايستطيع مهاجمة بعض أفصاله فى الجنوب وما يتناقض مع العرف الإقطاعى ورغبته فى عدم تدخل البابوية فى شئون دولته (٦٥).

لم يجد بدرو دى كاستلناو Pedro de Castelnau المندوب البابوى من التوصية للبابا بإصدار قرار الحرمان الكنسى ضد ريموند السادس فى سنة ١٢٠٧ ، وكان ذلك سببا فى اغتياله عن طريق أحد فرسان كونت تولوز وسواء بحق أو بغير حق الشكوك اتجهت إلى ريموند السادس ولذلك صدر ضده قرار الحرمان الكنسى وعين البابا مبعوثا بابويا جديدا هو أرنولد دى أمورى

٦٢- كان القديس دومنيك قد ولد فى أسبانيا فى Celeruega التابعة لأسقفية أوسما وكان من أعظم المبشرين بين المهرطقين المنتشرين فى جنوب فرنسا وكان مبدأه التقشف والروحانية لا حبا فيها بل ابتغاء الوسيلة من وسائل التأثير على الناس ثم التقى بالقديس فرنسيس (موسس جمعة الفرنسيسكان) حيث تحقق لديه فى صورة واضحة أن الإعراض عن متاع الدنيا ليس أداة للنضال ضد الهرطقة الألبيجسية بجنوب فرنسا فحسب بل مصدرا فياضا بالقوة الروحية لكل زمان ومكان .

Zurita , op. cit, p. 342 . cF, also : Fernandez , Op. cit, p. 272 ; Callaghan , op. cit, p. 249 , Chaytor , op. cit , pp. 72-73 , Chapman op. cit , p. 80 .

فشر : نفس المرجع ، ص٢٣٧-٢٣٨ .

Zurita , op. cit , loc cit .: cF. also : Fernandez , op. cit , loc cit .

٦٤- الواقع أن ريموند السادس كونت تولوز كمعظم نبلاءه لم يكونوا من المهرطقين , Chaytor , op. cit p. 73 ولكنه رفض الاشتراك فى قتال أتباعه وهنا كان دافعه لذلك سياسيا وليس دينيا .

٦٥- سعيد عاشور : نفس المرجع، ج٢، ص٢٥٥-٢٥٦ .

Callaghan, op. cit, p. 71 ; Chaytor, op. cit, p. 73 .

Arnaldo de Amoury [٦٦]، وكانت أول استجابة لدعوة البابوية لقتال المهرطقين فى عام ١٢٠٩م عندما تحمس كثير من الأمراء لطلب البابوية وانضم إليهم أعداد كبيرة يقدرهم أحد المؤرخين بعشرين ألف فارس ومائة ألف من المشاة من مختلف البقاع[٦٧] نتيجة للوعد البابوى بمنح الغفران لكل المشاركين وهو نفس الغفران الممنوح للمشاركين فى الحروب الصليبية فى الشـــــرق[٦٨] ودعى الملك الفرنسى فيليب أوغسطس لقيادة الحملة ولكنه اعتذر وتعلل بمشغولياته وسمح لنبلائه بحمل الصليب من أجل قتال المهرطقين[٦٩] وسبب موافقته أنه رأى أن هذه فرصة لزيادة سلطاته فى جنوب فرنسا ومد النفوذ الفرنسى إلى أراضى الجنوب التابعة لمملكة أراجون[٧٠].

تولى قيادة هذه الحملة الكونت الفرنسى سيمون دى مونتفورت Simon de Montfort والذى أشادت به المصادر وأشارت إلى أنه «محارب ذو خبرة عظيمة وصارم ونصير للكرسى المقدس ولو أنه كانت تحركه أطماع مبالغ فيها »[٧١] حيث تطلع إلى تأسيس سلالة حاكمة فى المناطق التى ينوى الاستيلاء عليها من الأمراء حامى الهرطقة وكان هذا سببا لقبوله قيادة هذه الحملة التى تحقق له من جميع الوجوه آماله وطموحاته خاصة وأن مدونة أراجون تشير بأن البابا وعده بمنحه هذه الأقاليم[٧٢]، وذلك ما سوف يتضح من الأحداث التالية.

66- Fernandez , op. cit, loc . cit ; Lozoya, op. cit , p. 65 .

كان أرنولد رئيس دير السيستر شيان ورئيس أساقفة ناربونى Narbone وكن مؤمنا بضرورة قتال المهرطقين ومؤمنا بالعنف والقسوة وقد شارك سيمون دى مونتفورت قائد الصليبين فى حملاته على تلك الأراضى مصطحبا معه رؤساء أساقفة بوردس ونانت .

Rodrigo, op. cit, p. 225 .

Cronica de la Prña, pp. 139-140 , cF. also : Fernandez, op. cit, pp. 268-269 .

67- Enric, op, cit p. 132 .

68- Cronica Latina de los Reyes de Castilla. Universided de Cadiz 1984, p. 39 ; cF, also :

Lozoya, op. cit, loc . cit .

69- Soler , op. cit , p. 120 .

70- Munoz , op. cit , p. 39 ; Lozoya, op.cit, loc cit .

71- Loyzoya, op. cit , loc cit ; Chmpan, op. cit , p. 80 .

72- Cronica de la corone de Aragon, p. 54 .

في أوخر شهر يونية ١٢٠٩م خرجت الحملة من ليون متجهة إلى جنوب فرنسا فوصلت إليها في ٢٢ يوليو سنة ١٢٠٩م واقتحمت أراضي لانجدوك Languedoc وبيزيهBeziers والتي استسلمت ونهبت وأحرق سبعة آلاف من سكانها بدون تفريق بين المهرطقين والمسيحيين الملتزمين بعقيدتهم، واتبعوا نفس السياسة المتسمة بالعنف في قرقشونه Carcasona التي وصلوها ١٥ أغسطس ١٢٠٩م حيث أحرقوا أربعمائة أسير أحياء[٧٣] مما دفع أمراء تلك المناطق وعلى رأسهم كونت بيزيه وكونت فويكس Foix بالتوجه إلى بدرو الثاني في كيور يناشدونه المساعدة[٧٤] وانضم إليهم ريموند كونت تولوز- صهر الملك- على أساس الدفاع عنهم حسب العرف الإقطاعي لأنه سيدهم[٧٥] خاصة وأن الحملة الصليبية انحرفت عن أهدافها الأساسية.

والواقع أن موقف الملك بدرو كان صعبا بين الطرفين خاصة أن أبيه الملك ألفونسو الثاني لم يكن يهتم بأحداث المهرطقين لأنه على عداء مع كونت تولوز ويرى أن زيادة عداء البابوية مع ريموند كونت تولوز يؤدي إلى توطيد نفوذه في لانجدوك ضد هذا الكونت وليس معنى ذلك أنه وقف ضد المهرطقين حتى لايثير سكان تلك المناطق ضده وأيضا لم يكن يحابيهم حيث إنه وقف موقفا وسطا يمنع كل إجراء عنيف تحاول البابوية القيام به ويفرغه من مضمونه [٧٦]، ونجد أن بدرو اتبع نفس السياسة الوسط في بادئ الأمر التي تحقق نفوذه وطموحاته في جنوب فرنسا . والجدير بالذكر أن بدرو كان متعاطفا مع المبعوثين للوعظ والإرشاد وهو الملك الشديد الورع والتقوى والذي سمي بالكاثوليكي لذلك أتاح للمبعوثين البابويين القيام بنشاطهم وتدعيمهم في مهمتهم[٧٦] بل وزاد على ذلك بأن أصدر عدة قرارات ضد المهرطقين الذين حرمتهم الكنيسة وأمرهم بمغادرة أراضيه وإلا كان نصيب المخالفين نزع أملاكهم وإعدامهم حرقا وأكد ذلك في سنة ١٢٠٣ قبل سفره إلى روما فقد تدخل بحزم في ردع المهرطقين وحث

73- Cronicas Latina , op. cit, p. 40 ; Zurita, op. cit , p.344 ; cF. also Calleghan op. cit , p. 250 ; Peres, D. Historia de Portugal, vol 2 Barcelos 1922 , p. 185 ; Soler , op. cit , p. 121; Lozoya, op. cit, pp. 65-66 .

74- Fernandez , op. cit , p. 237 .

75- Rodrigo , op.cit , p. 225 ; cF. also : Munoz , op. cit , p. 139 . Choytor , op. cit , p. 74 .

٧٦- أشباخ : نفس المرجع ، ج٢ ، ص١٣١ .

77- Fernandez , op. cit , p. 271 .

بعض الأساقفة وعلى رأسهم القديس دومنيك أن يستأصلوا الإلحاد بالنار والسيف وأيضا استدعى بعض الإلبيجسيين وناقشهم فى الأمر أمام مندوب البابا واقتنع بمخالفتهم لتعاليم الكنيسة الكاثوليكية (٧٨). ونجد أنه فى أثناء تتويجه على يد البابا أقسم على مقاومة ومناهضة المهرطقين (٧٩).

يتضح مما سبق أن الملك بدرو الثانى لم يتعاطف مع المهرطقين ولكنه نظر للموضوع من وجهة أخرى وهى أن أمراء شعوب تلك المناطق تابعين له إقطاعيا وأن الحرب التى يشنها الصليبيون على أتباعه الأمراء فهى الخطر الأكبر على نفوذه وأملاكه فى تلك المنطقة خاصة وأن الحملة الصليبية حادت عن أهدافها الدينية إلى الأهداف السياسية لقائدها ولذلك ركز سياسته على التوسط ومناشدة الصليبيين والبابا لوجود حل وسط يحفظ به سيطرته على أمرائه ويدافع عنهم.

حقيقة أنه تجاهل ما حدث فى كل من بيزيه وقرقشونه وشرح لهم موقفه الدقيق وقسمه للبابا ولكن بدأ الخطر يلوح عندما منح المندوب البابوى أملاك تلك المناطق إلى سيمون دى مونتفورت قائد الصليبيين (٨٠).

وهنا استجاب بدرو الثانى لنداءات أمراء تلك المناطق فطلب من سيمون بأن يتوقف عن تخريب الأراضى لكنه لم يستجب له فما كان من بدرو الثانى أن أرسل سفرائه إلى البابا ليطلب من سيمون بالحكمة فى مقاتلة المهرطقين وعدم الاعتداء على أتباعه الأمراء(٨١).

لم تفلح جهود بدرو الثانى فى ذلك الشأن إذ أنه استمر سيمون فى حملاته حيث إنه فى عام ١٢١٠م حاصر قلعة مينربا Minerva وتمكن من الاستيلاء عليها وأحرق حوالى ١٤٠ شخصا الذين كانوا يدافعون عن القلعة(٨٢).

حاول الملك بدرو الثانى حل المشكلات وكانت المفاوضات فى باميرس Pamiers (أبريل ١٢١٠م) وفى بورتيت Portet (مايو ١٢١٠م) وفى ناربونى (٢٢ يناير ١٢١١م) من أجل

78- Callaghan, op. cit , loc . cit .

أشباخ: نفس المرجع ، ج٢ ، ص١٣٢ .

79- Cronica de San Juan la Pena, p. 137 , cF . also , Munoz , op . cit., loc cit .

80- Zurita, op. cit , p. 344 ; cF , also ; Fenansez, op. cit , p. 273 .

أشباخ : نفس المرجع ، ج٢ ، ص١٣٢ .

81- Zurita, op. cit, loc . cit .

82- Zurita , op. cit , p. 345 ; cF also : Soler, Op. cit, p. 121 .

الصلح بين سيمون قائد الصليبيين وكونتات تولوز وفوكس ولكن لم تنجح المفاوضات لتصلب كلا الجانبين فى مطالبة [٨٣].

استمر سيمون دى مونتفورت فى حملاته واستولى على مدينة ألبى معقل الألبيجسيين واستمرت حملاته على كونتيتى فوكس وكومنجز حتى أنه فى إحدى حملاته أحرق أكثر من ثلاثمائة رجل حتى الذين ارتضوا الرجوع لتعاليم المسيحية الأولى وطلبوا المغفرة من الكنيسة[٨٤]. واستمر الصليبيون فى العقوبات القاسية والأضرار ليس فقط للمهرطقين ولكن بشكل عام والكونت سيمون يسعى فى ذلك لاحتلال كل تلك الأراضى لكى يؤسس فيها حكمه بناء على الوعد البابوى [٨٥].

حاول الملك بدرو الثانى مرة أخرى أن يوقف هذه الحملات بالمفاوضات واجتمعوا فى مونبيليه (٢٧ يناير ١٢١١م) لاحتواء أطماع سيمون دى مونتفورت، وحاول سيمون أن يهدئ من روع الملك بدرو الثانى فأعلن أنه يحكم تلك المناطق التى استولى عليها تحت طاعة الملك الأراجونى وأقسم يمين الولاء والطاعة وفى المقابل محاولة من الملك بدرو الثانى لاحتواء مطامع سيمون وتأكيد الخضوع الإقطاعى له رأى توثيق ذلك بالارتباط والمصاهرة واتفق على زواج ابنه خايم (والذى لديه من العمر ثلاث سنوات) من اليسا Alicia ابنة الكونت سيمون وأرسل ابنه لكى يتربى فى بلاط قرقشونه كدليل على الوفاء بالتزاماته [٨٦].

وعلى الرغم من هذا الاتفاق لم يلتزم سيمون دى مونتفورت وبدا أنه يجارى الملك الأراجونى حتى يستطيع تنفيذ مشاريعه والتى تتمثل فى السيطرة على كل جنوب فرنسا، وهاجم ى شهر يوليو ١٢١١ كونتية تولوز وحاصر مدينتها وكان بداخلها الكونت ريموند ومعه

83- Lozoya, op. cit , p. 68 ; Ballesteras, op. cit , p. 512 .

٨٤- حتى أن أحد المؤرخين المعاصرين أنكر هذه القسوة والتدمير .

Soler, op. cit , loc cit .

85- Zurita , op. cit , loc cit .

86- Cronica de la corona de Aragon , p. 55 ; cF . also Fernandez , op . cit , pp. 273-274 , op. cit , p. 140 .

ويعتبر المؤرخ لوريا أن هذا من أكبر الأخطاء الكثيرة للملك بدرو أن يسلم ابنه الطفل لسيمون لكى ينشأ ويربيه وهو الابن الذكر الوحيد والذى يعتبر تواصل لسلالته ونسبه وهل هذا كره لابنه نتيجة للكره لأمه ومحاولته الانفصال عنها.

- Lozoya , op. cit , p. 66 .

كونتات فوكس وكومنجز وتنوعت الاشتباكات والمناوشات ثم توجه سيمون لشن الحرب على القلاع التابعة لكونتية فوكس(٨٧) انتهازاً لوجود كونتها فى مدينة تولوز .

والجدير بالذكر أن البابا لم يرض بتصرفات سيمون دى مونتفورت قائد الحملة الصليبية لأنه انحرف بأهداف الحملة لتحقيق مصلحته على حساب الجميع ، ولذلك استجاب لنداءات الملك بدرو الثانى لعقد الصلح بين الطرفين ، وأمر البابا بعقد مجمع فى مدينة آرل ١٢١١م تحت رئاسة المندوب البابوى وحضر الملك الأراجونى وكونت تولوز ، ولكن فشلت المفاوضات لإصرار كل منهما على طلباته ولم يتقبل كونت تولوز ولا الملك الأراجونى الشروط التى وضعت وانسحبا ، ونتيجة لهذا استغل المجتمعون الموقف وأصدروا بقيادة المندوب البابوى قرارهم بتأكد قرار الحرمان الكنسى ضد كونت تولوز (٨٨).

عاد الملك الأراجونى إلى مملكته للاشتراك فى المشروع الضخم للحرب الصليبية (٨٩)، برعاية البابا أنوسنت الثالث (٩٠)، والذى دعا المسيحيين فى كافة البقاع للاشتراك فى حملة لطرد- وإن كان اتخذ احتياطات حتى لا يؤثر ذلك على الصليبيين المشاركين مع سيمون فى جنوب فرنسا- المسلمين من الأندلس مع الغفران لكل المشاركين واجتمع كما أشارت المصادر الإسلامية والمدونات المسيحية إلى حضور فرسان من كافة البقاع وجرت الموقعة المعروفة باسم العقاب فى سنة ١٢١٢م والتى انتصرت فيها قوات الممالك المسيحية ومعها الصليبيين ضد الموحدين فى الأندلس (٩١).

87- Zurita , op. cit , loc cit .

88- Callaghan, op. cit , p. 250 .

أشباخ ، نفس المرجع ، ج٢، ص١٣٣ .

89- Anales Toldanos , las Cronicas Latinas de la Recomquista Ti, Valencia 1913 , p. 352 .

٩٠- كان الملك ألفونسو الثامن قد أرسل عدد من رؤساء الأساقفة وعلى رأسهم المؤرخ الشهير رودريك الطليطلى رئيس أساقفة طليطلة إلى البابا أنوسنت الثالث ليرجوه أن يدعو المسيحيين فى كافة بقاع أوربا من أجل تنظيم حملة صليبية ضد المسلمين فى الأندلس ثم أرسلهم إلى فرنسا للدعوة إلى هذه القضية.

Rodrigo , op. cit, pp. 308-309 ; cF , also : Huici, M: las grandes Batalles de la reconquista durante las invasiones Aficanas , Madrid , 1956, p. 228-230 .

٩١- الواقع أن معركة العقاب من أضخم المعارك التى حدثت فى شبه الجزيرة الأيبيرية وقد اعتبرها المؤرخون أنها لم تحدث مثلها من قبل وكانت سببا فى بداية الانهيار لدولة الموحدين وظهور الممالك المسيحية وفوران حركة الاسترداد آنذاك وقد أسهبت المصادر العربية والأسبانية فى تفاصيل المعركة وإن كانت هناك =

انتهز سيمون دى مونتفورت انشغال بدرو الثانى فى الحملة الصليبية ضد المسلمين فى موقعة العقاب وبدأ فى تكثيف نشاطه لتوسيع أملاكه على حساب مملكة أراجون وأتباعها حيث استولى على ميوسالك Moissac وجاسكونيا gascuna وبيرين Bearne وسد الطريق على مدينة تولوز، بجانب بعض القلاع والمدن فى أراضى قرقشونة وبيزيه . ومما لا شك فيه أن الذى ساعد على تحقيق أطماعه دور المندوب البابوى أرنولد أمورى الذى أعاد من جديد الحرمان الكنسى ضد ريموند مسهلا لسيمون دى مونتفورت الحصول على الغنيمة الأكبر(٩٢).

عاد الملك بدرو الثانى من موقعة العقاب واستنكر بشدة أعمال سيمون خاصة وأن كونتات تولوز وفوكس وكومنجز وبيرين وكل البارونات الذين ضربت أراضيهم وحرموا من أملاكهم قد استنجدوا به وطالبوه بالمساعدة بإصرار وليس هناك طريق للمساعدة إلا عن طريق مشاركتهم

= مبالغات كبيرة فى بعض الجزئيات فمثلا فى أعداد الجيوش قد بالغت فيها المصادر الإسلامية مع أنه دأبت العادة على أن المصادر الاسبانية هى التى تبالغ فى أعداد المسلمين وفى الوقت نفسه تقلل من أعداد الجيوش المسيحية لتبرز قيمة النصر وتهلل له ، فنجد أن المصادر الإسلامية أشارت إلى أن عدد جيش المسلمين أكثر من نصف مليون وأنه لم ينج من المعركة إلا واحد من الألف يعنى ٥٠٠ فقط وإن كان يقدرهم رودريك الطليطلى المعاصر ومشارك فى هذه الأحداث بـ ٢٠٠ ألف شخص قتلوا ويقدرهم المطران أرنولد بـ ٦٠ ألف فقط قتلوا وإن كانت المصادر المسيحية قد قللت من خسائرهم ما بين ٢٥ ومائتين وهى رواية غير منطقية لهذه الموقعة الضخمة والأعداد فقد كان تقدير عدد جيش المسيحيين الأجانب الوافدين ما بين عشرة آلاف فارس ومائة ألف من المشاة هذا بالإضافة إلى جيوش الممالك المسيحية وهناك العديد من المصادر والمراجع ولكن نشير إلى البعض فقط بالنسبة للمصادر الإسلامية، ابن عذارى ، البيان المغرب، القسم الثالث (الموحدين) ، الدار البيضاء . ١٩٨٥، ص٢٦٣-٢٦٥ ، ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس و الرباط ، ١٩٧٢، ص٢٣٨-٢٤٠ ، الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس، القاهرة ١٩٣٧ ، ص١٣٨-١٣٨ .

أما المصادر المسيحية أهمها :

Rodrigo, op. cit, p. 308-323 ; Primera Cronica general de España , Madrid , 1955 , p. 98 ; Cronica Latine , p. 26-36 ; Cronica de San Juan , p. 138 ; Lucas de tuy, pp. 413-415 .

بالإضافة إلى المؤلفات العربية أهمها : عنان ، نفس المرجع ، ج٢، ص٣٠٢-٣١٧ وهناك دراسة لويثى ميراند حول معارك الاسترداد الكبرى.

Huici , La Grandes Batallas, pp. 219-330 .

92- Zurita , op. cit , p. 346 , cF . also : Fernandez , op. cit, pp. 272-274 ; Enric , op. cit p. 135 ; Ballesteros , op. cit , p.512 .

الحــرب [٩٣]، ولكن بدرو الثانى ما زال متمسكا بالطرق الدبلوماسية وأرسل إلى البابا فى يناير ١٢١٣م يناشده إيقاف سيمون دى مونتفورت والصليبيين ويوضح حقوقه أيضا على هذه المنطقة ومشتكيا من تعسفه واحتلاله أقاليم لم تكن الهرطقة منتشرة بها وأنه لايفرق بين المهرطقين والمسيحيين الملتزمين بتعاليم الكنيسة الكاثوليكية[٩٤].

وقد لقى توضيح بدرو الثانى لموقف سيمون دى مونتفورت تعاطفا من البابا لأنه وجد أن سيمون اشتط فى حملاته واعتداءاته ، وبناء على نصيحة البابا بإجراء مفاوضات بينهما عقد مؤتمر جديد فى لافور Lavoux فى ١٥ يناير ١٢١٣ ناشد فيه بدرو الثانى سيمون والصليبيين بإعادة الأراضى للكونتات والتى استولوا عليها ، ولكن تعنت وصلابة المندوب البابوى ورجال الدين وسيمون حالت دون الوصول إلى اتفاق[٩٥] مما دفع بدرو الثانى إلى مناشدة البابا مرة أخرى للتدخل ، وكان رد فعل البابا أنه كتب خطاب شديد اللهجة لسيمون دى مونتفورت موضحا فيه قيامه باعتداءات غير ضرورية ، ثم ناشد بدرو الثانى أيضا ملك فرنسا فيليب أوغسطس بوقف تأييده لسيمون لتأكيد السلام، مما دفع سيمون للسفر إلى روما حيث أخبر البابا بروايات مختلفة مما زاد من حيرة البابا فأمر كل الأطراف بإيقاف عملياتها حتى يستطيع إرسال مبعوث أمين ليفحص الأوضاع لكل جانب[٩٦].

كانت فى تلك الفترة تدور قضية أخرى بين الملك بدرو الثانى والبابا من ماريا دى مونبيليه فمنذ بداية الزواج وهناك نفور من الملك تجاه الملكة ولذلك تركها تقيم فى مدينة مونبيليه وقد بدأ تفكيره فى الطلاق منذ بداية عام ١٢٠٦م نتيجة للكره وقد راسل البابوية فى ذلك متعللا بأن طلاقها من زوجها الثانى كونت كومنجز يعد باطلا [٩٧]، وعلى الرغم من أنه أنجب منها ابنه خايم الذكر الوحيد فى سنة ١٢٠٨ م وأنجب ابنتان هما ماتيلدا وبترونا [٩٨]، ومــــع

93- Cronica de San Juan , p. 140 ; cF . also Munoz, op. cit , p. 139 .

94- Cronica de San Juan, p. 140 ; Zurita , op. cit loc, cit . cF . also Lozoya , op . cit , loc cit.

95- Ballesteros , op . cit , loc cit . Chaytor, op. cit , p. 76 ;

أشباخ : نفس المرجع ، ج٢ ، ص١٣٤ .

96- Chaytor, op. cit , loc cit.

٩٧- كانت ماريا دى مونبيليه قد طلقت من زوجها الثانى كونت كومنجز للقرابة بينهما ولكن أشار المؤرخ ثوريتا بأن بدرو تعلل بأن طلاقها من زوجها كونت كومنجز بسبب القرابة غير شرعى Zurita, op. cit, p. 340 .

98- Idem .

ذلك لم يوقف مطالباته المستمرة للبابوية بفسخ الزواج وكان فى نفس الوقت قد اتفق على زواج جديد بإحدى بنات فيليب أوغسطس ملك فرنسا [٩٩].

عهد البابا أنوسنت الثالث ببحث هذه الأسباب التى تعلل بها الملك بدرو الثانى للطلاق من زوجته إلى أساقفة بامبلونا وأساقفة ناربونى وبعض مبعوثيه وأثبت أن زواجها بكونت كومنجز قبل بدرو الثانى كان غير شرعى وباطلا للقرابة المؤكدة بينهما وليس كما يدعى الملك الأراجونى وكانت الملكة قد توجهت أثناء ذلك إلى روما لطلب الغفران من البابا وعدم موافقتها على الطلاق وأنها والكونت كومنجز كانوا على قرابة من الدرجة الثالثة والرابعة مما دفع البابا إلى إعلان عدم موافقته على الطلاق وأن الزواج صحيح وشرعى فى ١٩ يناير ١٢١٣م[١٠٠] وإن كانت قد انتهت القضية بوفاة الملكة ماريا فى روما أبريل ١٢١٣م [١٠١].

عودة إلى قضية الإلبيجسيين فإن بدرو الثانى وجد نفسه فى موقف صعب خاصة وأن كل المفاوضات قد فشلت ولم يكن هناك موقف حاسم من البابوية على الرغم من عدم رضاء البابا عن اشتطاط سيمون وأعماله ونتيجة للإلحاح الشديد من أتباعه الإقطاعيين فى جنوب فرنسا وعلى رأسهم زوج أخته ريموند السابع كونت تولوز بالإضافة إلى رفض البابوية تطليقه لوزجته مما أدى إلى سخط بدرو وتخيله عن سياسته والاستعداد لتأييد أتباعه الإقطاعيين عسكريا خاصة وأن أتباعه نصحوه بأنهم لايرون إلا طريق الحرب لوقف جماح سيمون دى مونفورت[١٠٢].

استجاب بدرو الثانى وتوجه فى فبراير ١٢١٣م إلى تولوز ثم عاد إلى بربنيان Perpinan ثم منها إلى روسيليون وبقى حتى ٢٦ من مارس ثم توجه بعد ذلك إلى كتالونيا لتنظيم حملة عسكرية لمساعدة كونت تولوز ثم توجه إلى لاردة ٢٢ من مايو وإلى لاسكبار Lascavarre

---

99- Lozoya , op. cit, p. 63 ; Enric, op. cit, p. 141 ; Fernandez, op. cit, p. 271 .

100- Zurita , op. cit, loc . cit .

وإن كان أشباخ قد أشار إلى أن البابا أنوسنت الثالث كان يميل فى البداية إلى إجابة مطلبه ولعل ذلك من باب السياسة حتى يستميل إليه بدرو فلما أعلن بدرو نفسه حاميا ومدافعا عن الأمراء المطاردين فى لانجدوك أبى البابا نزولا على نصح الكرادلة أن يمنحه الطلاق المرغوب.

أشباخ ، نفس المرجع ، ج٢، ص١٣٥ .

101- Lozoya , op. cit , p.63 .

102- Mounoz, op. cit, p. 139 ; Lozoya, op. cit , p. 66 .

فى ٢٥ من أغسطس ١٢١٣ ثم وصل بجيشه إلى مدينة تولوز والذى قدر عدده الراهب المرافق للصليبيين برنالدو جيدو Bernaldo Gudo بأنه جيش عظيم من الأراجونيين والكتالونيين، ثم انضم إليه جيوش كونتات تولوز وفوكس وكومنجز حتى وصل عدده إلى مائة ألف رجل (١٠٣)، ثم خرجوا من تولوز لمهاجمة قلعة موريث ووصل الجيش إلى القلعة فى ١٠ سبتمبر ١٢١٣م وبدأ الحصار فى ١١ سبتمبر (١٠٤).

هنا اختلفت المصادر فى أحداث حصار موريث فإحدى الروايات تشير إلى أن سيمون دى مونتفورت كان فى داخل تلك القلعة وهى قريبة من مدينة تولوز (مسيرة ساعات) (١٠٥)، وأن الملك توجه لحصاره فى تلك القلعة ومعه حلفائه وأنه أحكم الحصار حول القلعة وبداخلها سيمون ٢٣ من سبتمبر (١٠٦).

أما الرواية الثانية بأن الملك بدرو الثانى عندما حاصر قلعة موريت كان سيمون خارج القلعة وبمجرد علمه خف سريعا فى جيشه الصليبى إلى لقائه ولما كان جيش الملك بدرو قد أهمل احتلال المضايق الجبلية التى كانت تحول دون تقدم الجيش الصليبى فقد استطاع هذا الجيش أن يعبر نهر الجارون ويلتقى مع الملك بدرو فى المعركة(١٠٧).

والرواية الثالثة أن الملك بدرو الثانى وصل إلى موريت ١٠ سبتمبر وكان مونتفورت خارج القلعة وعندما علم أسرع بالتحرك ووصل مساء يوم الأربعاء ١١ سبتمبر فوجد أن جيش بدرو

١٠٣- وفى رواية أخرى ٣٠ ألف والواقع يشيروا إلى أن عدد هذا الجيش يشمل جيش أراجون وكتالونيا والمتحالفين وأن جيش أراجون وكتالونيا يقدر بعدد ألفين .Chaytor, op. cit , p. 76

والواقع الرواية الأولى بعدد الجيش مائة ألف أقرب إلى منطق الأحداث آنذاك خاصة وأن تكاتف العديد من الكونتات فى جنوب فرنسا معه .

104- Zurita , op. cit , p. 346 ; cF , also : soler, op. cit , p. Callaghan, op. cit , p. 251 .

١٠٥- كانت قلعة موريت Muret مدينة صغيرة على نهر Garonne على بعد ثلاثة فراسخ من تولوز وهى تمثل زاوية عند ملتقى نهر Louge مع نهر Caronne وكانت محاطة بأسوار محمية بواسطة قلعة حصينة تقع بين النهرين. . Chaytor , op. cit, loc cit

106- Cronica de la corono de Aragon ; Zurita, op. cit , op. cit ; cF , also : Soler, op. cit , loc cit .

107- Cronica de San Juan , p. 140 ; cF aiso : Ballesteros, op. cit , p. 513 ; Enric, op. cit ,p. 141 .

أشباخ ، نفس المرجع ، ج٢ ، ص١٣٤ .

والمتحالفين استطاعوا الاستيلاء على أحد أبواب المدينة وانسحاب الحامية (يقدر عددها بـ ٧٠٠) إلى قلعة حصينة داخل المدينة فما كان من بدرو عندما رأى جيش الصليبيين بقيادة سيمون قد حضر للنجدة فإنه انسحب من أمام القلعة ولم يهاجم جيش الصليبيين وتركهم يدخلون المدينة وكانت خطة بدرو أنه يستطيع أسر منتفورت بحصره فى داخل القلعة مع حامية موريت وأن المبعوث البابوى ورجال الدين وجدوا صعوبة موقف الصليبيين فأعلنوا الرغبة فى السلام[١٠٨].

والواقع أن الرواية الثالثة توضح الروايتين السابقتين حيث إن سيمون كان فى بادئ الأمر خارج مدينة موريت وعندما سمع بالحصار أسرع لنجدتها وما كان من بدرو بالسماح له بالدخول إلى المدينة لأن خطة بدرو كانت- والمعروف عنه الشجاعة والحماسة والجسارة- الالتقاء مع سيمون وجيشه بكامله وخوفا من هروب سيمون عند انتصاره على القلعة والاستيلاء عليها فسمح له بالدخول لكى يحسم هذا الأمر خاصة وأنه كان يريد مواجهة سيمون وأطماعه وليس الصليبيين فى حد ذاته وذلك لن يتأتى إلا بالمواجهة الحاسمة والسريعة مع سيمون وسيتضح من الأحداث التالية التى أوردتها المصادر التاريخية.

عندما حاصر الملك القلعة فإن سيمون كان لديه فقط حوالى ألف من المشاة و ٨٠٠ من الفرسان أراد أن يقابل الملك ليحاول التفاوض معه وبإيعاز من أرنولد المندوب البابوى طلب من الملك ألا يدافع عن المحرومين من الكنيسة وأن عليه احترام رغبات الكنيسة [١٠٩]، ولكن الملك لم يرغب فى مقابلته وحينئذ قرر مونتفورت إنقاذ نفسه ومن معه وقرر الخروج البائس فى فجر يوم الخميس ١٣ من سبتمبر ١٢١٣م[١١٠] وخاصة - وبناء على إشارة إحدى المدونات- أن الملك استطاع أن يستولى على أحد أبراج القلعة[١١١].

حدث اختلاف كبير فى تفاصيل المعركة فقد أورد أشباخ أنه عندما وصل سيمون بالنجدة وبدأت المعركة فإن ملك أراجون تصرف بشجاعة أكثر منه كقائدا حريصا إذ أنه رفض نصح الكونت ريموند دى تولوز بأن يترك الهجوم للعدو حيث سيصبح نصرهم فى تلك الحالة أمرا

108- Chayror, op. cit, p. 78 .

109- Cronica de San Juan , p. 140 .

110- Cronica de la corona de Arogon , p. 56 ; Zurita , op. cit , p. 347 . cF. also : Soler , op. cit, p. 123 .

111- Cronica de pere Maca, p. 24; cF . also : Enric, op. cit, p. 142 .

محققا وجعلته شجاعته وشهوته للحرب بأن يستبدل سلاحه الملكى بسلاح فارس وأن يتقدم إلى لقاء العدو فى أول صف على أنه عرف بالرغم من تنكره ووجه الأعداء الهجوم إليه ولكن الملك البطل لم يرعبه ذلك ولبث يرد الفرسان الذين ينقضون عليه من كل صوب حتى سقط صريعا (١١٢).

وهناك رواية أخرى أن سيمون مع قواته خرج من القلعة فجأة وباغتوا الملك وجيشه والذى كان قد قضى المساء فى إحدى الاحتفالات الصاخبة بدون نوم حتى بدأوا فى النهاية بأن ينصتوا للقداس وأن الملك استند إلى الرمح ثم أخذته سنة من النوم وأثناء الصلاة بوغتوا وكان مقتل الملك بعد دفاعه بشجاعة(١١٣).

يتضح مما ورد فى المصادر التاريخية أنها اعتمدت على حوليات الراهب أرنولد جيود المرافق للحملة الصليبية وعلى مدونة خايم الأول، فإنهم أشاروا إلى أن الكونت اتفق ومن معه على الموت فى ساحة المعركة وخرجوا فجأة وباندفاع شديد فى فجر يوم الخميس ١٣ سبتمبر تجاه كتيبة الملك والتى عرفت برايتها- لأنه كان فى الصفوف الأولى- وهاجموا الملك فى وقت كان هو ومن حوله قد بوغتوا ولم يتوقفوا هذا الهجوم الطائش ولكن تصدى الملك بشجاعة وقاتل خاصة بعد هروب الكثيرين ومنهم كونتات تولوز وفوكس من هول المفاجأة ولم يبقى حول الملك إلا بعض الفرسان المخلصين حتى قتل بشجاعة (١١٤).

أجمعت المصادر على تخلى أتباعه الكونتات وهروبهم علما بأنه ما أتى إلا لمساعدتهم ومعظم جيشه كان من المشاة كما يشير أشباخ وأنه لم يشترك فى الموقعة إذ أنهم عندما شاهدوا الملك محاصر بقوات سيمون أسرعوا بالفرار بلا نظام وحلت بهم الهزيمة الساحقة وقد زعم خصومهم بذلك أن نصرهم كان معجزة إذ قالوا بأنهم استطاعوا بألف وخمسمائة (وفى رواية ألف وثمانمائة) أن يهزموا جيشا من مائة ألف محارب (١١٥).

وجدير بالذكر أن هزيمة بدرو الثانى ترجع لعوامل عديدة أهمها الاندفاع والتهور وعدم التخطيط الجيد للقتال والاستهانة بالعدو لضآلة عدده بالنسبة لجيش الملك بدرو بالإضافة إلى

١١٢- أشباخ ، نفس المرجع، ج٢، ص١٣٤-١٣٥ .

113- Soler , op. cit , p. 123 .

114- Rodrigo op . cit , p.2251 Cronica de pere maca, p. 24; Cronica de la corona de Aragon, p. 56 ; Zurita , op. cit , p. 347 . cF , also Lozoya , op. cit, p. 67 . Choytor , op. cit, p. 79 .

115- Cronica de San Juan , p. 140 .

غياب التنسيق بين قوات الإمارات المختلفة وعدم استجابة الملك بدرو للنصح مع عدم الاحتياط بنزوله للمعركة فى صفوفها الأولى معرضا نفسه للقتل ولايغيب عن الذهن أن مقتل القائد من أهم أسباب الهزيمة وذلك فى مقابل براعة وشجاعة وعزيمة الجانب الآخر والمقدرة والمهارة العسكرية لسيمون دى مونتفورت الذى أشادت المصادر بشجاعته وحنكته وفروسيته.

وهناك بعض التناقض فى الروايات إذ أشار المؤرخ ثوريتا(١١٦) أنه قتل فى الميدان عشرون ألف كما أشار الراهب أرنولد جيدو والواقع إن صح هذا العدد فإنه يتنافى مع الهروب للجيش- خاصة بعد مقتل الملك- ولكن يبدو أن عدد القتلى قد بولغ فيه بشكل كبير لأن أرنولد هو أحد الوعاظ المرافقين للصليبيين ويريد إضفاء نوع من الزهو لانتصارهم فبالغ فى عدد القتلى ولاشك فى أن هناك خطة بارعة من الكونت سيمون الذى اعتمد على المفاجأة والمباغتة وركز على موقع الملك ولم تغنى عن الأخير شجاعته وفخره عن القتل.

ويتضح أن مؤرخى الحملة الصليبية وعلى رأسهم الراهب أرنولد قد شككوا فى شخصية بدر وصوروه قاسيا كثير التقلب والأهواء وأنه أراد الطلاق من زوجته النبيلة مارى دى مونبيليه التى اشتهرت بالفضيلة والتقى (١١٧)، واتخذوا من هذه القضية دليلا على شخصيته المتناقضة.

والواقع أن الحديث عن حرب بدرو الثانى ضد سيمون دى مونتفورت وجيشه أمام البعض أنه يقاتل الصليبيين ويعوقهم عن تأدية مهامهم فى مقاومة الإلحاد وأنه يقاوم الكنيسة وتعاليمها(١١٨) وفى واقع الأمر أن هذه الحرب كانت ضد أطماع سيموندى مونتفورت لأنه استغل الصليبيين لتحقيق مشاريعه وأحلامه الخاصة والدليل على ذلك كما اتضح من السرد السابق أنه فى حملاته كان لايفرق بين المهرطقين وأملاك المسيحيين وكثيرا ما اعتدى على أماكن ليست الهرطقة بها تشكل ظاهرة ملحوظة .

116- Zurita , op. cit , p. 347 ; cF . also : Chaytor , op. cit , lic cit .

١١٧- أنظر بعض هذه الصفات التى أشار إليها أشباخ، نفس المرجع، ج٢، ص١٣٥ .

١١٨- أشار بعض المؤرخين الأقدمين المرافقين للحملة الصليبية وتبعهم بعض المؤرخين المحدثين بأن الملك بدرو الثانى قال مدافعا عن الإلبيجسيين والواقع أن هذا خلط كبير , Ramsey , op. cit, p. 75 ; Jacson op. cit . p.82 ويرى المؤرخ مارتين أن هذه الحرب كانت ضد الصليبيين وفرنسا ذاتها لمقاومة أطماع نبلاءها فى جنوب فرنسا أملاك بدرو . Martin, op. cit , p. 354

أما بالنسبة لسياسته الخارجية فى جنوب فرنسا فمما سبق يتضح أنه قد قادها باقتدار واستطاع من خلالها تأكيد وتوسيع أملاك ونفوذ مملكة أراجون فى جنوب فرنسا وأصبحت أملاكها أكثر مما حققه والده حتى ظهرت الحركة الإلبيجسية فبدأ النفوذ الأراجونى يتهاوى فيها فما لبث أن ضاعت تلك الأملاك ولكن كانت الظروف والأوضاع والمصالح المتشابكة التى تداخلت فيها البابوية مع فرنسا فى مشكلة الإلبيجسية تلك القضية- الدينية- التى سيطرت لعدة قرون على تلك المنطقة التى لها اليد العليا فى تقرير السياسات والمصالح آنذاك.

وبوفاة الملك بدرو ترك ابنه خايم الطفل وكان فى أيدى سيمون دى مونتفورت والذى بعد توليه الحكم سيتجه اتجاهين أولهما : التوسع فى حركة الاسترداد وتشهد مملكة أراجون فى عهده أضخم حركة استرداد والاتجاه الثانى نحو حوض البحر المتوسط وتوسيع نفوذ مملكته فيه.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر الأوربية:

- (Anales Toldanos , Las Cronicas Latinas de la Reconquista) : Traduccion por Huice M. Ti , Valencia 1913 .
- (Croncia de la corona de Arogen), ano 1919 .
- (Cronica Latina de los Reyes de castilla): Traduccion luis charlo Brea, Universidad de cadiz 1984 .
- (Cronica de pere Maca): Edicion jos Hinojosa Montalvo , Universidad de Valencia 1979 .
- (Cronica de San Juan de la pena): Antonia ubietg Arteta , Valencia 1961 .
- (Luca de tuy): Crencia de Espanam, Madrid, 1962 .
- (Primera cronica general de España) : Publicada por Ramen Menendez pi-dal, Madrid 1955 .
- (Rodriga : Junenez de Rada) : (Historia de los hechos de España) Modrid 1982 .
- (Zurita, J Anales de la corona de Aragon Ti, Zaragoza 1976 .

ثانيا : المراجع الأوربية:

- (Antonia de la Torre) : La Reconquista en el Pirineo " la Reconquista España y la Repoblacion del Pais), Zaragoza , 1951 .
- (Ballesteros L, Beretta) : Historia de España y su infuencia en la historia Universal), Barcelona 1944 .
- (Chaytor, H.J): A History of Aragon and catalonia , New York 1969 .
- (Chapman, C.E,) : A history of Spain , New York , 1931 .
- (Corredera, E) : Noticia de los condes de Urgel), Lerida 1973 .
- (Defourneaux, M) : Les Francias en Espagne aux xl et x ii Siecles), Paris , 1949 .
- (Dufourcq y Dalche): Historia economica y social de la España cristiana en la Edad Media) , Barcelona 1983 .

- (Eijan, S.) : Relaciones mutual de Easpaña y Tierra Santa), Santiago, 1912.
- (Enric ; B) : "Pere el catolic" Els primers comtes - Reis historia de catolunya , vol4 editorial vicens vives (sld) .
- (Fernandez, L.S): historia de España Edad Media , Madrid 1970 .
(Huici, M) :
1- Historia Politica del Imperio Almohade, Tetuan 1956 .
2- Las grandes Batalles de la Reconquista durante las invasiones Africanas madrid 1956 .
- (Jachson, G) : The Making of Medieval Spian californa 1972 .
- (Lomax, D.W) : La Reconquista), Barcelona , 1984 .
- (Mozoya, M): Historia de España T2 , Barcelona 1967 .
- (Martin , J.K) : la Peninsula en la edad Media , Barcelona 1975 .
- (Munoz; A.S) : Aragon en su Historia) Zaragoza 1984 .
- (Peres D) : Historia de portugal, vol 2, Barcelos 1929 .
- (Pidal, R.M) : El Imperia Hispanico ylos cinco Reinos , Madrid 1950 .
- (Ramsey: J.F) : Spain, the Rise of the Ferst World Powr), the University of Alabama, prss, 1973 .
- (Riu, M.R) : Manual de Historia de España, Edad Media, Madrid 1989 .
- (Soler, A.G): La Edad Media en la Corna de Aragon , Baraelona 1930 .

ثالثا : المصادر العربية :

ابن أبى زرع : (٧٢٦ / ١٣٢٦م) أبو الحسن على بن عبدالله ، الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، الرباط ١٩٧٢م.

ابن عذارى : (٧١٢ / ١٣١٢) أبو عبدالله محمد المراكشى: البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب» القسم الثالث (تاريخ الموحدين) تحقيق محمد إبراهيم الكنافى وأفرده الدار البيضاء ١٩٨٥م.

الحميرى : وعاش فى القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى، أبى عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم : صفة جزيرة الأندلس منتمية من كتاب الروض العطار، تحقيق ليفى برونتسال القاهرة ١٩٧٣م.

عبد الواحد المراكشي: محيي الدين عبد الواحد على المراكشي (٥٨٨-٦٤٧هـ) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، الدار البيضاء الطبعة السابعة ١٩٧٨، تحقيق دكتور محمد سعيد العريان.

رابعا : المراجع العربية والمترجمة:

- أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين الجزء الأول، القاهرة ١٩٤٠، الجزء الثاني القاهرة ١٩٤١ .

- سعيد عاشور (دكتور) : أوربا في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٧٥ .

- عصام سالم : (دكتور) : جزر الأندلس المنسية ، بيروت ١٩٨٤ .

- فشر : تاريخ أوربا العصور الوسطى ترجمة دكتور محمد مصطفى زيادة وآخرون القاهرة ١٩٥٤ .

- محمد عبدالله عنان : ١- دول الطوائف : الخانجي القاهرة ١٩٦٩ .

٢- عصر المرابطين والموحدين جزآن الخانجي القاهرة ١٩٦٤م.

- محمد محمد مرسي الشيخ (دكتور) : دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس الاسكندرية ١٩٨١م .

(٣)

دور الصليبيين فى استيلاء البرتغاليين على مدينة قصر أبى دانس

(٦١٤هـ / ١٢١٧م)

تُعد مدينة قصر أبى دانس[١] Alcacer do sal (قصر الفتح والترجمة الحرفية لاسم البرتغالى هو قصر الملح) من أهم مدن غرب الأندلس، فقد أشارت المصادر جميعًا إلى أهمية هذه المدينة وأنها من أمنع القواعد الدفاعية الإسلامية عن تلك المنطقة ، وهى تقع على مصب نهر شطوبر Sado وهو نهر صغير يصب فى بحيرة ضحلة متصلة بالبحر تسمى اليوم Set-ubal «أى البحيرة» تتصل بالمحيط الأطلنطى ويتسع هذا المصب لدخول السفن الكبيرة حتى تصل إلى أسوار المدينة وهذا الخليج الذى يصب فيه النهر والمتصل بالمحيط فهو يتسع[٢] ويصلح لتجمع السفن فيه.

وتتضح أهمية المدينة لمملكة البرتغال منذ عهد الملك ألفونسو هنريكز والذى حاول الاستيلاء عليها أربع مرات حتى استطاع فى المحاولة الأخيرة عام ١١٥٨م/ ٥٥٣هـ أن

١- قصر أبى دانس حصن فى ناحية (الجوف) فى الأندلس وهو منسوب إلى بانيه أبى دانس بن عوسجة المصمودى (جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، ص٤٦٦، ذكره فى سياق كلامه عن المصامدة فى الأندلس وقال: «وبنو دانس بن عوسجة كانوا أصحاب قلنبرة وإلى جدهم ينسب قصر أبى دانس فى الجوف، وقد أعاد الحكم المستنصر بناء الحصن بعد غارة المجوس على غرب الأندلس ٣٥٩هـ / ٩٧٠م وكان لقصر أبى دانس دور عظيم فى العصر الموحدى نظرا لاهتمام خلفاء الموحدين بالدفاع عن غرب الأندلس . هامش ص٢٧٢ حسين مؤنس للحلة السيراء .

أشار إليها الإدريسى «القصر مدية حسنة متوسطة على ضفة النهر المسمى شطوبر وهو نهر كبير تصعد فيه السفن والمراكب السفرية كثيراً وفيما استدار بها من الأراضى كلها أشجار الصنوبر وبها الإنشاء الكثير وهى فى ذاتها رطبة العيش خصيبة كثيرة الألبان والسمن والعسل واللحوم وبين القصر والبحر ٢٠ ميلاً صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، نشر دوزى، امستردام سنة ١٩٦٩، ص١٨١ ، والحميرى : صفة جزيرة الأندلس، ص١٦٠-١٦١ .

٢- انظر وصف مناعة وقوة المدينة فى :

Basto, op. cit., p. 160 , CF . also : Herculanos , Op. cit ., T2, p. 25 .

يستولى عليها عندما انتهز فرصة وصول بعض السفن الصليبين من فرنسا والمناطق المجاورة إلى لشبونة واتفق مع قادتها على محاصرتها ، فحاصرها بالأسطول بحرا وبجيشه برا، وكان الحصار متكاملاً وتمكن الطرفان بهذه الطريقة من تضيق الخناق على أهلها واستمر الحصار مدة شهرين والقتال على أشده حتى سقطت المدينة فى ٢٤ يونيو سنة ١١٥٨م / جمادى الأول ٥٥٣هـ [٣]. وظلت تحت السيادة البرتغالية حتى استعادها الخليفة الموحدى يعقوب المنصور، وذلك عندما كان يستعد لاسترداد مدينة شلب من البرتغاليين فتوجه بجيشه أولاً إلى مدينة قصر أبى دانس ونظم الخليفة قواته حول المدينة وأمر العبيد والأتباع بردم خندق كبير يحيط بالمدينة من جهاتها الأربع ثم ركز الموحدون هجومهم على الأسوار لكن البرتغاليين أمطروا المهاجمين بالنبال والحجارة مما أدى إلى إصابة عدد كبير من جنود الموحدين فقرر الخليفة عندئذ إيقاف القتال لمدة ثلاثة أيام حتى ينال الجنود قسطًا من الراحة وتكون سفن الأسطول الموحدى قد دخلت فى نهر شطوبر حاملة معها آلات الحصار والمجانيق . وبعد أن انتهت فترة الراحة أمر الخليفة بنصب أربعة عشر منجنيقًا خلال يوم وليلة حول أسوار المدينة، وفى ١٥ من جمادى الأول ٥٨٧هـ / ١٠ يونيو ١١٩١م أمر الخليفة جنوده بالهجوم المكثف على المدينة فاشتد القتال بين الطرفين حتى أصاب المدينة بضرر كبير وتراءى للبرتغاليين صعوبة المقاومة مما دفعهم إلى طلب الأمان واستولى الموحدون بذلك على المدينة وقام الخليفة بتنظيم شئون القلعة وأمر بإصلاح ماتهدم منها وترك بها حامية كبيرة نظم لرجالها الرواتب [٤]، وهكذا عادت المدينة مرة أخرى إلى السيادة الإسلامية وكان لقصر أبى دانس دور عظيم فى العصر الموحدى نظرا لاهتمام خلفاء الموحدين بالدفاع عن غرب الأندلس .

3- Cronica dos Godos : Apendice Brandao, cronica de conde D. Henrique , D. Tereso Ein-fante Alfonso , Porto 1944, p. 271 ; Chronicon Lusitano : España Sagrada , T 14 , Mardrid 1905 , p. 415 ; Chronicon conimbricense : España Sagrade T23 , Madrid 1850 , p. 332 ; Brandao , Mon Lus , Parte, 3 m p. 193 ; also : Herculano , op. cit., T2, p. 114 .

- محمد النشار : تأسيس مملكة البرتغال ، القاهرة ، عين للدراسات ١٩٩٥ م، ص١٧١-١٧٢ .

٤- ابن عذارى : البيان المغرب، القسم الثالث (الموحدين) ، ص١٨٤-١٨٥، عنان : عصر المرابطين والموحدين، ج٢، ص١٨٦-١٨٧ .

Huici, Op. cit ., T 1, pp. 355-356 ; Lomux , D.W.: LaReconquista, Barcelone 1984, p. 155 .

كان الحدث الهام الذى أعقب موقعة العقاب وأشار إليه المؤرخون المسلمون بأنه من أكبر الكوارث التى أصابت المسلمين فى الأندلس حتى أنها تعادل هزيمة العقاب كان استيلاء البرتغاليين والصليبيين على قصر أبى دانس.

الجدير بالذكر أن الحملة البرتغالية الصليبية لها مقدمات مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالأحداث التى تمر بها شبه الجزيرة الأيبيرية آنذاك وتبدأ بموقعة العقاب ١٢١٢م / ٦٠٩هـ La Batalla de las novas de Tolosa عندما اتحدت القوى المسيحية كلها فى شبه الجزيرة الأيبيرية وانضم إليها كثير من الصليبيين من خارج شبه الجزيرة (من شتى بقاع الغرب الأوربى) كما أشارت المصادر الإسلامية والمدونات المسيحية وبرعاية البابا أنوسنت الثالث (١١٩٨-١٢١٦م) وكان انتصار القوات المسيحية ضد الجيش الموحدى بقيادة الخليفة محمد الناصر (٥٩٠-٦١٠هـ / ١١٩٩-١٢١٣م) [٥].

والجدير بالذكر أن المصادر المسيحية اتفقت على اشتراك جيش من البرتغاليين واختلفوا فى قيادة هذا الجيش ما بين الملك ألفونسو الثانى (١٢١٥-١٢٢٣) [٦]، والأمير البرتغالى

٥- للمزيد من التفاصيل عن هذه المعركة انظر:

ابن عذارى : البيان المغرب، القسم الثالث (الموحدين) ، الدار البيضاء ١٩٨٥، ص٢٦٣-٢٦٥ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس ، الرباط ، ١٩٧٢ ، ص٢٣٨-٢٤٠، الحميرى : صفة جزيرة الأندلس، القاهرة ١٩٣١، ص١٣٨-١٣٩ . أما المصادر المسيحية أهمها:

Rodrigo . Historia de las hechos de España , Madrid 1982 , pp. 308-323 , Primera Cronica general de España , Madrid 1955, p. 98, Cronica Latine de los Reyes de Castilla, Un . de Cadiz , 1948 , pp. Lucas de Tuy : Cronica de España , Madrid, 1962 , pp. 413-415 .

بالإضافة إلى المؤلفات العربية وأهمها:عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ج٢، القاهرة ١٩٦٤ ، ص٣٠٢-٣١٧ .وهناك دراسة لويثى ميرانده حول معارك الاسترداد الكبرى:

Huii, M.: Las Grandes Batalles de la Reconquista , Madrid 1956, pp. 213-340 .

6- Duarte , Numes de leao : Chronica del rei dom a fonso II , Cronica das reis de Portugal, Porto , 1975 , p. 119 . CF . Also : Serano, J.V . : Historia de porutugal, Voll, Lisboa 1979 , p. 121, Staphens, H.M., : Portugal, London 1891 , pp. 7-1 Denis , F.: Historia de Portugal, Barcelona 1848 , p. 17 , Mattoso , A.G.: Historia de Potugal, vol, Lisboa , 1939 , pp. 69-70 .

بــدروPedro أخو الملك وثالث أبناء الملك سانشو الأول (١١٨٥-١٢١١م) [٧]. ولكن لم يشترك ألفونسو الثانى (البرتغالى) بنفسه فى المعركة ويؤكد ذلك المؤرخ المعاصر رودريك الطليطلى رئيس أساقفة طليطلة -الذى كان له دور كبير فى الإعداد والاشتراك فى هذه الموقعة- الذى لم يشر إلى ألفونسو بل أشار إلى ثلاثة ملوك قادوا الجيوش المتحدة هم سانشو السابع ملك نافار وبدرو الثانى ملك أراجون (١١٩٦-١٢١٣م)[٨] وألفونسو الثامن (النبيل) ملك قشتالة (١١٥٨-١٢١٤م)[٩] واتفق مع كثير من المؤرخين[١٠] .

والجدير بالذكر أن موقعة العقاب من أشد النكبات التى تعرض لها المسلمون فى شبه الجزيرة الأيبيرية وكان لها أكبر الأثر فى تدهور أوضاع المسلمين فى الأندلس إذ أن سلطان الموحدين فيها قد انهار ؛ وكان الخليفة محمد الناصر قد صب جام غضبه على زعماء الأندلس بعد الهزيمة لاعتقاده بأنهم السبب فى الهزيمة على الرغم من إعداد جيشه الكبير فقتل وعزل كثير ثم عاد إلى المغرب لينغمس فى مشكلاتها واحتجب فى قصره تاركا شئون الدولة وانغمس فى ملذاته كما أشارت المصادر حتى سُمّ فى طعامه وتوفى بعد عام من المعركة ٦١٠هـ - ١٢١٣م [١١].

٧- أشباخ : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والوموحدين ، القاهرة ، ١٩٩٦م، ص١١١-١١٢ .

٨- لمزيد من التفاصيل عن بدرو الثانى ملك أراجون (١١٦٩-١٢١٣م) .

انظر: بحثنا عنه (سياسة بدرو الثانى ملك أراجون فى جنوب فرنسا ١١٩٦-١٢١٣م- مجلة التاريخ والمستقبل- كلية الآداب- جامعة المنيا- العدد الثانى- يوليو ١٩٩٨) . والبحث رقم ٢ في هذا المؤلف .

٩- حكم ألفونسو الثامن مملكة قشتالة من ١١٥٨-١٢١٤م وقد توفى والده سانشو الثالث ولديه من العمر ثلاث سنوات مما أدى إلى تصارع أسرتى كاسترو ولارا حول الوصاية عليه واندلعت الحرب الأهلية فى مملكة قشتالة حتى استطاع أن يوطد الأمور عام ١١٦٩م عندما بلغ سن الرشد، وهو من أشهر ملوك قشتالة وقد شهد هزيمة الأرك عام ١١٩٥م على أيدى الموحدين وانتصاره عليهم فى موقعة العقاب ١٢١٣م / ٦٩هـ وفى حكمه احتفظت مملكة قشتالة بتفوقها السياسى والعسكرى على باقى الممالك الأسبانية المسيحية . ولمزيد من التفاصيل انظر:

Cronica Latina de los Reyes de Castilla un. cadiz, 1984, pp. 21-35 , Radrigo , op. cit , pp. 296-329 . en la epoca de Alfonso VIII, Madrid, 1960 .

وانظر مؤلف جونثالث عن الفونسو الثامن : Gonzalez: J, El Rinode Castilla

10- Rodrigi, Op.cit., pp. 316-317, Cronica Latina, p. , CF also Herculano , op. cit., pp. 7-18 , Huici, Op. cit., pp. 253-254 .

١١- ابن أبى زرع : روض القوطاس ، ص٤١ ، أشباخ : المرجع نفسه، ج٢، ص١٥٢ .

تولى ابنه من بعده أبويعقوب يوسف المنتصر بالله (٦١٠-٦٢٠هـ / ١٢١٣-١٢٢٤م) الذى كان لديه من العمر عشر سنوات (وفى رواية ١٥ عامًا) فدخلت دولة الموحدين دور الانحلال والضعف والصراع على انتزاع العرش وإنهارت القوى الموحدية وأصبحت الأندلس مسرحا للحروب الأهلية وخير توضيح لذلك ما ذكره ابن أبى زرع.

«كان حين بويع صغير السن كما راهق الحلم لا حكمة له ولا تجربة ولامعرفة بالأمور فأقام بأشياخ الموحدين دولته مع أشياخ من أعمامه فاستقرت خلافته لأجل ذلك ولم ينازع عليها ولم يغز فى أيامه ولم يقدر عليه وكانت أوامره لاتتمشل وكل من ولى بلدا عمل فيه برأيه واستبد فيه بأمره فضعفت دولة الموحدين فى أيامه واعتراها النقص وأخذت فى الإدبار»[١٢].

ويتضح مما سبق أنه كان أضعف من أن يتولى مقاليد الحكم بنفسه فتركها لأعمامه طامحين ووزراء سيئ السمعة لأهم لهم إلا مصالحهم وكان يحكم الأندلس أربعة من أعمامه ؛ هم السيد أبو محمد عبدالله بن المنصور ويحكم بلنسية ودانية وشاطبة ومرسية، والسيد محمد ويحكم قرطبة والسيد أبو على ويحكم أشبيلية ، والسيد أبو عبدالله ويحكم جنوبى الأندلس[١٣]. هكذا كانت أوضاع دولة الموحدين بعد موقعة العقاب وأثناء الحملة البرتغالية الصليبية.

أما بالنسبة لأثر معركة العقاب على الممالك المسيحية فإنها لم تنقذ الممالك المسيحية الأسبانية فقط بل إنها هيأت الأوضاع لتحقيق أكبر الإنجازات باستغلال الأوضاع المتدهورة للمسلمين فى الأندلس ولكن ما لبثت أن ثارت المنازعات بين مملكتى ليون وقشتالة عقب موقعة العقاب مباشرة وعندما انتهت بعقد الهدنة أعقبها قحط مروع ومجاعة كبيرة أثرت على الممالك المسيحية لاسيما مملكة قشتالة فكان من المتعذر شن حملات منظمة على الأراضى الإسلامية[١٤].

وإن كانت هناك إشارات من المصادر إلى أنه فى عام ١٢١٤م قد دعا الفونسو الثامن ملك قشتالة كلاً من ألفونسو الثانى ملك البرتغال (١٢١١-١٢٢٣م) وألفونسو التاسع ملك ليون

=Huici, M; Historia Politica Jel Imperio Almohades, T2, Tetuan 1956, p. 4 .

١٢- ابن أبى زرع : روض القرطاس، ص٢٤٣ ، انظر أيضا مؤرخ مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، الدار البيضاء ١٩٧٩ ، ص١٦٢ .

١٣- أشباخ : المرجع نفسه، ج٢، ص١٥٢ .

١٤- Rodrigo , op. cit ., pp. 326-427 , Cronical Latino , pp. 40-41 .

(١١٨٨ - ١٢٣٠م) لتوثيق أواصر الصداقة والسلام بينهم وتنظيم حملة مشتركة ضد أراضى المسلمين لكن ألفونسو الثامن توفى قبل تنفيذ ذلك فى ١٦ أكتوبر سنة ١٢١٤م[١٥].

أما بالنسبة لمملكة البرتغال فإن ويسى ميراندة أشار إلى أنها لم تُعان من القحط والوباء اللذين نشبا فى باقى الممالك المسيحية [١٦]. لكنها إنشغلت بمشكلات عديدة ومعقدة منذ بداية عهد الملك ألفونسو الثانى (١٢١١-١٢٢٣م) [١٧]، بسبب وصية أبيه سانشو الأول حيث كان قد أوصى بالمملكة لابنه ألفونسو ومنح إقطاعيات وأراضى لإخواته البنات مع تعهد ألفونسو الثانى باحترام هذه الوصية ، ولكن بعد وفاة أبيه طالب بأن تخضع هذه الأراضى لسلطته، وكان ذلك بداية لنزاع خطير آنذاك تدخلت فيه القوى الأخرى المتمثلة فى مملكة قشتالة والبابوية حيث أيد البابا أنوسنت الثالث مطالب إخوة ألفونسو، وأرسل مبعوثين لحل هذه المشكلة ولكن لم ينجحوا فى الوصول إلى اتفاق مع الملك مما دفع البابا إلى إصدار قرار الحرمان الكنسى ضد ألفونسو الثانى مما أثار الأخير واستولى بالقوة على أملاك إخوته ونشبت الحروب بينهم وتدخل جيش قشتالى لكن لم ينجحوا فى إجباره على التراجع ولم يجدوا إلا المفاوضات والتوسطات هى السبيل لحل هذه المشكلة وهذا ما تم فى عام ١٢١٦م[١٨].

ولذلك أعاقت هذه المشكلات أى توجه أو مشاريع لغزو أراضى المسلمين إلى أن حانت الفرصة فى عام ١٢١٧م ، عندما دعا البابا أنوسنت الثالث للحملة الصليبية الخامسة ضد

١٥- أشباخ ، المرجع نفسه، ص١٣٧-١٣٨ .

١٦- Huici, op. cit ., T2, p. 442 .

١٧- ولد ألفونسو الثانى فى قلمرية ٢٣ أبريل سنة ١١٨٥م وكان لديه ٢٦ عامًا عندما تولى العرش فى ٢٧ مارس سنة ١٢١١م وكان قد تزوج فى سنة ١٢٠١م من دونيا أوراكا ابنة ألفونسو التاسع ملك ليون .
Radrigo , Op . cit p. 272 ; CF . elso : Cronico do Rei D.A. fonso 11, Cronias Dos Sete Primeiros Reis de Portugal, Ediciao . Critico Carlos Das Silvo Tarouco, vol 1, Lisboa 1952 , pp. 181-182 , Denis , op. cit., p. 7 .

18- Duare : Chronica de Rei Dom Afonso II, Cranicas Dos Reis de Portugal , Porto , 1975, p. 118 .

أشباخ: المرجع نفسه، ص٢٠٣-٢٠٤ .

* ولمزيد من التفاصيل انظر:

Herculano , op.cit., T2. pp. 181-205 .

مصر ثم تابعها بعد وفاته البابا هونوريوس الثالث (١٢١٦-١٢١٧م) [١٩]، وقد استجابت لها مختلف القوى الأوربية يهمنا منها إحدى الفرق من غرب أوربا والمكونة من عدة مناطق أهمها هولنده عندما أمر أميرها بتشكيل حملة أسطول بقيادة الكونت جالرمو Guilherme ومن كولونيا أيضًا بقيادة الكونت ويز Withe ومن هنفاريا عندما أمر ملك هنفاريا أندر Andr الأمراء بالاشتراك فى هذه الحملة بجيوشهم بالإضافة إلى فرق من ألمانيا تضم بعض العناصر السابقة وكذلك قوات من الفريزين بقيادة الكونت جورج فون والفلاندرزومن هيناو Henau والفلمنك ومختلف بقاع الغرب الأوربى حيث استعد الجميع للإبحار من ميناء وليردينجز Wliardingess [٢٠].

وصل هذا الأسطول - الذى اختلف المؤرخون فى عدد سفنه ما بين ١٥٠ سفينة [٢١]، و١٠٥ سفينة[٢٢]، و ٣٠٠ سفينة [٢٣]، و٢٠٠ سفينة [٢٤]، ويبدو أن اختلاف عدد السفن يرجع إلى أنه كثيرا ما بعض السفن كانت تضم إلى الأسطول فى أثناء إبحاره إلى السواحل الغربية لشبه الجزيرة الأيبيرية ثم إلى الأرض المقدسة ببلاد الشام.

وصلت السفن إلى ميناء فارو Faro[٢٥]. فى جليقية وتوجه الصليبيون براً لزيارة كنيسة

19- Brandao , A. Monarquia Lusitana , Parte 4, Lisboa 1974, p. 89 ; CF. also : Herculano, Op. cit ., T2 , p. 253 , Peres, D . Historia de Portugal, vol 2, Barcelos 1929, p. 185 .

٢٠- اختلفت المصادر فى عناصر هذه الحملة ومجموع العناصر فى المؤلفات التالية:

Duarte , Op. cit ., p. 120, Cronica do Rei , D.A. Fonso II, p. 185; Brandao Molus ., p. 89 , CF . also . Herculano Op. cit., p. 254 ; Peres, op. cit , p. 185 ; Serrao , J.V.: Historia de Portugal, vol 1, Lisboa 1979 , pp. 121-122, Chantal's: Historia de Portugal Barcelona 1960 , pp. 46-47 .

- أشباخ : المرجع نفسه، ج٢ ، ص٢٠٥ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ج٢ ، ص٣٣٨ .

21- Duare, op.cit ., p. 120 .

23- Cronico, do Rei, D.A. Fonso II, p. 185 .

- Chantal, op. cit., p. 46 : Denis , Op.cit., p. 8 .

- أشباخ، المرجع نفسه، ج ، ص٥ .

24- Herculano, op. cit., p. 254 .

٢٥- إحدى الموانئ الصغيرة جداً بالقرب من مدينة شانت ياقب وهى فى جليقية وتطل على المحيط الاطلنطى وهى غير مدينة فارو فى جنوب البرتغال والتى تدعى شنتمرية الغرب .

القديس شانت ياقب وطلب البركات والتوفيق منه[٢٦] ولكنهم استقبلوا استقبالا سيئا من أهالى جليقية لاعتقادهم أنهم قراصنة خاصة وأنهم لايغيب عن أذهانهم القراصنة النورمان ، فهم يخشون منذ سنوات عديدة حضورهم لكى يسرقوا رأس القديس شانت ياقب ولذلك أقفلوا طريق شانت ياقب دى كومبوستلا ولم تتم الزيارة [٢٧]. وتوجهوا بحذاء الساحل إلى الجنوب ثم تعرضوا لعاصفة هوجاء فتفرقت السفن وتشتت وغرق بعضها وتوجه الباقى إلى ميناء رأس القديس فيكنت Cabo desamVicente لكى تتجمع بعض السفن ثم توجهوا إلى ميناء لشبونة Lisbona عند مصب نهر التاجة فى ١٠ يولية سنة ١٢١٧ [٢٨]. لكى تنتظر تجمع باقى السفن .

وفى أثناء انتظار باقى السفن الشاردة وإصلاح السفن العاطبة، بدأ يفكرون كعادتهم منذ عهد الملك ألفونسو هنريكز فى استغلال وجود هذه الحملة الصليبية لكى يستعينوا بها فى تنفيذ مشاريعهم وأحلامهم فى أراضى المسلمين خاصة وأن مملكة البرتغال شهدت نشاطا محموماً للحركة الصليبية إذ أنها تتمثل فيها الروح الصليبية بأكمل معانيها أكثر من أى منطقة أخرى فى شبه الجزيرة الأيبيرية وذلك نتيجة لسواحلها التى شهدت كثيرا من الحملات الصليبية المتجه إلى بلاد الشام التى كانت تمر بها.

أمر الملك ألفونسو الثانى أسقف لشبونة سويرو Soeiro برئاسة وفد - وكان ألفونسو الثانى يستخدمه فى مهام الدولة مثلما كان مبعوثه من قبل إلى روما لأجل حل مشكلاته مع البابوية- وكان معه أسقف يابره Evora ورئيس دير الكوبازة Alcabaca وقائد بلمالة

26- Ibid ., p. 255 .

27- Chantal , Op. cit., p. 47 .

- وقد تعرضت حملات صليبية من قبل إلى نفس هذه الأحداث وعلى سبيل المثال الحملة المكونة من الفلمنك والألمان والإنجليز الذين تجمعوا فى حوالى ٦٠ سفينة لكى يشاركوا فى مقدمات الحملة الصليبية الثالثة سنة ١١٨٩-٥٨٥هـ وقف أهالى جليقية ومنعوهم بالقوة من دخول المدينة ونشب القتال بين الطرفين وراح ضحيته عدد كبير من القتلى من كلا الجانبين وأجبر الصليبيون على العودة إلى سفنهم .

Herculano , op. cit ., pp. 42-43 , Peres, op. cit ., p. 12 .

28- Duarte, op. cit p. 120; Cronicado Rei D.A. Fonso II, p. 185; CF. also : Serrao, op. cit ., p. 121 l Herculano, op. cit ., T2, p. 255 .

وهو مارتينو Martino وكثير من الفرسان المشهورين من مختلف أعضاء جماعات رهبان فرسان الداوية بقيادة بدرو البيتيز Pedro Alvitiz والاسبتارية لاستقبال الصليبيين استقبالاً رائعًا (٢٩).

وهنا بدأ الأسقف سويرو يعرض عليهم أنه بدلا من الحملة الصليبية فى الأراضى المقدسة فهنا لايقل المجد والثواب عن الشرق لأنه الأعداء هنا هم الأعداء هناك ومن أجل الكفاح من أجل الكاثوليكية(٣٠)، واستعرض فى خطاب بليغ بكلمات رنانة وتصوير بليغ حدد هدفه بقوله:

«إن حضوركم حسن لأنه توجد القلعة المدعوة القصر والتى تقع فى جنوب أرضنا وتسبب لنا كثيرا من الأضرار ولذلك نطلب منكم المساعدة فى تدميرها وبدون شك فان الله سيضفى علينا المجد»(٣١).

وقد شرح لهم مدى الأضرار من هذه القلعة خاصة وأن المسلمين يخرجون منها للإغارة على الأراضى البرتغالية ويسببون كثيراً من الأضرار لها ، وعرض عليهم المزايا المختلفة ووضح لهم أنه من الصعب طرد المسلمين من هذه القلعة دون المساعدات (٣٢)، خاصة وأنهم كثيرا ما هاجموا المدينة برا ولكن كان هناك نقص فى الحصار البحرى (٣٣).

وهنا يثار تساؤل مهم هو : ما هى حقيقة الأضرار التى تعرضت لها أراضى البرتغال من مدينة قصر أبى دانس Alcacerdo sal ، وما أهمية الدوافع الحقيقية للاستيلاء على هذه المدينة.

ومن الجدير بالذكر أن هذه المدينة تقف عائقًا أمام مشاريع مملكة البرتغال فى حركة الاسترداد لأن البرتغاليين لايستطيعون الاستيلاء عليها دون حصار بحرى لم يتوفر هذا لهم وفى الوقت نفسه لايستطيعون التقدم جنوبا ويتركون من خلفهم هذه المدينة القوية الحصينة التى تعتبر المشرفة على منطقة الالنتخوا وجنوب غرب شبه الجزيرة الأيبيرية،

29- Herculano , op. cit ., p. 257 , Perse, op. cit ., p. 185 , Fartunato de Almeida: Historiede Portugal, T1, Coimbro 1922 , p. 197 , Stephens , Portugal, London , 1891, p. 72 .

30- Brandao , Mon . Lus , p. 89 .

31- Cronica do Rei D. A. Fanso II , pp. 186-187 , CF . also : Serrao, op. cit., p. 122 .

32- Duarte, op. cit ., pp. 120-121 .

33- Herculano , op. cit ., T2, p. 57 .

أما إشارة الأسقف سوير فى خطابه إلى أنها سببت أضراراً كثيرة، حقيقية إنها قريبة جداً من أراضى البرتغاليين إذ نجد أنها قريبة من قلعة بلمالة Palmela التى تقع فى الشمال الغربى منها قريبة وأيضا من مدينة يابرة (يبورة) Evora التى تقع إلى الشمال الشرقى منها إلا أن الحملات ضد الأراضى البرتغالية منها هى حجة استخدمها الأسقف لكى يزكى حماس الصليبيين ويغريهم بالاشتراك فى مشروع الحملة ومن خلال بحثنا عن أى نشاط أو حملات من هذه المدينة خاصة بعد موقعة العقاب لم نعثر على شئ من هذا خاصة وأن ما أشرنا إليه عن أوضاع المسلمين فى الأندلس بعد موقعة العقاب ينفى أن تكون هناك هجمات منظمة أو حملات من هذه المدينة ضد الأراضى البرتغالية لكن أهميتها بالنسبة لمملكة البرتغال تكمن فى أن الاستيلاء عليها يفتح أمامها مجال استئناف حركة الاسترداد لأنها كانت العائق وحائط الصد الرئيس أمام مشاريع تقدم البرتغاليين فى الأراضى الإسلامية فى الجنوب الغربى من شبه الجزيرة الأيبيرية نحو الجنوب، وإذا عدنا إلى موقف الصليبيين من عروض الأسقف سويرو نجد أنه قد تنوع الاستجابة ما بين تنفيذ رغبة البابوية وأنهم حملوا الصليب من أجل الأراضى المقدسة فى الشرق وتنازعوا فاستجاب بعضهم ومنهم الفلمنكيين الذين قبلوا بشروط ورفض بعضهم ورحلوا إلى الشرق ومنه الفريزيين(٣٤).

بدأت الاستعدادات بأمر من الملك ألفونسو الثانى الذى كان مشغولا بنزاعاته ومشكلاته- كما أشار ويثى ميراندة- (٣٥). أو مريضا فى قلمرية كما أرادت أن تبرر المدونات البرتغالية عدم اشتراكه فى هذه الحملة- (٣٦). واجتمع مع أسقف لشبونة سويرو المشرف العام على الاستعدادات والحملة - كل من دون بدرو مقدم الداية وجماعته ودون جونثالو مقدم الاسبتارية وجماعته ومارتين بايز بارجاو Martin Pais Barregao قائد جماعة شانت ياقب فى البرتغال وزعيمها وكذلك أسقف يابرة Evore ورئيس دير الكوبازة وقائد بلمالة Palmela دون مارتين بيريز Dom Martin Peris وكثير من الفرسان والمشاه البرتغاليون حيث قدر عددهم جميعا ٢٠ ألف من المشاة بينهم عدد قليل من الفرسان (٣٧)، وكان الهدف التوجه برا إلى

34- Peres, op. cit ., p. 185; Serrao, op. cit ., p. 122 .

- فى رواية أشباخ رحل ٨ سفن منهم، نفس المرجع ، ج٢، ص٢٥ .

35- Huici, Op. cit ., T2 , p. 442 .

36- Duarte, op. cit ., p. 121 ; Brandao, Mon .. Lus ., p. 90 .

37- Basto, op. cit ., p. 159 ; Branduo, Mon ... Lus .., p. 90 ; Chronica do Rei D.A.Franso, p. 88; CF also : Fortunato, Op. cit., p. 197 .

مدينة قصر أبى دانس، فى حين خرجت السفن الصليبية وأشارت المصادر إلى أنهم ثمانون سفينة مع بعض القوارب ومن انضم إليهم من السفن الشاردة فى الطريق وتوجهوا جميعا جنوبا إلى مصب نهر شطوبر Sado Satubal فى ٣ يوليو سنة ١٢١٧م وتوغلوا فى النهر حتى وصلوا إلى قرب مدينة القصر حتى إنهم أسروا فى طريقهم بعض ما وجدوا من صائدى السمك من المسلمين ثم عسكروا فى الضاحية المواجهة لأسوار المدينة وانتظروا أربعة أيام حتى وصل البرتغاليون وفى ٣ أغسطس سنة ١٢١٧م، تجمعت القوات البرتغالية والصليبية أمام أسوار مدينة قصر أبى دانس (٣٨).

وهنا كانت المفاجأة للمسلمين الذين أسرعوا بالتحصن داخل المدينة واعتمدوا على حصانة أسوارها وعلوها وقوة تحصيناتها، وحاميتها القوية التى أشارت إليها المصادر البرتغالية وأفاضت (٣٩)، وقد أشار الأستاذ باسيليوبابون فى دراسة أثرية له أن المدينة كانت لديها أسوار قوية وقلعة والأسوار كلها تشتمل على أبراج وأبراجها على ارتفاع يتراوح ما بين ٧٥ و ٨٠ متراً وسمك السور ٢,٢٦ متر وبعض الأبراج تعطيك انطباعا بأنها منفصلة عن الأسوار إلا إن أسوارها وأبراجها محكمة (٤٠).

بدأ هجوم القوات المشتركة على أسوار المدينة فى يوم ٣ أغسطس بقذف المدينة وضواحيها ولم يستطع المسلمون الخروج من داخل الأسوار وقد نجحت المدينة فى صد هذا الهجوم خاصة وأن أسوارها تحتوى- كما أشرنا- على كثير من الأبراج المحصنة القوية للمراقبة والدفاع وقد حاول المهاجمون وضع السلالم على الأسوار لكنهم فشلوا لاستبسال المسلمين فى الدفاع وبدأ القتلى يتساقطون من الجانبين (٤١).

عادت القوات البرتغالية الصليبية إلى معاودة الهجوم مرة أخرى على أسوار المدينة واستعاوا فى ذلك باثنين من الأبراج وعلى الرغم من ذلك نجح المسلمون فى رميها بالنار

38- Duarte , Op. cit ., p. 121 ; CF . also : Serrao , op. cit ., p. 122; Herculano, op. cit . T2, pp. 259-260 .

٣٩- انظر تفصيلات ذلك فى:

Basto : Op. cit , p. 160;

Brandao , Mon .. Lus .., p. 90, Cronica do Rei , D.A. Fonso II , pp . 188-189 .

40- Pavon: Basilio L Ciudades Y Fortalezas Lusomusulmanas , Madrid 1993. p.

41- Duarte , Op.cit ., p. 121; CF . also L Herculano: op. cit ., T2, p. 260 .

وأحرقوها مما دفع المهندسين إلى إنشاء أبراج أخرى وتغطيتها بمواد لاتشتعل بها النار وهاجموا الأسوار مرة أخرى واشتد القتال وبدأ الهجوم شديدا ودافع المسلمون دفاع المستميت وكثر عد القتلى من الجانبين(٤٢).

طورت القوات البرتغالية من هجومها وبدأت فى استخدام آلات الحرب بشكل مكثف لتغطية المهندسين المسيحيين الذين نجحوا فى الوصول إلى أسوار المدينة ولمحاولة إحداث ثغرات فى هذه الأسوار لكن المسلمين أحبطوا عملهم ومنعوهم من ذلك(٤٣).

وهكذا استمر الحصار شهرا ونصف الشهر وتعددت محاولات الصليبيين والبرتغاليين فى مهاجمة الأسوار وحاولوا إحداث ثغرات أو هدمها وفى مواجهة ذلك استمات المسلمون فى الدفاع عن المدينة وأصبح القتلى والجرحى كثيرون من كلال الطرفين (٤٤). فلم يجد حاكم المدينة عبد الله بن وزير(٤٦) إلا طلب النجدة بارسال رسائل إلى ولاة الأندلس جميعًا من أجل تقديم المساعدة لقصر أبى دانس وكانت أخبار هذه الأحداث قد وصلت إلى الخليفة المستنصر الموحدى الذى أمر ولاته فى شبه الجزيرة بتقديم المساعدة لأبى عبدالله (٤٦).

42- Cronicado Rei D.A Fonso, p. 189 , CF . also : Peres, Op. cit ., p. 189; Fortunato , Op. cit ., p. 197 .

43- Herculano, Op. cit , T2 , p. 260 .

44- Duarte, Op. cit., p. 120; ; CF . also L Huici , op. cit ., T2, p. 442 .

٤٥- أشار إليه ابن الآبار فى الحلة السيراء «أنه كان واليا على قصر الفتح وماليه من التغير وبعد وفاته ولى عبدالله ذلك وقد تقدم ذكر أبيه أبى بكر فى آخر المائة السادسة، وكان أكبر بنية والوارث دون إخوته .. ولم تظل ولايته ولا كادت تتبين كفايته ، حتى نازله الإفرنج وتغلبوا عليه فى جمادى الأولى سنة ٦١٤هـ بعد وقيعة هناك فقد فيها آلاف من المسلمين بتخاذل رؤسائهم يوم التقى الجمعان وهما إحدى الكوائن المنذرة حينئذ بما آل إليه أمر الأندلس الآن وأسر عبدالله هذا ومن كان معه ثم تخلص من تلك الحال بحيله توجهت له واستعمل بعد وفاته على مراكش إثر خلاصه وقبضت عليه العامة بتحريك محمد بن يوسف بن هود الملقب بالمتوكل - أياها عليه وعلى أهل بيته وسبق إليه فقتله وأخاه أبا عمر وعبد الرحمن منصرفه من الوقيعة العظمى عليه بمارحة من الثغر الجنوبى فى سنة سبع وعشرين وستمائة ، ج٢ ، ص٢٩٥-٢٩٦ ، دار المعارف ١٩٨٥ ، وقد أشار ابن آثار أيضا إلى أبيه محمد بن سعيد بن عبد الوهاب بن وزير القيس أبى بكر أنه من أشهر زعماء عرب الأندلس واقترن اسمه بثورة الأندلسيين على المرابطين وكان ولى قصر الفتح المنسوب إلى أبى دانس عن استراجعه من أيدى الروم فى جمادى الأولى سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م ، ص٢٧٠ - ٢٧٣ .

٤٦- ابن أبى زرع : روض القرطاس ، ص٢٤٢ ، عنان : المرجع نفسه، ج٢ ، ص٣٢٨ .
Herculano , Op. cit ., T2 , p. 261 .

استجابت المدن المجاورة لقصر أبى دانس وتكون جيش من مسلمى الأندلس وأشارت المصادر والمدونات البرتغالية إلى أنهم كانوا بقيادة أربعة ملوك (ويقصد بهم ولاة أى حكام ولايات) وهم ولاة بطليوس وقرطبة وإشبيلية وجيان (٤٧). ومن انضم إليهم من جنود مناطق غرب الأندلس كما أشار ابن أبى زرع (٤٨). وقد وضح ذلك المؤرخ هرقلانو وقال بأنه قد انضمت أيضا قوات من شريش Jerez(٤٩) واستجة Ecija وقرمونة Carmona(٥٠) وإحدى المدن التى تدعى Xeques desiolonio(٥١) (لم نستدل على اسمها العربى).

ومن الجدير بالذكر أن مدونة الكويازة قد أشارت إلى ثلاثة ملوك (ثلاثة ولاة) هم حكام قرطبة وإشبيلية وجيان (٥٢). وهذا يتفق مع الرواية الإسلامية (ابن أبى زرع والحميرى)(٥٣) فلم يشيروا إلى بطليوس Badajoz وإن كانوا قد أشاروا إلى خروج جنود أيضا من غرب الأندلس - وهى تشمل بطليوس وشريش مناطق غرب الأندلس الأخرى، وذلك يوضح أن الجيش كان من مختلف مدن ومناطقها غرب الأندلس لنجدة مدينة قصر أبى دانس خاصة وأنه كان هناك أمر من الخليفة المستنصر لكل مسلمى الأندلس .

47- Duarte , op. cit ., p. 8. 121 ; Basto , Op. cit ., p. 161; Cronicedo Rei D. A. Fonso, p. 190; 190; CF . also. Stephens, Op. cit ., p. 72 .

٤٨- ابن أبى زرع : روض القرطاس ، ص٢٤٢ .

٤٩- شريش : عرفها الحميرى «من كور شيزونة بالأندلس، بينها وبين قلشانة خمسة وعشرون ميلا وهى على مقربة من البحر ....، وشريش متوسطة حصينة حسنة الجهات قد أطافت بها الكروم الكثيرة وشجر الزيتون والتين والحنطة، بها ممكنة» صفة جزيرة الأندلس، ص١٠٢ والمصادر العربية جميعًا التى تناولت وصف الأندلس نصت على أن شريش كانت قاعدة أو حاضرة كورة شيزونة .

٥٠- قرمونة: أشهار إليها الحميرى بقوله : «مدينة بالأندلس فى الشرق من إشبيلية وبينها وبين استجة خمسة وأربعون ميلاً وهى مدينة كبيرة قديمة. المصدر نفسه ، ص١٨-١٥٩ وفى وصف ابن الشباط لها «قال فى اختصاص اقتباس الأنوار : قرمونة مدينة بالأندلس شرق من إشبيلية وغرب من قرطبة وهى مدينة قديمة» تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، تحقيق أحمد مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، ١٩٧١ ، ص١٢٨ وهى الآن مركز إدارى فى مقاطعة إشبيلية .

51- Herculano, op. cit., T2 , p. 261 .

52- Brandao, Mon ... Ls ... p. 91 .

٥٣- ابن زبى زرع : الروض القرطاس ، ص٢٤٢ ، الحميرى: صفة جزيرة الأندلس، ص١٦٢ .

تكون الجيش وقد بلغ تعداده كما أشارت المدونات البرتغالية خمسة عشر ألفًا من الفرسان وثمانون ألفًا من المشاة و١٢ سفينة (وفى رواية ١٠) كحملة بحرية (٥٤). وفى رواية أخرى لمدونة الكوبازة وهى أقرب المدونات البرتغالية إلى الأحداث أنهم خمسة عشر ألفًا من الفرسان وأربعون ألفًا من المشاة وكان معهم أسطول من السفن (٥٥). لكن المدونات المسيحية دأبت على المبالغة فى أعداد المسلمين لكى تبرز أهمية هذا النصر والدليل على ذلك- كما أشرنا- مدونة الكوابزة التى أشارت إلى عدد أقل ويلاحظ أنه كلما بعدت المؤلفات التاريخية زمنيا عن الحوادث كلما زادت المدونات المسيحية فى أعداد الجيوش الإسلامية.

استعدت القوات الإسلامية وتوجهت براً وبحراً إلى قصر أبى دانس ووصل الجيش البرى فى ١٠ سبتمبر سنة ١٢١٧م واستقر فى ضاحية تدعى سبتموس La Ribeirie Sitimos على بعد ثلاثة أميال من معسكر الصليبين (٥٦)، وكما أشارت المصادر البرتغالية أحس البرتغاليون والصليبيون بالخطر الكبير مما دفع قوادهم إلى تزكية حماسهم وطرح الخوف جانبًا وقام الأسقف سوير وخطب فيهم ليرفع من روحهم المعنوية (٥٧). ولكن فى مساء يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٢١٧ نفسه وصلت إمدادات جديدة للمسيحين أيضا كانت غير متوقعة حيث وصلت إلى نهر شطوبر ٣٦ سفينة أتت من غرب أوربا لاسيما من إقليم هولنده بقيادة الكابتن هنرى Henrique de Venuso، الذى كان قد حارب وشارك من قبل فى الحروب الصليبية فى بلاد الشام(٥٨) وقد أشار المؤرخ(٥٩) هرقلانو أنهم من الصليبين الذين فرقتهم العاصفة التى كانت فى (٢٩ مايو) لكن ذلك يستبعد لأنه الفترة من ٢٩ مايو حتى ١٠ سبتمبر فترة كبيرة تمنعنا من تصديق أن هذه السفن شاردة والأقرب إلى منطق الأحداث أن هذه السفن كانت غير المجموعة السابقة خاصة وأن مجموعات من السفن تخرج فى أوقات مختلفة للمشاركة فى

54- Duarte, op. cit ., p.121; Basto, Op. cit., p. 161; Cronica do Rie D.A. fonso II, p. 190 .

55- Brandao , Mon .. Lus .., p. 91 CF . also : Peres, Op. cit. T2, p. 187 , Herculano , Op. cit ., T2, p. 261 .

56- Cronicado Rei D. Afonso II, p. 190 ; CF . also : Herculano, op. cit T2, p. 261 , op. cit ., T2, p. 442 .

57- Basto, Op. cit ., p.162 .

58- Duarte, op. cit ., p. 121; Basto , op. cit ., p. 161; Brandao , Mon. Lus .. p. 91 .

الحروب الصليبية ويؤكد وجهة نظرنا أن إحدى المدونات أشارت إلى أن هذه السفن خرجت من المدينة المدعوة تاجيت Tageito(٦٠). وكانت هذه السفن هى مجموعة تتقاطر استجابة لدعوة البابوية للحملة الصليبية الخامسة واستجاب هؤلاء الصليبيون الجدد لدعوة البرتغاليين بالمساعدة فى الحملة على قصر أبى دانس خاصة- وكما أشرنا- أن جميعًا هذه الحملات كانت تمر على سواحل البرتغال وترسو فى موانيها للتزود بالماء والطعام وأنه منذ عهد ألفونسو هنركز تتم الاستعانة بهذه الحملات فى مشاريع البرتغاليين ضد المسلمين .

وفى الوقت نفسه أرسلت نجدة من البرتغاليين بأمر من الملك ألفونسو الثانى وكان تعدادها أكثر من خمسمائة فارس (٦١). وهم من جماعات رهبان فرسان الداوية والاسبتارية ومن خارج الأراضى البرتغالية- من مملكة ليون غالبًا- وقدر عددهم بثلاثمائة والباقون من فرسان البرتغاليين وكانت النجدة بقيادة زعيم من زعماء لداوية وهو بدرو البيتيز Pedro Al-vitiz(٦٢).

اختلفت المدونات البرتغالية فيمن بدأ الهجوم لكنها اتفقت على أن القتال بدأ يوم ١١ سبتمبر وبدأ أولا بالأسطول الإسلامى حيث توجهت السفن الصليبية وهاجمت السفن الإسلامية التى فرت عقب هزيمتها (٦٣)، ثم بدأ الجيش البرتغالى الصليبى فى مواجهة الجيش الإسلامى وأشارت إحدى المدونات البرتغالية إلى أن الصليبيين لم يألفوا ملابس المسلمين والموسيقى وهى الطبول التى يدقونها بصخب (٦٤). وهناك إشارة إلى أن البرتغاليين والصليبيين كانوا يتفوقون فى العدد على المسلمين(٦٥) لكن قراءة الأحداث تنفى ذلك إذ أن عدد جيش البرتغاليين والصليبيين كما أشير عشرين ألفًا أو أكثر قليلاً لكن حقيقة أن المدونات البرتغالية بالغت

59- Herculano , Op. cit ., T2 , p. 262 .

60- Chronica do Rei D. Afonso II, p. 190 .

61- Brandao, Mon.. Lus ., p . 91 .

62- Herculano , op.cit., T2 , p. 202; Peres, op. cit., T2, p. 188 .

63- Cronica do Rei D. Adonso II, pp. 190-191 .

64- Duarte, op. cit ., pp. 121-122 .

٦٥- عنان: عصر المرابطين والموحدين، ج٢، ص٣٣٩ .

فى أعداد المسلمين ما بين ١٥ ألف فارس و٤٠ إلى ٨٠ ألفًا من المشاة إلا أنه من المنطقى أن تكون أعداد المسلمين أكثر لأن هذه الجيش مكون من مختلف المدن والمناطق الإسلامية فى غرب الأندلس ومن الممكن أن تضم أعداد من أجزاء الأندلس لأنها تمت بأمر من الخليفة المستنصر لنجدة قصر أبى دانس وكان من المنطقى أن تكون أعداد الجيش كبيرة وتفوق فى كل الأحوال أعداد الجيش البرتغالى الصليبى فقد اتفقت جميع المصادر والمدونات البرتغالية جميعًا. على أن الجيش المسيحى قد أحس بالخطر لتفوق أعداد المسلمين.

بدأ هجوم المسلمين بقوة وكان الجيش البرتغالى الصليبى قد نظم صفوفه لكنهم شعروا بالخوف من شدة هجوم المسلمين ومن كثرة أعدادهم وهنا تصدى راعى الحملة أسقف لشبونة سويرو وبدأ يزكى حماسهم بخطبه ووعظه وانتهى اليوم الأول وكانت الغلبة فيه للمسلمين لكن انقلب الحال وطور المسيحيون هجومهم وقذفوا بأنفسهم فى قلب قوات المسلمين ونجحوا فى قلقلتهم وجعلهم يتقهقرون قليلاً عن ميدان المعركة ، وقد أشادت المدونات البرتغالية بالفرقة التى أتت لنجدة البرتغاليين والصليبيين وهم الفرسان الخمسمائة والذين كانوا فى مقدمة المهاجمين بقيادة بدرو البيتيز وأحاط الجيش المسيحى بالمسلمين من جميع الجهات [٦٦]. وكان اليوم الثالث للمعركة واستمر القتال وهنا خلطت المدونات البرتغالية الأحداث بالمعجزات والأساطير كعادتها فى الحروب إذ أشارت إلى أنهم قد رأوا الصليب لامعا فى السماء بشيرا بالنصر- استخدمت هذه الرواية دائما منذ عهد قسطنطين الكبير- وأنه إحدى الفرق من الفرسان الرائعين المرتدين البياض مثل الداوية قد شوهدت وهم يعتقدون أنهم الملائكة وكانوا سبب النصر على المسلمين [٦٧]. وقد سجلت الحادثة فى أشعار كانت لها دور كبير بمرور الزمن فى ترسيخ الأساطير والبطولات الخارقة للمسيحيين بالاضافة إلى إعطاء بطولات عجيبة تفوق قدرة البشر من خلال مدونه جودفرى قائد بلمالة [٦٨].

66-Duarte, Op. cit ., p. 122, Cronica de Rei D. Afonso II, pp. 191-191 ; Brandao , Mon .. Lus .., p. 91; CF . also : Herculano , Op. cit . T2, pp.263-265 .

67- Brandao , Mon .. Lus ., p. 92 ; CF . also : Peres, Op. cit ., p. 188; Herculano , op. cit., p. 264 .

- أشباخ : المرجع نفسه ، ص٢٠٥ .

68- Peres, op. cit., T2, p. 188 .

والجدير بالذكر أن الروايات الإسلامية صمتت عن أخبار هذه النكبة إلا ابن ابى زرع الذى أشار فى أخبار موجزة وخاصة عن أحداث المعركة ذاتها فلم يشر إلا إلى «فالمسلمون قد خامر قلوبهم الرعب وولوا الأدبار وأخذوا فى الفرار لما سبق لهم من الرعب فى هزيمة العقاب لأن العدو قد تكالب وقوى واستأنس فركبهم بالسيف وقتلوهم عن أخوهم»(٦٩).

وأشار الحميرى أيضًا بقوله .

«وبلغ الأمر الولاة الذين فى غرب الأندلس وإشبيلية وقرطبة وجيان فتجهزوا لدفاع العدو وجاء منهم جيش عظيم لكنهم تخاذلوا على عادتهم فكانت الهزيمة عليهم وولوا منهزمين ووقع القتل والأسر ولم يبرز للمسلمين من الروم إلا نحو سبعين فارسا»(٧٠).

وأشار ابن الأبار أيضًا إلى ذلك بقوله :

«ولم تطل ولايته ولا كادت تتبين كفايته ، حتى نازله الفرنج وتغلبوا عليه فى جمادى الأولى سنة أربع عشرة وستمائة ، بعد وقيعة هنالك فقد فيها الآف من المسلمين بتخاذل رؤسائهم يوم التقى الجمعان، وهى إحدى الكوائن المنذرة حينئذ بما آل إليه أمر الأندلس الآن وأسر عبدالله هذا ومن كان معه ثم تخلص من تلك الحال بحيلة توجهت له»(٧١).

ومما يثير التساؤل أن المؤرخ الثبت ابن عذارى لم يشر إلى تلك الحادثة على الرغم من أهميتها حتى اعتبرها ابن أبى زرع والحميرى وابن الآبار من النكبات الكبيرة التى تعرض لها المسلمون ويشير فى حوادث سنة ٦١٤-٦١٥هـ .

«فلم تحقق خبراً أذكره فى سنة أربع عشرة وخمسة عشرة»(٧٢).

ويتضح من تلك الروايات السابقة أن الغموض يشوبها ولم تشر إلى أية أحداث إلا بأن المسلمين فى الرواية الأولى قد خشوا من العدو عندما شاهدوه وولوا الأدبار خوفا مما حدث لهم من قبل فى موقعة العقاب وانتهز الجيش المسيحى هذا وتعقبهم بالقتل ورواية ابن الآبار فتلقى

٦٩- الروض القرطاس: ص٢٤٢-٢٤٣ .

٧٠- صفة جزيرة الأندلس، ص١٦٢ .

٧١- الحلة السيراء ، ج٢ ، ص٢٩٥ .

٧٢- ابن عذارى : البيان المغرب- فتح الموحدين، ص٢٦٦ .

اللوم وسبب الهزيمة على تخاذل رؤسائهم أما رواية الحميرى وتوضح الرأى نفسه لكنها تضيف «ولم يبرز للمسلمين من الروم إلا نحو سبعين فارسا » ويفهم من ذلك أن الذى واجه المسلمين كان سبعين فارسا من المسيحيين وهذا غير منطقى خاصة وأن الجيش يمثل كل بقاع غرب الأندلس وهو كثير العدد والعتاد حتى إن المدونات البرتغالية أشارت إلى أن المسيحيين هم الذين أحسوا بالخطر وسيطر عليهم الخوف وانتصر المسلمون فى بادئ الأمر ولكن انقلبت الحال عليهم فى اليوم التالى ، واستمرار المعركة ثلاثة أيام دليل على أن المسلمين قد قاوموا ولم يتخاذلوا ولكن الهزيمة كانت عليهم وأرى أنه من الممكن أن يكون المقصود أن هناك فرقة من المسيحين مكونة من سبعين فارسا أتت ببعض البطولات أو تتبعت بعض المسلمين المتفرقين أثناء هروبهم وأخذت فى قتلهم.

أما بالنسبة للهزيمة للمسلمين فلا جدال فى أن كل ما تمر به دولة الموحدين من انقسامات ومشكلات وضعف وهزائم كان ماثلاً أمام الجيش الإسلامى لاسيما موقعة العقاب وكانت الثقة لديه مفقودة فى قوته وفاعليتها ويبدو أن السبب الرئيسى فى ذلك هو أن الجيش مكون من عدة قواد ولم تكن القيادة موحدة ولم يكن هناك تنسيق فى القتال وهذا ما أدى إلى التخبط بعد تحقيق النصر في القتال وهذا ما أدى إلى التخبط بعد تحقيق النصر فى أول الأمر ويبدو أن هذا الأسلوب الساخر من ابن أبى زرع والحميرى صفة عامة لانهزام المسلمين وضياع أملاكهم فى الأندلس خاصة وأن هزيمة المسلمين على الرغم من أعدادهم الكبيرة وقتل أعداد كبيرة منهم دفعتهم إلى هذه السخرية.

أما بالنسبة للروايات البرتغالية فقد بالغت كثيراً فى أعداد القتلى المسلمين ففى رواية قتل اثنين من الولاة و ٣٠ ألف مسلم غير الأسرى [٧٣]. وفى رواية أخرى قتل الولاة الأربعة (أى حكام إشبيلية وبطليوس وجيان وقرطبة) مع ثلاثين ألفًا غير الأسرى [٧٤]، وأشار برنداو قدروا أن هناك بعض المؤرخين أشاروا عدد الموتى بستين ألفًا . إلا إن هرقلانو أشار إلى قتل والى قرطبة ووالى جيان وكان مجمل القتلى ما بين ١٤ إلى ١٥ ألف بالإضافة إلى عدد كبير من الأسرى [٧٥]. ويبدو أن الذى زاد من عدد القتلى أشارة إحدى الروايات إلى أنه أثناء

73- Cronica do Rei D. Adonso II, p. 193; Basto : op . cit ., p. 164 .

74- Duarte, Op. cit ., p. 122 .

75- Herculano , Op. cit., T2 , p. 267 .

الفرار بعد العزيمة وارتباك الجيش الإسلامى غرق كثير من المسلمين فى النهر عندما حاولوا عبوره [٧٦].

وبغض النظر عن مبالغات الروايات البرتغالية كانت هزيمة المسلمين كبيرة ومقتل بعض قواد (ولاة) الجيش دليل على شدة المعركة وكثرة القتلى والأسرى ولاجدال فى أن أعدادهم كانت كبيرة كما تتفق فى ذلك الروايات البرتغالية مع الروايات الإسلامية كما أشار ابن أبى زرع «وقتلوهم عن آخرهم» وإشارة ابن الآبار «فقد منهم آلاف من المسلمين» .

وهكذا لم تكن هذه المعركة نهاية المطاف لكنها جعلت المدافعين عن المدينة فى موقف سيئ وصعب للغاية خاصة وأن نجدة أخرى من السفن الإسلامية حوالى ٣٠ سفينة جاءت ودخلت إلى نهر شطوبر مما دفع أسطول الصليبيين إلى مهاجمة هذه السفن التى أسرعت بالهروب وإن كانت الروايات قد أشارت إلى أن الصليبيين قد دمروها [٧٧]. إلا إنه فى إحدى الروايات أيضاً دمر «الأسطول الإسلامى عن طريق إحدى العواصف»[٧٨] وأيا ما كان من هذه الروايات إلا أن فشل هذه الحملة أيضاً كان له تأثير سئ على المدافعين عن المدينة.

وعلى الرغم من هذه الهزيمة التى أثرت كثيراً على المدافعين عن المدينة والذين فقدوا الأمل فى النجدات إلا أنهم صمدوا للحصار وبدأت القوات المسيحية توجه هجماتها العنيفة ضد المدينة بقذفها بالحجارة وكان نتيجتها مزيد من الموتى والجرحى داخل المدينة[٧٩].

كرر الصليبيون والبرتغاليون محاولاتهم للوصول إلى أعلى أسوار المدينة فقاموا بصنع اثنين من السلالم الخشبية الطويلة للمرة الثانية لوضعها على أسوار فى أثناء قذف المدينة لكى يصدوا وينقلوا القتال من أسفل إلى الأسوار والأبراج لكن المسلمين نجحوا فى رميها بالنار التى أحرقتها [٨٠]، وأصبح المسلمون حريصين على عدم وصول القوات الصليبيين إلى الأسوار.

76- Peres, Op. cit. p. 189 .

77- Brandao , Mon .. Lus ., p. 93 ; CF . also : Herculano , op. cit ., p. 267 .

78- Peres, op. cit ., T2, pp. 188-189 .

79- Brandao , Mon ., Lus ., p. 93 .

80- Basto, op. cit ., T2 , pp. 164-165 .

بدأ شهر أكتوبر وبدأت بعض الأصوات تلح فى الإبحار إلى الشرق لكن الصليبيين لم يكونوا فى عجلة من أمرهم فلم ينسحبوا وإن كانت لديهم خشية من وصول قوى إسلامية جديدة(٨١).

عندما رأى المهاجمون أنهم قد فشلوا فى محاولاتهم جميعًا فى الوصول إلى الأسوار وخاصة محاولة الحفر تحت الأسوار لإحداث ثقب فى سور المدينة استجابوا لنصيحة أميرال الأسطول الصليبى بصنع برجين عاليين يماثلان فى ارتفاعهما أبراج المدينة وجهزوهما بحيث لاتؤثر فيهما النار وشحنوهما بالرماه بحيث تحميهم من القذائف من فوق الأسوار وزحفوا بالبرجين مع دفع المجانيق إلى جوار البرجين أثناء الزحف بحيث تقذف المدينة بعد اختيار أحسن موقع فى الأسوار يصلح لهذا الهجوم (٨٢).

ويبدو أنه توافق مع قذف المدينة وأسوار وأبراج القلعة بالمجانيق هطول الأمطار بشدة مما أثر على أبراج القلعة التى تأثرت أيضًا بالقذف ومن ثم سقط بعضها على المهاجمين (٨٣).

وهكذا أصبح الموقف صعبا للغاية بالنسبة للمسلمين فى داخل المدينة مما دفع أبا عبدالله الذى وجد أنه ليس له أي أمل فى النجدة ولا فى الاستمرار فى القتال والدفاع وأنه سوف يأسر هو وحامية القصر- إلى عرض الهدنة وانسحاب بالمسلمين مع أسرهم وأموالهم كلها، فرفضت القوات البرتغالية والصليبية ووافقوا فقط على أن يسمح للمسلمين بالخروج أحياء دون أن يحملوا شيئا معهم ففتحوا الأبواب وانطلقوا إلى حال سبيلهم وهكذا اتفقت الروايات البرتغالية جميعًا على أن المدينة سلمت وخرج رجالها سالمين وذلك فى يوم عيد القديس لوكا فى ١٨ أكتوبر سنة ١٢١٧ م (٨٤). لكن رواية أشباخ أن المدينة عوملت مدينة فتحت عنوة فقتل من أهلها كل من كان أهلا لحمل السلاح وأخذ باقى السكان أسرى (٨٥).

81- Peres, Op. cit ., T2, p. 189 .

Brandao , Mon .. Lus ., p. 93; Basto , Op. cit ., p. 165; CF . also Herculano , op. cit ., p. 269 , Huici, op. cit ., p. 443 .

82- Fortunato , Op. cit ., p. 197 .

83- Duarte , op. cit ., p. 122; Basto , op. cit ., p. 165 Cronica do Rei D.Afonso II . p. 193 ; Brandao , Mon .. Lus ., p. 93 ; CF . also : Herculano, op.cit , T2, p. 270 , Huici, Op. cit ., T2 p. 443 ; Perse op. cit ., p. 189 .

٨٤- أشباخ : المرجع نفسه والجزء ، ص٢٠٦ .

85- Peres, Op. cit ., T2, p. 189; Hiuic, op. cit ., T2, p. 443 .

والجدير بالذكر أن رواية أشباخ أقرب إلى منطق الأحداث حيث إن المسلمين قد عرضوا التسليم بعد تهدم الأبراج وبعض أسوار القلعة وأصبح دخولها محتما، أى أن المسلمين فى وضع لايسمح لهم بالمساومة خاصة وأن المسيحيين متعطشون للانتقام ويملؤهم الحقد والكره للمسلمين ويبدو أن الروايات البرتغالية أرادت التخفيف من بشاعة المذابح التى ارتكبها المسيحيون داخل المدينة ومما يدل على ذلك هذه الروايات نفسه التى أشارت إلى أن ألا عبدالله بن وزير سلم نفسه وتظاهر باعتناق المسيحية طلبا للسلامة ثم عندما حانت له الفرصة فر إلى الأرض الإسلامية ولجأ فيما بعد إلى إشبيلية (٨٦)، وقد أكد ابن الأبار الروايات البرتغالية فى هذا الشأن عندما قال «وأسر عبدالله هذا ومن كان معه ثم تخلص من تلك الحيل بحيلة توجهت له» وهى التظاهر باعتناق المسيحية كما وضحتها الروايات البرتغالية وكل هذا يوضح أن المدينة اقتحمت عنوة وقتل وأسر سكانها كما أكدت الروايات الإسلامية (٨٧)، ومما يدل أيضا على ذلك أنه بعد الاستيلاء على المدينة قتل المسيحيون كل المسلمين الموجودين فى القرى المجاورة لهذه المدينة(٨٨)، وكان تسليم المدينة فى ١٨ أكتوبر سنة ١٢١٧م (١٤ رجب ٦١٤هـ) بعد شهرين ونصف من بدء الحصار فى ٣ يونيو سنة ١٢١٧م، وقد قام الملك ألفونسو الثانى بتوزيع كثير من العطايا على جماعات رهبان فرسان الداوية والاسبتارية مكافأة لهم على دورهم الكبير فى الاستيلاء على المدينة (٨٩). ثم أمر الملك أيضا بتسليم المدينة إلى جماعة رهبان فرسان شانت ياقب للدفاع عنها واستغلال إمكاناتها لما أظهروه أثناء القتال من الشجاعة الفائقة وكان من مراكز هذه الجماعة فى قلعة بلمالة (٩٠).

وكان سقوط قصر أبى دانس هذه المرة نكبة أخرى تعرض لها المسلمين فى غرب الأندلس لما لها من أهمية كبرى سواء أكانت للمسلمين أم البرتغاليين، بالنسبة للمسلمين كانت من أهم

٨٦- عنان: المرجع نفسه ، ص٣٣٩-٣٤٠ .

٨٧- أشار ابن أبى زرع «وفى سنة خمس عشرة وستمائة دخل ألفونسو الثانى ملك البرتغال قصر أبى دانس بالسيف وقتل من به من المسلمين »، روض القرطاس ، ص٢٧٣ .

٨٨- Huici, Op. cit ., T2 , p. 443 .

89- Les Hospitalieres, p. 38 .

90- Peres, op. cit , p. 190 .

- أشباخ : المرجع نفسه والجزء ، ص٢٠٦ .

قواعد الغرب الأندلس وكان الصدام من أجلها عنيفا والحملات عليها متكررة والاستيلاءات عليها تمت من قبل منذ عهد الملك ألفونسو وهنريكز وكان سقوطها إيذانا بتوالى سقوط قواعد الغرب الأندلسى والموحدون مشغولون بمشكلاتهم فى المغرب والأندس. أما بالنسبة للبرتغاليين كانت المدينة حاجزاً أمام استمرارهم فى التقدم جنوبا بالإضافة إلى أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية فإن أهميتها تماثل أهمية شنترين بمنطقة التاجة حيث يمكن منها الإشراف والدفاع عن أراضى الإلنتخو كما أنها خطوة مهمة وكبرى فى توسع مملكة البرتغال وفى حركة الاسترداد بها .

وفى بدايات شهر نوفمبر سنة ١٢١٧م عاد الأسطول الصليبى حيئذ وأساقفة لشبونة ويابرة ومقدم الداوية وزعيم الاسبتارية وقائد حامية بلمالة كتبوا إلى البابا هونوريوس الثالث رسالة يصفون فيها نصرهم الكبير ويطلبون منه السماح بالأذن للصليبيين بالبقاء لمدة عام فى شبه الجزيرة الأيبيرية لكى يساهموا مع البرتغاليين فى القتال ضد المسلمين وطردهم من هذه الأراضى[٩١]، وكتبوا أيضا للغرض نفسه لكونت هولنده حيث إن جانبًا كبيراً من الأسطول تابع لهولنده [٩٢]. وكانت رغبة الصليبيين أيضا فى البقاء لبعض الوقت بالبرتغال لمواصلة الفتوحات وحصد المكاسب [٩٣]، لكن البابا رفض وأرسل خطابا مؤرخا ٢٦ يناير سنة ١٢١٨م من أجل أن يتوجه الصليبيون على الفور إلى الأراضى المقدسة للاشتراك فى الحملة الصليبية الخامسة على مصر [٩٤].

والجدير بالذكر أن عهد هذا الملك لم يشهد أية غزوات على أراضى المسلمين ملموسة على الرغم من الإشارة التى أشار إليها رودريك الطليطلى أنه أثناء حكمه استولى على مدينة القصر وقلاع أخرى [٩٥]. لكنه لم يوضح ما القلاع الأخرى وذلك جعل بعض المؤرخين يحاولون

91- Peres , Op. cit ., p. 189 .

92- Herculuno , op. cit ., p. 270 .

93- Huici , op. cit., T2, p. 444 , Marques , O, Historin de Partugsl , Lis Bao , 1976 , p. 107 .

94- Les Hospitaliers, op. cit ., p. 38 .

- عنان : المرجع نفسه والجزء ، ص٢٤٠ .

95- Rodrigo , Op. cit ., p 271 , Primera cronica , pp. 652-653 .

نسبة بعض الفتوحات لقلاع إسلامية إليه منها على سبيل المثال قلعة شربة Sepra ومـــورا Moura [٩٦]. وهذه قلاع تم الاستيلاء عليها فيما بعد عهد ابنه سانشو الثانى ولم نعثر فى المصادر على أية غزوات واستيلاءات على المدن إلا إذا اعتبرنا أن بعض القرى المحيطة بقصر أبى دانس هى المقصودة بهذه القلاع .

وبهذا لم تكتمل مشاريع مملكة البرتغال فى عهد الملك ألفونسو الثانى والجدير بالذكر أن هذا العمل (الاستيلاء على قصر أبى دانس) جعل المؤرخين ينقسمون ما بين مدح هذا الملك نتيجة لهذا النصر الكبير وذمه مثل المؤرخ رودريك الطليطلى الذى يقول إن الملك كان « فى بداياته أكثر مسيحية وفى النهاية أطلق العنان لغرائزه »[٩٧] لكن لايغيب عن أذهاننا أن هذا رأى رودريك وهو رجل الدين ورئيس أساقفة طليطلة فى مملكة قشتالة خاصة وأن ألفونسو الثانى كانت له مشكلات كثيرة طوال حكمه مع البابوية حتى إنه صدر ضده قرار الحرمان الكنسى أكثر من مرة ، وإن كان هناك أيضا بعض المؤرخين المحدثين مثل فورتانتو Fortunato الذى قال «أن ألفونسو الثانى لايقل شجاعة عن أبيه وجده» [٩٨]. ورأى ستيفن «وكان حكم ألفونسو الثانى قد ترك علامات بارزة فى تاريخ البرتغال وقد أعاد الاستيلاء على قصر أبى دانس وهنا أثبت هذا الملك أنه محارب قدير مثل أبيه لكنه كان أكثر تماسكا فى الثراء والقوة للتـــاج»[٩٩] ويغلب عليه الدهاء وقوة الهمة وتغلب عليه الشجاعة وصفات الفروسية كرأى أشباخ [١٠٠].

ومن الجدير بالذكر أن التشدق بكونه محاربًا قديراً لم تثبت صحته فهو لم يشترك فى هذه المعركة سواء أكان ذلك بسبب مشكلاته أم بسبب بدانته حتى أطلقت عليه المصادر لقب البادن، لقد قدم التسهيلات والاستعدادات والإشراف العام لكنه لم يقُد المعركة بنفسه وإنما الفضل للمشاركين فى الحملة.

96- Peres, Op. cit ., p. 190 .

97- Rodrigo , Op. cit ., p. 272 , Primere Cronice , p. 652-653 .

98- Fortunato , op. cit., p. 198 .

99- Stephens, op. cit ., pp. 70-71 ..

١٠٠- أشباخ: المرجع نفسه، والجزء ، ص١٥١ .

وتبقى نكبة الاستيلاء على قصر أبى دانس من أكبر نكبات المسلمين بعد موقعة العقاب وكانت البداية لتكالب البرتغال والممالك المسيحية الإسبانية على المدن والقلاع الإسلامية فى حين كان الموحدون مشغولين بمشكلات الوراثة والعرش وظهور بنى مرين وانقسام المسلمين فى الأندلس وبذور الثورة ضد الموحدين كانت هى معول الهدم فى الوجود الإسلامى فى شبه الجزيرة الأيبيرية.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادرة البرتغالية والاسبانية:

- Basto: A. M.:

ACronico de Cino Reis de Portugal: vol 1, Parto (N.D.)

- Brandao: A:

AMonarquia Lusitana " Parte 3, Lisboa 1973 .

- " Chronicon conimbricense"

España Sagruda, T23 , Preperor por Henrique Florez , Madrid 1850 .

- "Chronicon Lusitano"

Espana Sagruda, T14, Preperor por Henrique Florez, Madrid 1905 .

Cronicas Latina de los Reyes de Catilla Traduccion luis Charlo Brea, Un , de Cadiz 1984 .

- " Cronica de Rei D. Afonso II, Croncas dos Sete Primeiros Silva Tarouca, Lisboa 1952 .

- "Cronica dos Goodos"

Apendice Brandao , Cronica de conde D. Henrique , D . teresa Einfante D. Afonso Parto 1994 .

- Duarte Nunes de Leao :

Cronica del Rei D. Afonso 11, Cronicas dos Reis de Portugal, Porto 1975 .

- Luces de Tuy :

"Cronica de Espana"

Madrid 1926 .

- Primera

Cronica General de Espana Publicada por Ramon Menendez Pidal, T2, Madrid 1955 .

- Rodrigo Jimenes de Rada:

:Historia de los Hechos de Espana" Madrid 1982 .

ثانيا: المصادر العربية:

- ابن الأبار : (ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م) أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبى بكر القضائى: «الحلة السيراء» ، جزاءات تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة سنة ١٩٨٥ .
- ابن أبى زرع : (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) أبو الحسن على بن عبد الله . «الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس» مع الرباط سنة ١٩٧٢م.
- ابن عذارى : (ت ٧١٢هـ / ١٣١٢م) زبو عبدالله محمد المراكشى. «البيان المغرب فى أخبار الأنلس والمغرب». القسم الثالث (تاريخ الموحدين) نشرويتى ميراندة تطوان ١٩٦٠م.
- الإدريسى : (ت ٦٥هـ / ١٢٥٢م الشريف محمد بن عبد العزيز) «صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ووصف أفريقيا وأسبانيا» تحقيق دوزى، أمستردام سنة ١٩٦٩م
- الحميرى : (عاش فى القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى) أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم . «صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الزقطار» تحقيق ليفى بروفنسال، القاهرة ١٩٣٧م.
- مؤرخ مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية تحقيق الدكتور سهيل ذكار، الدار البيضاء ١٩٧٩ .

ثالثا : المراجع الأوربية :

- Denis : F :

Historia de Portugal; Barcelona 1845 .

- Fortunato de Almeida:

Historia de Portugal, T1 , Coimbra 1922 .

- Herculano, A:

Historia de Portugal, T3 , T4 , 1982 .

Huici : M:

1- Historia Politica del Imperio Almohade , T2 , Tetuan 1957 .

2- Las grandes Batallas de la Reconquisto , Madrid 1956 .

- Gonzalez J. El Reino de Castilla en la epoca de Alfonso VIII , Madrid 1960 .

- Les Hospitaliera de la morte de D. Afonso Heriquez a la Suppression des Templicrs Paris 1977 .

- Lomax : D.W.: La Reconquista Barcelona 1984 .

- Marques :O: Historia de Portugal. Lisboa 1976 .

- Mattoso : A.G.:

Historia de Portugal . vol 1, Lisbau 1939 .

- Pavon, P: Ciudades Y Fortezas Lusomusulmanas , Madrid 1993 .

- Peres: D: Historia de Portugal vol2, Barcelos 1929 .

- Serrao , J.V.: Historia de Portugal vol1, Lisbboa 1979 .

- Shantal : S: Historia de Portugal Burcelona 1960 .

- Stephens : H.M.: Portugal London 1891 .

رابعا : المراجع العربية والمترجمة:

- محمد عبدالله عنان: عصر المرابطين والموحدين، ج٢،، القاهرة ١٩٦٤ .

- أشباخ: تاريخ الأندلس فى عصر المرابطين والموحدين، ج٢، القاهرة سنة ١٩٩٦ .

- محمد محمود النشار: تأسيس مملكة البرتغال مؤسسة عين ، القاهرة ١٩٩٥ .



(٤)

استيلاء البرتغاليين على المدن والقلاع الإسلامية فى غرب الأندلس

(١٢٢٦- ١٢٥٠م / ٦٢٣-٦٤٨هـ)

(إنهاء الوجود الإسلامى فى غرب الأندلس)

مقدمة :

دفعنى إلى الكتابة فى هذا الموضوع عدم وجود أخبار عن سقوط مدن وقواعد الغرب الأندلسى على أيدى البرتغاليين (فيما أعلم) فى أى مصدر عربى بالإضافة إلى تجاهل الكتابات العربية الحديثة لهذا الموضوع إلا من إشارات عبدالله عنان وهى لاتتعدى بضعة أسطر حتى المدونات الأسبانية والمؤلفات الحديثة لم تهتم بذكر هذه الأخبار إلا ما تعرض منها للبرتغال فى معلومات ضئيلة ، حتى المستشرق الألمانى يوسف أشباخ فمعلوماته مقتضبه وبها الكثير من الأخطاء لقدم مؤلفه الذى وضع فى القرن التاسع عشر .

وجدير بالذكر أن المدونات البرتغالية أفاضت فى ذكر هذه الغزوات وأحداث الاستيلاء على القواعد والمدن الأندلسية فى غرب الأندلس لما لها من أهمية فى تاريخ مملكة البرتغال ومعظم هذه المدونات وضعت بأيدى رهبان ورجال دين تحت رعاية ملوك البرتغال، فكانت هذه الغزوات والاستيلاءات من وجهة نظرهم هى تسجيل بطولات لهؤلاء الملوك وأعمالهم ولذلك أصبحت تهتم بذكر الكثير من التفاصيل فكان علينا مقارنة الروايات ومحاولة تفنيدها وتنقيتها وعرضها عرضا تاريخيا يتوافق مع الأوضاع السائدة آنذاك سواء أكانت فى مملكة البرتغال أو الممالك المسيحية الأخرى (أراجون وقشتالة) والمسلمين فى شبه الجزيرة وخاصة فى غرب الأندلس.

وجدير بالذكر أن أهم هذه المدونات البرتغالية وأكثرها دقة على الاطلاق هو ملكية لوزيتانيا Monarquia Lusitana للراهب انطونيو براندو Antonio Brandao[1] ، وهو

١- ولد أنطونيو براندو فى الكوباز ٢٥ أبريل ١٥٨٤ ونشأ على التربية الدينية وأصبح راهبا فى دير الكوبازه وقد وضع مؤلفه تحت رعاية فيليب الثالث ملك البرتغال وقد توفى ١٦٣٧ م وكان لديه من العمر ٣٥ عاما عندما بدأ يتلقى العلوم الدينية ثم العلوم الدنيوية مثل الآداب والفلسفة وقد سافر فى رحلات عديدة لتلقى المعارف ثم تلقى الدراسات اللاهوتية فى الأديرة المختلفة.

يعد أهم وأشمل المصادر التاريخية الخاصة بمملكة البرتغال وينقسم إلى عدة مدونات للملوك البرتغال ويتحدث عن تاريخ منطقة لوزيتانيا (غرب شبه الجزيرة الإيبيرية) منذ دخول القبائل الجرمانية بداية من الاحتلال الرومانى ثم يتتبع ملوك البرتغال منذ عهد هنرى البورجونى وحتى بداية القرن السابع عشر وهو مقسم إلى سبعة أجزاء فى كل جزء به عدد من المدونات .

ويرجع أهمية هذا المؤلف أن صاحبه قد فتحت له أرشيفات المملكة واطلع على المدونات القديمة ويتضح ذلك من سرده للأحداث خلال عرضه للآراء المختلفة مع تدعيمها باقتباس كامل من المدونات القديمة والوثائق إلى أوردها كاملة بلغاتها الأصلية ثم يقوم بترجمتها وبعدئذ يبدأ فى تأييد أحد هذه الآراء مستندا على دراسته ومقارنة الروايات وقد أفاض فى سرد الأحداث التاريخية ولكنه وضع مؤلفه تحت رعاية الملكية البرتغالية فظهر التحيز فى كتاباته لتاريخ ملوكها وإفاضته فى سرد أخبارهم وأعمالهم وأيضا بحكم نشأته كراهب نجده يميل إلى ذكر المعجزات والأعمال الخارقة وأطفاء نوع من القداسة على الملوك وتظهر كثيرا نزعته وعاطفته الدينية ولكن ذلك لايقلل من عمق تحليلاته وآرائه فهو أقرب إلى المؤلفات الحديثة مع ما أخذه عليه من حادثة أو غزوة لكل من سانشو الثانى والفونسو الثالث إلا وأدلى بدلوه وذكر جميع ما يرتبط بكل غزوة وفتوحات فى أراضى المسلمين وسيتضح ذلك من خلال استعراض البحث. وقد اعتمدنا عليه فى تحقيق كثير من الروايات وخاصة وضع الغزوات فى تواريخها ومكانها الصحيح حيث اختلفت باقى المدونات الأخرى فى تواريخ الفتوحات وسقوط قواعد غرب الأندلس وإن كانوا قد اتفقوا فى كثير من أحداثها خاصة وأن كثيرا من الاستيلاءات التى تمت فى عهد الملك سانشو الثانى وضعت فى المدونات الخاصة بالملك الفونسو الثالث فأخذنا فى تحقيق الكثير من هذه التداخلات وضع كل غزوة أو استيلاء فى زمانها ومكانها الصحيح .

أما المصدر الثانى فهو مدونة ملوك البرتغال Cronicas dos Reis de Portugal للمؤرخ دوارتى نونيز Duarte Nunes de Leao وهو عبارة عن مجموعة من المدونات الخاصة بملوك البرتغال والتى تبدأ بهنرى البورجونى وتنتهى بمدونة الملك فرديناند وينطبق عليها ما ينطبق على المدونات البرتغالية الأخرى من حيث أنها وضعت تحت عناية ورعاية الملوك البرتغاليين من حيث اهتمامها بتمجيد ملوك البرتغال واسباغ كل ما هو حسن عليهم وتجنب الحديث عن كل ما يسئ إليهم والاعتماد على الأساطير والمعجزات والمبالغات وذلك سمة عامة لكل المصادر البرتغالية هذا بالإضافة إلى أن مؤرخى هذا العصر معظمهم من الرهبان ورجال الدين (كما ذكرنا) وكان هذا المؤرخ معاصر للمؤرخ براندو وإن كان قد وضع مؤلفه قبل مؤلفة إذ أن

دوراتى ولد فى يابرة ١٥٣٠م وتوفى ١٦٠٨م وأهم مـا تلاحظه عليـه أنه وضع كـثـيـرا من الغزوات والاستيلاءات التى تمت فى عهد سانشو الثانى فى عهد الملك الفونسو الثالث وقد أفادنا فى كل جزئيات البحث، وقد اعتمد عليه المؤرخ براندو المعاصر له .

أما المصدر الثالث فهو مدونة الملوك السبعة الأوائل للبرتغال Cronicas dos sete Pri- meiros de Portugal هذه المدونات جمع المؤرخ كارلوس دى سيلفا Carlos da Silva وهى تضمن مدونات لأول سبع ملوك ويتضمن الجزء الأول بداية من الفونسو هريكز حتى الفونسو الثالث خامس ملوك البرتغال والجزء الثانى يتضمن الملك السادس دنيس والملك السابع الفونسو الرابع وقد اعتمدنا على مدونتى سانشو الثانى والفونسو الثالث وقد تعرض أيضا لكل أحداث الغزوات والاستيلاءات لكلا الملكين وتعرض بالتفصيل للحرب بين الإخوين وقد أشار إلى أحداث كثيرة تخص أواخر عهد الملك سانشو الثانى فى مدونة الملك ألفونسو الثالث وليس مدونة سانشو الثانى ونسب هذه الغزوات أنها تمت فى عهد الفونسو الثالث واستعنا به فى مقارنة الروايات مع المصادر الأخرى وقد تعرضنا لتحليل معلوماته وسيتضح ذلك من عرض البحث .

والمصدر الرابع هو مدونة خمسة ملوك برتغاليين Cronico de Cinco Reis de Portugal وهى جمع وتحقيق المؤرخ باستو Basto والذى سيتعرض لتاريخ الخمس ملوك الأوائل للبرتغال بداية من الفونسو هزيكز حتى الملك ألفونسو الثالث ويشترك مع المدونات السابقة فى كثير من الملاحظات ويتعرض بالتفصيل لكل أحداث الملكين سانشو الثانى والفونسو الثالث ويستعرض بالتركيز أعمال بايو بيريز زعيم جماعة شانت ياقب فى البرتغال، والذى قام بدوركبير فى الاستيلاء على القواعد والمدن الأندلسية فى غرب الأندلس واستفدنا منه أيضا فى مقارنة الروايات وقد أشار أيضا إلى كل استيلاءات بايو أنها تمت فى عهد الملك الفونسو الثالث وقد تعرضنا لتحليل بعض رواياته فى المقارنات فى أثناء البحث .

اعتلى الملك سانشو الثانى Sancho II المدعـو Capello [1] عرش مملكة البرتغال

١- Capello ذو الثوب الكهنوتى اشتهر بهذا الاسم وأطلقت عليه جميع المدونات هذا الاسم وقد أشار المدونات البرتغالية وأشباخ أنه اشتق من الحياة التى عاشها فى أعوامه الأخيرة بالإضافة إلى أن والدته كانت قد ألبسته وهو طفل على أثر مرض ألم به - ثوب راهب تبركا بالقديس أوغسطين ووفاء لنذر نذرته متى شفى. أشباخ: تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ج٢، القاهرة ١٩٩٦ ، ص٢١٤ .

(١٢٢٣) [٢]، بعد وفاة أبيه ألفونسو الثانى (١٢١١-١٢٢٣م) ، ليواجه تركة مثقلة بالمشاكل. وخاصة مع رجال الدين ومع عماته . وكان أن بدأ الإصلاح بينه وبين رجال الدين فوقع اتفاقًا فى قلمريه ١٢٢٣م ينص على أن يحتفظ رجال الدين بجميع الحقوق التى حصلوا عليها من قبل ، وأن تلغى جميع الاجراءات التى شكت منها الكنيسة ، مع منحهم بعض الامتيازات الجديدة[٣]. ثم عقد الصلح مع عماته وسلم لهن أراضيهن مع رواتب سنوية . وفى المقابل اعترفن بسلطة الملك على أراضيهن أى الاعتراف بالتبعية الإقطاعية وما تتطلبه من شروط وواجبات [٤].

أما بالنسبة لحكة الاسترداد البرتغالية فإنها توقفت بعد الاستيلاء على قصر أبى دانس Alcacer de Sol فى ١٢١٧ م نتيجة لمشاكل ألفونسو الثانى مع رجال الدين ومع إخوته. وعندما نجح ابنه وخليفته سانشو الثانى فى معالجة مختلف الشئون والمشاكل التى ورثها مع الحكم عن أبيه قرر أن يمارس حركة الاسترداد ومشاريع غزو أراضى المسلمين للاستيلاء على قلاعهم ومدنهم. وكان ذلك فى عام ١٢٢٦م عندما قام بحملته على الباس Elvas.

ومن الواضح أن النهوض بهذه المشاريع (للغزو) تتطلب توافر دعامتين : الأولى أن تكون الأحوال مستقرة فى البرتغال وهذا ما تحقق على يديه منذ بداية توليته العرش ، الدعامة الثانية هى أوضاع المسلمين فى الأندلس والمغرب آنذاك. ومن زاوية الوضع الإسلامى فإن الخليفة المستنصر بالله الموحدى الذى استغرق فى اللهو والحياة العابثة توفى عندما ضربته

٢- أشار دنيس ولد سانشو الثانى فى ٨ سبتمبر ١٢٠٢ -Denis , F. Historia de Portugal . Bar clone 1845, p. 18. ويتفق معه أشباخ أنه كان لديه العشرين من عمره حينما خلف أباه نفس المرجع ، ص٢٠٧ ، وإن كان المؤرخ دوراتى يشير إلى أنه كان لديه من العمر عند وفاة أبيه ٢٦ عاما .

Daurte Nunes de Leano . Chronica del Rei Sancho II ,. Cronicas reis de Portugal, Porto 1975 , p. 125 .

٣- لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر:

Cronica do Rei D. Sancho II . Cronicas dos sete primeiros Reis de Portugal, Lisboa 1952 , pp. 211-217 . Duarte, Op.cit , p. 127 .

أشباخ : نفس المرجع ، ج٢ ، ص٢٠٧ .

٤- Herculas , A . Historia de Portugal, T2 , Lisboe 1982 , pp. 349-350 .

وكانت أمه هى دونيا أوراكا ابنة الفونسو الثامن ملك قشتالة .. Duarte. op. cit , p. 123

إحدى الأبقار وذلك فى ١٣ من ذى الحجة سنة ٦٢٠هـ الموافق ٦ يناير ١٢٢٤ [٥]. وأمـــا بالنسبة لوضع الخلافة فقد اضطربت الأحوال فى الأندلس وخاصة بعد أن دعا بالخلافة لنفسه أبا محمد بن عبدالله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب جيان وتلقب بالظافر ، والذى اشتهر بالبياسى نسبة إلى مدينة بياسة التى اعتصم بها ، وانضم إليه البعض واشتعلت الحروب الأهلية بين المسلمين فى الأندلس الذين انقسموا إلى أقسام اشتد العداء بينها [٦]، حتى أن بعضهم تحالف مع القوى المسيحية ضد إخوانه من المسلمين [٧]. ومن الطبيعى أن يؤدى ذلك إلى تكالب الممالك المسيحية الأسبانية فى هجماتها على الأراضى الأندلسية.

ومن الإشارات الجديرة بالاهتمام للحميرى والذى أشار أثناء ما كان العادل فى أشد صراعه مع البياسى إلى غزوة على أراضى إشبيلية وخاصته بفحص طلياطة Tejado [٨]، ويشير إلى أنه فى جمادى الأول ٦٢٢هـ، ١٢٢٥م، قام الروم الغربيون (ويقصد الليونيون) بقيادة مارتين سانشيز Martin Sanchez وهو ابن غير شرعى لسانشو الأول[٩]. ملك البرتغال وعم الملك الحالى سانشو الثانى والذى كان فى خدمة مملكة ليون آنذاك وحينئذ أشار الحميرى أيضا إلى حال الأندلس آنذاك بقوله :

٥- ابن عذارى : البيان المغرب، القسم الثالث (الموحدين) انطوان ١٩٦٠، ص٢٤٧ ، ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس ، الرباط ١٩٧٢م، ص٢٤٧ .

Huice : A.M. Historia Politica del Imperio Almohade T2, tetuan, 1956, p. 450 .

٦- ابن عذارى : البيان المغرب، ص٢٤٧ ، ٢٤٨ ؛ ابن أبى زرع : روض القرطاس ، ص٢٤٤-٢٤٦؛ عنان: عصر المرابطين والموحدين، ج٢ ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص٣٥٤-٣٥٩ ؛ أشباخ : تاريخ الأندلس ، ج٢ ، ص١٥٦ وانظر تفاصيل أوضاع الموحدين أيضًا فى:

Herculano, op. cit . T2 , pp. 365-366 , Pers, D. Historia de Portugal, vol 2, Barcelos 1929, p.214 .

٧- ابن عذارى : البيان المغرب ، ص٢٤٩-٢٥٠ ؛ الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس القاهرة ١٩٣٧، ص٦٠-٦١ .

Cronica Latina de los Reyes de Castilla, Universidad de Cadiz 1984 , pp. 65-66 .

٨- مدينة طلياطة «بالأندلس بينهما وبين أشبيلية محلة من عشرين ميلا ومن طلياطة إلى ليلة محله مثلها ، الحميرى: نفس المصدر، ص١٢٨ .

٩- أشار عنان إلى أن مارتين سانشيز هو ابن لسانشو الثانى. =

عنان: نفس المرجع ، ص٣٥٤ ، وأشار أيضًا ويثى ميرانهد Huici فى ص٤٤ أنه ابن سانشو الأول وفى صفحة أخرى وهى ٤٥٤ أشار أنه ابن سانشو الثانى وقد أشار إليه هرقلانو أنه ابن سانشو الأول. =

«فأغار الروم الغربيون على تلك الجهة وغنموا ما وجدوا وساقوا ما أصابوا والعادل صاحب المغرب يومئذ باشبيلية ووزيره أبوزيد بن وجان ومعهما أهل الدولة وأشياخ الأمر ولاغناء لديهم ولامدفع عندهم إذا كان الأمر قد أدبر ورونق الدولة قد تغير ومن نزلت به من الناس مصيبة سرح له يرجع مغيثا ولايجد نصيرا»[١٠].

ويتضح من إشارة الحميرى مدى ما وصلت إليه حال الأندلس من ضعف وانهيار وما تلا من غزوات فى شرق الأندلس وغزوات فرديناند الثالث ملك قشتالة آنذاك بمعاونة البياسى فى معظمها حتى ١٢٢٦م. والأراضى الإسلامية تتلقى الضربات من شتى الممالك الأسبانية.

هكذا كانت الأندلس مسرحا للفتن والصراعات وكان الملك سانشو الثانى قد وطد حكمه وبدأت خططه فى غزو أراضى الأندلس تضامنا مع باقى غزوات الممالك المسيحية الأخرى وتحقيقا لأحلام ومشاريع مملكة البرتغال، خاصة وأن مملكة قشتالة قد تقدمت تقدما كبيرا ناحية الجنوب واستطاع القشتاليون بمحالفة البياسى أن يستولوا على العديد من المدن والقلاع الأندلسية فى منطقة جيان وقرطبه وأصبحوا يتحركون كما يشاءون فى أراضى الأندلس الوسطى حتى اقتربوا من قرطبه[١١].

وكان التنسيق بين المماليك المسيحية الثلاث (قشتالة - ليون - البرتغال) لحملاتهم جنوب التاجه يتم برعاية البابوية، إذ أن البابا وهو نوريوس الثالث (١٢١٦-١٢٢٧م) أرسل مبعوثا إلى مدينة شانت ياقب دى كومبلاستلا Santiago de Compostela ثم توجه إلى براغا حيث تقابل مع فريناند الثالث ملك قشتالة فى ربيع ١٢٢٦م ثم قام بزيارة ألفونسو التاسع ملك

=Herculan, op. cit , pp. 298-299 .

وجدير بالذكر بحثنا من خلال المدونات لم نجد من أبناء سانشو الثانى ما يدعى مارتين، وهو فى الواقع ابنا لسانشو الأول، وقد أشار بيريز أنه عم سانشو الثانى Peres , op. cit , p. 214 وهو أيد ذلك لأنه دوراتى وأشار أن سانشو الثانى عندما تولى كان لديه من العمر ٢٦ عاما وهذا ما ينفى أن يكون مارتن ابنا له ولمزيد من التفاصيل عن هذه الغزوة انظر : Duart op. cit , p. 129 .

١٠- الحميرى: نفس المصدر، ص١٢٨-١٢٩ ؛ عنان : نفس المرجع، ج٢ ، ص٣٥٤ .

١١- بالإضافة إلى روايات ابن عذارى وابن أبى زرع عن هذه الغزوات انظر:

Ganzalez ., J : Las Conquistas de Fernando III en Andalucia , Madrid 1946 , p. 28-37 , Huici , op. cit., T2 , pp. 454-456 , Fortunato , Historia de Portugal. TI, conimbra 1922 . pp.204205 .

ولمزيد من التفاصيل انظر عنان : نفس المرجع والجزء ، ص٣٥٧-٣٦٣ .

ليون، وذلك للتنسيق مع سانشو الثانى ملك البرتغال[١٢] لأجل توحيد هجماتهم وتعاونهم ضد الأراضى الإسلامية، وكانت الخطة أنه فى نفس توقيت مهاجمة ألفونسو التاسع لبطليوس يقوم سانشو الثانى بالهجوم على مدينة الباس Elvas[١٣] وقد أشار أحد المؤرخين إلى أن الهدف من توجه سانشو الثانى إلى هذه المدينة هو منع مساعدة القلاع الإسلامية الواقعة على ضفاف وادى يانة لمساعدة إخوانهم فى الإكستر مادورا الأسبانية[١٤].

وجدير بالذكر أن هذه المدينة ذات الموقع الاستراتيجى الهام تقع على منطقة الحدود ما بين البرتغال وليون . ويفسر ذلك الموقع الخطة الموضوعة المشار إليها سابقا- وتعتبر هذه المدينة قلعة حصينة جدا ومحاطة بجبل وأرضها غنية، وكانت مشهور بأسوارها الحصينة القوية [١٥].

وعندما جهز الملك سانشو الثانى جيشه كان معه مارتين انيز Martin Anes رئيس أساقفة براغا ومعه دون أبريل بيريز Abril Peres والعديد من النبلاء والفرسان، وتوجهوا إلى قلعة إلباس ، وذلك فى شهر يوليو ١٢٢٦م / ٦٢٣هـ . وقد طوق المدينة وحاصرها حصاراً تامًا فى حين تحصن المسلمون فى داخل المدينة ودافعوا عنها باستماتة [١٦]. وأشارت الروايات التاريخية إلى ظهور الملك سانشو الثانى (فى أول اختبار له) كفارس وأنه أثبت جدارته كمحارب مثل جده ألفونسو هريكز ذلك أنه كان فى طليعة المهاجمين لأسوار المدينة، وعرض نفسه للخطر لقربه من الأسوار حتى أصبح فى مرمى قذائف المسلمين ، فأسرع أحد الفرسان ويدعى الفونسو منديز Alfonso Mendes إلى إنقاذ الملك وكان بدوره قد عرض نفسه لخطر كبير لانقاذه [١٧]. وقد شدد الملك الحصار على المدينة ودافع المسلمون ببسالة ، ولكن

١٢- كان سانشو قد تلقى مساعدات من البابا هونوريوس فى ١٢٢٥م لأجل أن يتجهز لقتال المسلمين.
Peres, Op. cit, T2, pp. 214-215 .

١٣- Herculano, op. cit, T2. pp. 371-372 , martinz , M.R: Historia del Reino de Bas-ojoz., 190 , p. 248 .

١٤- Serrao , J.V : Historia se Portugal , vol I, Lisboa 1979 , p. 127 .

١٥- Heruculano , Op. cit, T2, p. 273 .

١٦- Brandao , A , Monarquia Lusitana , Parte 4 , Lisboa 1974 , p. 15 CF . also : for tu-nato , Op. cit , p. 5 ; Serrao op. cit, p. 7 ; Atephens , H.M., Porugal . London 89, p. 75 .

١٧- Brandao , A, Cronicas de D. sancho II ED . alfonso III, porto 1946 , p. 26 ; CF . also ; Peres ,.op. cit., p. 279-280 .

١٨- Herculano , Op. cit . T2, pp. 374-375 ; Fortunato op. cit., p.5 .

تحصينات إلباس كانت قد دمرت نتيجة للهجمات العنيفة للبرتغاليين، حتى أصبح الدفاع عنها صعبًا للغاية. ومع ذلك منذ استمات سكانها فى الدفاع عنها رغم تدمير معظم منازلها من شدة القذف[١٨].

وتوجد ثلاث روايات حول سقوط المدينة:

الأولى أن سانشو ملك البرتغال اقتحم المدينة واستولى عليها وأجبر سكانها المسلمين على الخروج منها ، ووضع فيها إحدى الحاميات ، وأصدر مرسوما نصه :

« أنا سانشو الثانى ملك البرتغال ابن الملك المشهور ألفونسو مع زوجتى الملكة أوراكا ورغبة فى تعمير مدينة الباس التى استوليت عليها من المسلمين قد منحتها إلى الأشخاص التالين لتعميرها ».

والمرسوم الصادر فى عام ١٢٢٦م ويفهم منه أن المدينة تم الاستيلاء عليها فى هذا العام[١٩].

وفى الرواية الثانية أنه استولى عليها ثم تركها وانسحب منها واستردها المسلمون مرة أخرى[٢٠]، ولم توضح الرواية لماذا انسحب منها وتركها .

وأما الرواية الأخيرة فهى أنه لم يستول عليها بل تركها لسبب غير معروف ثم بعد ثلاث سنوات قام بإرسال جيش مرة أخرى بقيادة مارتين انيز Martin Anes الذى نجح فى حصارها والاستيلاء عليها فى سنة ١٢٢٩م[٢١].

ويبدو أن الرواية الأولى هى الأقرب إلى الواقع لأن براندو Brando وهو مؤرخ ثبت أنه يعتمد كثيرا فى تاريخه على الاستشهاد بالنصوص والروايات .

١٩- Brandao , Mon ...Lus ... Parte 4 , p. 126; CF , also ; Peres, op. cit, p. 215 ; Lomax, D.W: La Reconquista , Barcelana 1984 , p. 186 ; Sergio , A; Breve interpretactacao da Historia de Portugal . Lisboa (N.D), p. 21 .

أشباخ : نفس المرجع ، ص٢٠٨ .

٢٠- Beirao , G: Historia breve de Portugal , Lisboa (N.D) p. 14 .

٢١- Herculano, Op. cit , T2 , pp. 374-375 ; Fortunato op. cit , loc cit ; Serrao , Op. cit , p. 18 ; Mattoso A.G: Historia de Portugal , vol I. Liaboa 1939 , p. 7 : Martinz Op. cit, p. 87.

وجدير بالذكر أنه بعد الاستيلاء على الباس أعطى الملك كثيراً من الحقوق والامتيازات لسكان إحدى المدن البرتغالية التى تدعى ماريار Marvao وأيضا لجماعة رهبان فرسان الاسبتارية لتعمير المناطق المحيطة بالباس واستولى أيضا على قلاع جديدة مثل قلعة بيلا مندو Vila Mendo وسالبتيرا دى إكسترموا Salvaterra de extremo (٢٢).

والواقع أن التعاون كان وثيقا بين الملك سانشو الثانى وجماعات الرهبان الفرسان فى مهاجمة الأراضى الإسلامية ، إذ أشارت الروايات إلى أن فى نهائيات عام ١٢٢٩م ٦٢٧هـ فى نفس يوم استيلاء ألفونسو التاسع ملك ليون على مدينة ماردة Merida استولى أيضًا الملك البرتغالى على مدينة جلمانية Juremena (Juromenha) . وجدير بالذكر أن الروايات قد اختلفت فى تاريخ الاستيلاء ما بين ١٢٢٩م وأوائل ١٢٣٠م(٢٣) وهذا يتفق مع قراءة الأحداث إذ أن سانشو الثانى خرج فى أواخر عام ١٢٢٩م وكان الاستيلاء عليها فى أوائل عام ١٢٣٠م خاصة وأن براندو قد أشار إلى الاستيلاء عليها فى هذا التاريخ الأخير .

وفى أثناء نشاط الملك سانشو فى الأراضى الإسلامية على ضفاف وادى يانة الشمالية توفى ألفونسو التاسع ملك ليون فى عام ١٢٣٠م ورث مملكته ابنه فرديناند الثالث ملك قشتالة ، فتم بذلك توحيد المملكتين واستتبع ذلك النزاعات على الحدود مع مملكة البرتغال. ولكن اتفقوا سريعا على تقسيم بعض الأراضى التى كانت على الحدود مع المسلمين واتخاذها مجالا ومناطق لفتوحاتهم فى أغسطس ١٢٣١م(٢٤).

وكان لجماعات الرهبان الفرسان دور كبير سواء فى الاشتراك مع الجيوش البرتغالية فى غزو الأراضى والقلاع الإسلامية أو فى تعمير الأراضى المفتوحة حديثا وتأسيس القلاع الجديدة على الحدود مع المسلمين (وسيتعاظهم دورهم لاحقا) ولذلك نرى أنه فى مارس ١٢٣٢م منح الملك

٢٢- Fortunato , Op. cit , p. 208 Les Hospitaliers de la morte de D . Alfonso Henriqueza lo Suppression des templiers , Paris 1977 , p. 39 ; Serrao , Op. cit. Loc cit .

٢٣- Radrigo , Op. cit , p. 274 ; Brandao , Cranicas de D. Sancho II, p. 40, CF . also : serrao , op. cit, p. 128 ; Herculano , op. cit , p. 398 ; Peres op . cit , p. 220 .

٢٤- Herculano , op. cit , p. 419 .

سانشو الثانى خطابًا (موقع فى قلمرية) بهبة للإسبتارية يمنحهم الكثير من الأراضى على الحدود مع المسلمين لتعميرها فأسسوا قلعة جديدة اتخذت اسم اوكراتو Ucrato (Ocrato) (٢٥).

ومن أهم الاستيلاءات التى أشارت إليها الروايات التاريخية ما قام به الملك سانشو الثانى فى عام ١٢٣٢م تنفيذا لأهدافه وسياسته فى الاستيلاء على الإراضى والمدن الإسلامية، إذ استولى فى الإلنتخو على قلعة شربة Serpa وتقع شرقى نهر وادى يانة إلى الجنوب الشرقى من مدينة باجة . كذلك استولى على قلعة مورا Moura وهى أيضًا شرق نهر وادى يانة إلى الشمال من شربة وإلى الشمال الشرقى من مدينة باجة واللتان استسملتا له سريعا وتعتبر هاتان القلعتان من أهم الاستيلاءات فى وادى بانة وعهد بالدفاع عنهما وعن الأراضى المحيطة بهما لجماعة رهبان فرسان الاسبتارية وبزعامة ألفونسو بيريز فارينا Alfonso Peres Fa-rina(٢٦)، وكان محاربا له نشاط كبير فى تلك المناطق، ويبدو أن ذلك كان مكافأة لهم على دورهم فى الاستيلاء على هذه القلاع .

وهكذا استمر الملك سانشو الثانى فى حملاته ضد الأراضى والقلاع الإسلامية وتعمير الأراضى المحيطة بها واشراك جماعات الرهبان الفرسان فى نشاطه المكثف ضد المسلمين وقد أشارت لنا المدونات التاريخية أنه نتيجة لهذا المجهود الكبير الذى يقوم به ملك البرتغال ضد المسلمين، فإن البابا جريجورى التاسع (١٢٢٧-١٢٤١م) منحه حمايته ورعايته وأعرب عن مساعدته للملك البرتغالى فى حروبه ضد المسلمين والسماح للصيلبيين بالاشتراك فى هذه الحروب لمدة أربع سنوات (٢٨).

٢٥- Peres, op. cit , p. 223 ; Forunato, op. cit, Loc cit .

٢٦- نتيجة لنشاط الفونسو بيريز ضد المسلمين فقد تلقب بلقب فارس فى جماعة فرسان رهبان الاسبتارية والذى أصبح سيد الجماعة فى البرتغال وحارب المسلمين مدة ٢٢ سنة على الحدود البرتغالية الاسلامية ثم بعد منحه هاتين القلعتين اختار البقاء فى مورا Moura . Peres, op. cit , p. 223.

٢٧- أشار دوريك الطليطلى إلى أنه سانشو الثانى استولى على شيربة وعلى قلاع أخرى عديدة دون توضيح Rodrigo , Op. cit , p. 274 ولمزيد من التفاصيل عن هذه الاستيلاء انظر، Herculono Op. cit , pp. 420-422 Fortunato , Op. cit , loc cit , serrao , op. cit , loc cit : Stephens, op. cit , p. 76 .

٢٨- وقد أشار البابا جريجورى التاسع فى مقدمة الرسوم «جريجورى أسقف وخادم خدام الله وكل الأخوة المسيحيين فى مملكة البرتغال يكونوا تحت حمايتنا ورعايتنا مع ملكهم الشهير ملك البرتغال سانشو =

وهكذا غدت الحرب ضد المسلمين فى الأندلس شعارا تنادى به كل القوى الأوربية آنذاك واستمرت تحظى بتشجيع الممالك المسيحية الأسبانية مما ترك أكبر الأثر فى أحوال شبه الجزيرة الإيبريه ذلك أن شبه الجزيرة لم تشهد مثل الحماس والروح والتكالب على الأراضى الإسلامية ولذلك تعتبر هذه الفترة ذروة الصراع ضد مسلمى الأندلس.

وفى تلك الحرب العدوانية بدأت تظهر أهمية جماعات الرهبان الفرسان إذ غدت هى التى تتولى القيام بغارات وغزوات ضد القلاع الإسلامية الصغيرة وتشير الرايات التاريخية إلى جماعة رهبان القديس شانت ياقب التى بدأت فى مملكة ليون وصارت لها فروع فى مملكة البرتغال ومن أهم مراكزها الرئيسية مدينة بلمالة Palmela ويعد استيلاء الملك الفونسو الثانى على مدينة قصر أبى دانس منحها لجماعة القديس شانت ياقب وكان حاكم هذه المدينة وزعيم الجماعة فى البرتغال هو الفارس بايو بريز كوريا .
(Pelayo Peres Corez Correa) Paio Peres Corriea[٢٩].

وفى نهائيات ١٢٣٤م استولت تلك الجماعة على إحدى القلاع التى تدعى الجسترل- Al justral وبذلك وصلت الحدود البرتغالية حتى أعالى الألنتجو على طول خط وادى يانة إلى الشرق من نفس هذا النهر[٣٠]. وتشجيعا لهذه الجماعة أصدر الملك سانشو الثانى مرسوما فى

= الثانى ومن أجل حملاته ضد أعداء المسيح وأيضا كل النبلاء فى أراضيه والذين قادوا الجيوش عن طريق البر والبحر وخدمتهم للكاثوليكية تشملهم بحمايتنا ورعايتنا ... الخ» انظر نص هذا المرسوم فى :
Brandao . Cronicas de D.S. ancho IIm pp. 67-68; Basto : Cronica de cino Reis de Portugal, vol I, porto (N.D.), pp. 170-174 CF. also sarrao , op. cit loc cit .

أشار أشباخ إلى البابا جريجورى الحادى عشر والواقع أنه التاسع، أشباخ ، نفس المرجع، والجزء ، ص٢٠٨ .

٢٩- Peres Op. cit , p. 190 .

أشباخ : نفس المرجع والجزء، ص٢٠٦ .

٣٠- Herculano Op. cit , p. 433 ; Fortunato , Op. cit , p. 208 ; Sergio , op. cit , p. 21 .

٣١- Brandao , Cronicas de D. sancho II, p. 56; Cronica Rei D.A. fonso !!! , pp. 253-255 .

٣١ مارس ١٢٣٥م بمنح هذه القلعة إلى جماعة شانت ياقب[٣٢]، وفى نفس هذا العام استولت الجماعة على كل الأراضى المحيطة بوادى سيسمبر Vila de Sesimbera [٣٣].

واستمرت حملات البرتغاليين فى عام ١٢٣٦م فى نفس إقليم الألنتخو، إذ أن الملك سانشو الثانى استولى على مدينة اروشس Arroches (٧ يناير ١٢٣٦م) واستمر فى حملاته حتى استولى على كل الأراضى الواقعة على ضفاف نهر كوا Coa- والتى سوف تحدث نزاعات حولها فى المستقبل مع مملكة قشتالة[٣٤].

وهنا يبرز أمامنا تساؤل له أهمية: وهو ماذا كان موقف المسلمين من هذه الضربات العدوانية : الواقع إذا نظرنا إلى مسرح الأحداث نجد أنه ليست مملكة البرتغال وحدها هى التى كانت تهاجم وتستولى على المدن والقلاع الإسلامية. إذ أن ممالك قشتالة ليون وأرجوان شاركت هى الأخرى فى هذه الفترة فى العدوان على الأراضى الإسلامية، والمسلمون عاجزون عن وقف هذه الهجمات خاصة وأن الحروب الأهلية والاضطرابات ظلت مستمرة حول منصب الخلافة، مما عرض المسلمين بالأندلس لخسائر فادحة . من ذلك أن السيد أبا العلى ادريس ابن يعقوب المنصور والى أشبيلية وقرطبة دعا لنفسه بالخلافة عقب مقتل الخليفة العادل وتلقب بالمأمون [٣٤]. وفى نفس الوقت دعا لنفسه بالخلافة أيضا أبو زكريا يحيى بن الناصر فى المغرب [٣٥]، وهكذا شغل المأمون بقتال يحيى فى المغرب بمساعدة جيش من قشتالة وصراعهما[٣٦]، وبعد ذلك ظهر مدع جديد للخلافة هو السيد أبو موسى عمران بن يعقوب المنصور أخو المأمون ...[٣٧]، كل هذه الصراعات نشبت بين زعماء الدولة الموحدية فى نفس الوقت الذى ظهرت

٣٢- Herculano , Op. cit , loc cit ; peres , op. cit , p. 224 .

٣٣- Brandaa, Mon Lus ... parte 4, p. 140 .

٣٤- ابن عذارى : البيان المغرب- قسم الموحدين، ص٢٥٣-٢٥٥ ؛ أبى زرع روض القرطاس ، ص٢٤٩-٢٥٣ ؛ عنان ، نفس المرجع ، ص٣٦٤-٣٦٥ .

٣٥- ابن عذارى : البيان المغرب (قسم الموحدين) ، ص٢٥٣، ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٢٤٧-٢٤٩ .

٣٦- ابن أبى زرع : روض القرطاس ، ص٢٥٠-٢٥١ ، عنان : نفس المرجع ، ص٢٦٨-٢٦٩ .
Huici , op. cit, pp. 473-474 .

٣٧- ابن أبى زرع : روض القرطاس ، ص٢٥٣ ؛ عنان: نفس المرجع، ص٣٨٢ .

ثورات الأندلسيين ضد الموحدين، وكان أهمها ثورة ابن هود وهو عبدالله محمد بن يوسف بن هود، الذى دان له الكثير من مدن وأقاليم الأندلس وأصبح أميراً شرعيًا على الأندلسيين، وقد اعترف بسيادة الخلافة العباسية وكان سلطته تمتد فى شرق الأندلس من الجزيرة وشاطبة حتى ألمريه جنوبا ، وفيما بين المريه والجزيرة الخضراء. وفى وسط الأندلس فيما بين قرطبه وغرناطة. وكان يمثل الفكرة الأندلسية القومية والتى تهدف إلى تحرير الأندلس من الموحدين والمسيحيين جميعا [٣٨].

وهكذا أصبحت الأندلس مثاراً للصراعات بين مختلف القوى، كل يسعى لمصلحته الخاصة، وكل عنصر من هذه القوى لايقوى على مقاومة الممالك المسيحية الإسبانية، خاصة وأنهم فى صراعاتهم يحتاجون إلى قوتهم لقتال منافسيهم .

وقد أشارت لنا الروايات البرتغالية إلى نشاط مكثف فيما بين عامى ١٢٣٨م - ١٢٤٠م للبرتغاليين فى حملاتهم ضد الأراضى والمدن والقلاع الإسلامية ، إذ أن الملك سانشو الثانى توجه بجيشه إلى ضفاف وادى يانة حيث قلعة مارتلة Mertola[٣٩] وهى من أمنع القلاع وتقع فى منطقة حصينة حصانة طبيعية غربى نهر وادى يانه، وتحدها من الشمال الغربى إلى الشمال انهار Cabres et erges وبها حاميه قوية جدا ولها أهمية كبيرة منذ عهد الرومان والقوط ومن المدن التجارية الهامة . وقد نجح فى حصارها والاستيلاء عليها [٤٠]، ثم توجه إلى قلعة الفجار دى بنا Aldajar de Pena [٤١]، وأيمونت Aiamonte على الضفاف الشمالية لوادى

٣٨- لمزيد من التفاصيل عن ابن هودى وثورته انظر:

ابن أبى زرع: روض القرطاس : ص٢٥٢-٢٧٤ ، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، بيروت ١٩٥٦، ص٢٧٧-٢٨٦؛ عنان: نفس المرجع، ص٤١١-٤١٥ ؛ أشباخ ، نفس المرجع ، ج٢ ، ص٢٠٨ .

Castro , Op. cit , pp. 69-70 .

٣٩- أشار إليها الحميرى، «على نهر بطليوس بجزيرة الأندلس، ضفة جزيرة الأندلس ص١٧٥ وأشار إليها الإدريس» حصن مارتلة المشهور بالمنعة والحصانة ضفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس تحقيق دوزى استردام ١٩٦٩م، ص١٧٩ ولمزيد من التفاصيل عن المدينة وحصانتها وأثارها انظر دراسة:

Pavon: B; Ciudades Y Fortalezas Lusomusulmanas , Madrid 1993, pp. 34-46 .

٤٠- Brandao, Cronicas de D. sancho II, p. 65 ; CF ; also ; Fortunato , Op. cit., p. 208; coelho , Op. cit , p. 323 ; Sergio, op.cit , p. 27 .

٤١- أشار براندو إلى أنه توجد إحدى الروايات أنه تم الاستيلاء عليها فى عام ١٢٣٤م عندما أسبغت البابوية رعايتها على الحروب الصليبية فى البرتغال.

يانه وقرب مصب النهر فى المحيط الاطلنطى ومنحت تلك القلاع لجماعة القديس شانت ياقب[٤٢].

وكان أن خرج بايو بيريز وجماعته فى عام ١٢٤٠م، وتوجه إلى حقل أوريك Ourique وكان أول مكان وصل إليه هو برج استمبار Torre de Estombar فقام بتدميره وعندما تصدى له المسلمون فى ذلك المكان نجح فى الانتصار عليهم ثم استولى على قلعة البو Al vor[٤٣]، التى تقع بين شلب Silves ولاجوس Lagos ، واشتبك هناك مع جيش من المسلمين كان قد تجمع من مدينة شلب وكل المناطق المجاورة وأتى لنجدة القلعة، ولكنه انتصر عليهم أيضًا[٤٤].

وبعد الهزيمة عرض المسلمون على «بايو» أن يسلموه مدينة كاسيلا Cacela بدلا من مدينتى برج استنبار Torr de Estombar والبور Alvor اللتين استولى عليهما ، على أن تعاد المدينتين للمسلمين، وذلك لأن مدينة كاسلا أبعد قليلا من أراضى المسلمين فى حين أن المدينتين هما أقرب المدن إلى أراضيهم[٤٥].

وتوضع إحدى الروايات أن السيد بايو غضب كثيرا من عرض المسلمين بأن يترك هذه الأراضى البعيدة عن أملاكه والقريبة من أملاك المسلمين فى مقابل أراضى قريبة من أراضيه ولكنه رفض لغنى هذه الأراضى وأهميتها [٤٦]، ويبدو أن رفضه راجع أيضًا إلى أن هاتين

Brandao Mon ... Lus .., p. 141 .

٤٢- Brandao , Cranicas de sancho II, pp. 65-67 ; CF . also : serrao , Op. cit, p. 129 ; Lo-max , Op. cit, p. 188 ; Peres , Op. cit, p. 244 ; Castro , Op. cit , pp. 71-72 .

أشباخ : نفس المرجع ، ج٢ ، ص٢٠٨ .

٤٣- البور تقع على بعد ١٦ كم من شلب ويشير هرقلانو إلى أن هذه القلاع (البور) كانت أسست لخدمة القرى المجاورة ومركز الدفاع عنها .

Herculano, Op. cit , p. T2, p. 45 .

٤٤- Duarte, Op. cit , p. 173; Cronica del D. Alfonso III, p. 256 ; Cronica Reinos de Portugal , p. 204 ; CF . also : collho , op. cit , p. 324 .

٤٥- Cranico do Rei D. Alfonso III, p. 256 , Brndao , cronicas de Sancho II , p. 69 .

٤٦- Coelho , Op. cit, p. 324 .

المدينتين القريبتين من أراضى المسلمين يمكن أن يتخذها قاعدتين أماميتين للهجوم على أراضى المسلمين وفى نفس الوقت فإن الدور على مدينة كاسلا لن يطول .

ثم كان أن واصل بايو حملاته فتوجه إلى ميناء كاسيلا Porte de Casela وهو ميناء هام على المحيط الأطلنطى إلى الغرب قليلا من طبيرة ، وهى منطقة قوية حصينة مليئة بالسكان ويستطيع المسلمون المجاورون لها نجدتها بسرعة [٤٧]. ومنحت هذه المدن الجديدة أيضا لجماعة القديس شانت ياقب بزعامة بايو كارير[٤٨] ويعتبر هذا تشجيعا من الملك البرتغالى سانشو الثانى بهذه الجماعة لكى تستمر فى نشاطها وحملاتها ضد المسلمين وتعمير الأراضى المفتوحة.

وقام «بايو» أيضًا بالاستيلاء على كل القلاع المجاورة للمدن السابقة . وكان أهمها على نهر ريباكو Ribacoa مثل فيلار Vilar ومايور Maior وسابوجال Sabugal وجستوسا Ges-tosa وقلعة رودريك Cadtel Rodrigo[٤٩].

وهكذا تكالبت الجيوش البرتغالية على المدن والقلاع الإسلامية، فنجد أن بايو وجماعته خرجوا من كاسلا Casela فى عام ١٢٤٢م / ٦٤٠هـ للاستيلاء على مدينة بادرنى Paderne مما جعل المسلمين يتجمعون من مدن فارو Faro (شنتمرية الغرب) ولولى Loule وطبيرة Ta-vira وتوجهوا للقاء بايو وجيشه فى إحدى الأماكن التى تدعى دسبارتو Desbarato. وحدثت معركة كبيرة بينهم انتصر فيها «بايو» على المسلمين[٥٠] ثم وصل إلى مدينة بادرنى التى

٤٧- Cronica do Rei D. Alfonso III, p. 260 ; CF .also ; Serrao , Op. cit , p. 129 , For tu-nato , Op. cit , loc . cit ; Peres , Op. cit ., p. 224 ; mattoso , Op. cit , pp. 70-71 , stephens, Op. cit, p. 78 .

أشباخ : نفس المرجع ، ج٢، ص٢٠٨ .

٤٨- Brandao, Crinocas de sancho II, p. 67 .

٤٩- Serrao, Op. cit , p. 129 .

قلعة رورديك فى غير قلعة مدينة رودريك Ciudad Rodrigo والأخيرة تقع فى مملكة ليون.

- وجدير بالذكر أن جميع الروايات اختلفت فى سنوات وترتيب الاستيلاءات على المدن والقلاع الإسلامية وإن كانوا اتفقوا أنها ما بين ١١٣٨-١١٤٢م.

٥٠- Brandao , Cronicas de Sancho II, p. 69 ; Cronica Do Rei D. Alfonso III, p. 257 ; Cronica de cinco Reis de portugal, p. 205 .

كانت حينئذ تواجه مشاكل داخلية ، ولكن سرعان ما اتحد سكانها واتفقوا على مقاومة البرتغاليين . ونتيجة لحصانة هذه المدينة وعلم بايو بتجمع جيش من المسلمين مرة أخرى من مدن فارو وطبيرة وأماكن أخرى مجاورة ، غير بايو اتجاهه إلى مدينة لولى Loule ثم توجه إلى إقليم طبيرة (Tavira Tavila) ويبدو أن الهدف الرئيسى فى تحركاته هى التمويه لكى يفاجئ مدينة طبيرة وقد وصل إلى إقليم طبيرة وما كاد يصل إلى ذلك الإقليم حتى نظم قواته للمعركة رافعا أعلامه. واستعد المسلمون لمقاومته ونشب القتال وأشارت المدونات البرتغالية إلى أن المسلمين لم يستطيعوا الصمود أمام هجمات البرتغاليين، وأصبح كل واحد من المسلمين يسعى لإنقاذ حياته، وأسفرت الموقعة عن أعداد كبيرة من القتلى والجرحى المسلمين[٥١].

وعندما وجد بايو أنه يجب عليه أولا القضاء على الجيوش الإسلامية فى ذلك الإقليم قبل أن يحاصر المدينة للاستيلاء عليها تعقب المسلمين، والتقى مع فلول الجيش الهارب والذى لجأ إلى المكان المسمى فوراديرو Furadero وهناك نشبت المعركة فى منطقة نافورة الأسقف Fon-tedo Bispo وقد قتل عدد من البرتغاليين ولكن قتل من المسلمين كثيرين[٥٢] وأشار برنداو إلى أن بايو استمر فى تحركاته حتى التقى مع أحد الجيوش الإسلامية فى منطقة رأس مسترى Cabeca do mestre وقد صمد المسلمون فى بادئ الأمر ولكنهم لم يستطيعوا الاستمرار فى القتال حتى قدوم الليل، وأصبح الخطر بالنسبة لهم كبيرا مما دفعهم إلى الانسحاب خشية قدوم نجدات للبرتغاليين ثم عاد الجيش البرتغالى فرحا بهذه الانتصارات إلى كاسلا Cacela[٥٣]. ويبدو أن عودته كانت ضرورية لتنظيم جيشه بعد هذه المعارك المتتالية، واستكمال استعداداته من أجل الهدف الرئيسى لحملاته السابقة ، وهو الاستيلاء على كل القلاع والمدن فى الطريق إلى مدينته طبيرة Tavira .

جدير بالذكر أن هذه المدينة لها أهمية كبيرة إذ أنها تقع على المحيط الأطلنطى إلى الغرب قليلا من مصب نهر وادى يانة فى المحيط. وهى على بعد أربع فراسخ (الفرسخ ثلاثة أميال)

٥١- Duarte , Op. cit , pp. 173-174 ; Cronica do Rei , Alfonso III, pp. 266-267 , CF also Coelho , Op. cit p. 325 .

٥٢- Coelho, Op.cit loc cit .

٥٣- Brandao, Cronicas de Rei D. sancho II, p. 70 .

من مصب النهر المذكور . وقد أشارت المدونات البرتغالية إلى أهميتها وأنها ذات أسوار قوية تحيط بها من جميع الأطراف وقلعتها فى الداخل قديمه وقوية وبها كثير من المبانى ولذا فإنها من المدن الحيوية فى تلك المنطقة (٥٤). وكان المسلمون يعلمون أنها هدف لبايو وجيشه وذلك حاولوا الحصول على هدنة معه لمدة أربعة أشهر كوقت ضرورى لأجل استكمال استعداداتهم وتجهيز الاستحكامات للدفاع عن أراضيهم ، وأيضا من أجل طلب النجدات واحضار المساعدات لكى يستطيعوا الصمود أمام هجمات بايو(٥٦) ولكن بايو لم يستجب لهم ثم خرج مرة أخرى وتوجه إلى طبيرة . وقد توقف فى الطريق فى المكان المسمى المارجين Al margen لكى نظم قواته، عندما علم أن المسلمين قد تحصنوا فى داخل المدينة ، وصمموا على القتال. فانتظر وصول بعض الامدادات إليه ثم طلب المسلمين فى طبيرة والأماكن المجاورة المفاوضات مع بايو ولكنهم فشلوا ويبدو أنه أدرك أن المسلمين يريدون اطالة الوقت فى انتظار النجدة فتوجه سريعا إلى طبيرة ليهاجمها فجأة ، ونجح فى مفاجأة المسلمين فى المدينة وكانت أبوابها مقفلة وقد فتح المسلمون أحد الأبواب لكى يخرجوا منه لمقاومة البرتغاليين الذين نجحوا فى الانتصار على المسلمين وشددوا الهجوم على المدينة حتى دخلوها وذبحوا كل قادر على القتال فى المدينة كما قتلوا الكثيرين من سكانها (٥٧). وأشارت الروايات إلى أن قائد المدينة والذى يدعى ابن فلول Aben Falule ، نجا بحياته وفر من المدينة (وفى رواية أخرى قتل) واستولوا عليها فى ٩ يوليو ١٢٤٢ (وفى رواية ١١ يوليو)، فحولوا مسجدها الجامع إلى كنيسة سانتا ماريا (٥٨)، وقد اختلفت بعض الروايات فى تاريخ الاستيلاء عليها ، ما بين تاريخى (١٢٤٢

٥٤- Ibid , p. 72 .

٥٥- Brandao , Mon... Lus ... T4 , pp. 146-147 ; CF. also : Coelho , op. cit , Loc cit .

٥٦- Duarte , op. cit , pp.174-175 ; Cronica do Rei D. Alfonso III, p. 202 .

٥٧- هناك رواية أنه قرر الانتقام من سكان المدينة لأنه قد أرسل خمس فرسان مع بدرو رودريك لاستطلاع أحوال المدينة ولكن قتلهم المسلمين فى منطقة انتس Antes فانتقم من المسلمين فى تلك المدينة.

Cronica de Cino Reis de Portugal, pp. 208-209 , CF . also : Coelho, p. 328 .

- بحثنا عن اسم ابن فلول من خلال ما أتيح لنا من المصادر ولم نعثر على أي معلومة عنه أو اسمه .

٥٨- brandao , Cronica de Rei Di . Snancho II, p. 71 ; Duarte, op. cit, p. 176 ; Coelho op. cit loc , Castro Op. cit , p. 690 Fortunato , op. cit, p. 208 .

أو ١٢٤٩م) ولكن يبدو أن الاستيلاء عليها تم فى عام ١٢٤٢م ويؤكد ذلك أن هذه المدينة منحت إلى جماعة القديس شانت ياقب أى جماعة بايو فى وثيقة مؤرخة ٩ يناير ١٢٤٤ وهذا ما يؤكده أيضا عدد من المؤرخين المحدثين (٥٩).

أما بايو فقد قرر أن لايفقد الوقت ولاعنصر المفاجأة فتوجه بسرعة إلى البور Alvor واستولى عليها مرة أخرى (ويبدو أن المسلمين كانوا قد استعادوا هذه القلعة مرة أخرى لأنه سبق الاستيلاء عليها) ثم توجه إلى حصار مدينة باردنى Paderne وكانت قلعة قوية جدا واستولى عليها أيضًا .

وكانت آخر المشاريع الكبيرة فى عهد الملك سانشو الثانى هو الاستيلاء على مدينة شلب(٦٠)، وهى من أهم مدن غرب الأندلس. وقد أشادت بموقعها وحصانتها وأهميتها وما تتمتع به من ثروات المصادر الإسلامية والمدونات البرتغالية . واحتلت مكانة بارزة فى عهد الموحدين (٦١).

٥٩- والاستيلاء على المدينة أضيفت إليه بعض الأساطير مثل أسطورة السبع صيادين (قناصين) وبطولاتهم فى الاستيلاء على المدينة.

Denis, Op. cit, p. 22 .

وإن كان دنيس Denis قد وصف الاستيلاء عليها فى عهد الفونسو الثالث .

Brandao ; Cranio de Sancho II, p. 74 CF , also ; serrao , Op. cit , p. 129 ; Castro, Op. cit, p. 69 ; Fortunato , Op. cit, p. 208 sergio , op. cit , p. 21 .

٦٠- يشير إليها الإدريسى بقوله : «حسنة فى بسيط من الأرض وعليها سور حصين ولها غلات وجنات وشرب أهلها من واديها الجارى بجنوبها وعلى أرجاء البلد والبحر منه غربا على ثلاثة أميال ولها مرسى فى الوادى وبها الانشاء والعود بجبالها كثير يحمل منها إلى كل الجهات والمدينة فى ذاتها حسنة الهيئة بديعة المبانى مرتبة الأسواق وأهلها سكان قراها عرب من اليمن وغيرها وهم يتكلمون بالكلام العربى الفصيح الصريح ... ومدينة شلب على اقليم الشنشين وهم اقليم بع غلات التين الذى يحمل إلى أقطار الغرب .

- الادريسى: صفة المغرب، ص١٧٩-١٨٥ ولمزيد من التفاصيل عن مدينة شلب انظر الحميرى : نفس المصدر، ص١٠٦ ؛ أبو الفدا : تقويم البلدان، باريس ١٨٤٠م، ص١٦٧ .

٦١- لمزيد من التفاصيل عن أهميتها وأحداثها انظر بحثنا عن مدينة شلب بين البرتغاليين والصليبيين والموحدين ١١٨٩-١١٩١م م ألقى هذا البحث فى الندوة التاريخية الأولى للعلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى من ٢٠ أكتوبر ١٩٩٢م، بكلية الآداب- جامعة الاسكندرية .

ثم توجه بايو بيريز إلى منطقة شلب . وفى الطريق هاجم برج استمبار Torre de Stom-bar، وهى القلعة التى كان قد استولى عليها من قبل سنة ١٢٤٠م ولكن المسلمين استردوها مرة أخرى. وكانت هذه القلعة تابعة لابن عفان Aben Afan حاكم مدينة شلب . ويبدو أنها كانت خطة ماكرة من بايو إذ أن ابن عفان عندما علم بذلك خرج مسرعا من شلب لإنقاذ هذه القلعة . وعندما علم بايو بخروجه أسرع بجيشه تجاه شلب [٦٢].

وعندما علم ابن عفان بالموقف أسرع بالرجوع إلى مدينته، فوجد البرتغاليين محاصرين للمدينة وقد هاجموها . وهدموا منطقة فى سورها بجوار الباب الذى يدعى زايا (Azaia) وفى تلك المنطقة بجوار كنيسة سانت ماريا ، التقى الجيش المسلم بقيادة ابن عفان بالجيش البرتغالى بقيادة بايو، وانهزم ابن عفان مما جعله يلجأ إلى القلعة داخل المدينة لكى يتحصن فى داخلها . ولكنه وجد أنه لاقبل له بقتال البرتغاليين ولايتوقع انتظار نجدة من المسلمين فى تلك المناطق مع صعوبة الاحتفاظ والصمود داخل المدينة [٦٣].

ولذلك أرسل ابن عفان أحد الفرسان ليبحث عن مخرج ونجح فى الفرار مع بعض أتباعه ولكنه غرق أثناء عبوره النهر على فرسه فى أحد الأماكن العميقة يدعى (حتى الآن) مخاضة ابن عفان Pego de Aben Afan[٦٤] أما عن باقى المسلمين فى داخل المدينة فإنهم دافعوا عن القلعة فى حدود إمكاناتهم ولكن نجح بايو فى نهاية الأمر فى الدخول والاستيلاء على القلعة. ويشير برنداو إلى أن المسلمين فى القلعة طلبوا الرحمة من دوق بايو الذى لم يخل سكانها وسمح لهم بالإقامة[٦٥]، وكان المسلمون الذين يبقون فى المدن ويخضعون للحكم المسيحى، كما يحدث للمستعربين فى الأراضى الإسلامية يدفعون جزية سنوية على

٦٢- Duarte , Op. cit, p.177; Cronica do Rei D. Afonso III V pp. 269-270 , cronica de cinco Reino de Portugal , p. 214 .

٦٣- Brandao , Cronicas de D. Sancho II, pp. 72-73 ; cronia do Rei D. Alfonso III , p. 270 ; coelho, op. cit., p. 330 .

٦٤- Duarte, op. cit., p. 178 ; Goelho, p. cit, Loccit .

٦٥- Brandao , Cronicas de D. sancho II , 73 .

الرأس[٦٦]. ثم توجه بعد ذلك إلى بادرنى Padrne واستولى على القلعة بالقوة وقتل المسلمين لقتلهم اثنين من الفرسان الرهبان هناك[٦٧].

وجدير بالذكر أن جميع الروايات البرتغالية اختلفت فى تحديد سنوات الاستيلاء على المدن والقلاع الإسلامية ما بين تقديم وتأخير. ولكن يبدو أن هناك بعض التعتيم المقصود من بعض الروايات البرتغالية ، أضافوا الكثير من الاستيلاءات على عهد الملك الفونسو الثالث لسنة ١٢٤٨م والبعض الآخر يرى أنه منذ بداية الحروب الأهلية التجأ الملك سانشو الثانى إلى مملكة قشتالة واستيلاء أخيه على الحكم فى سنة ١٢٤٥م ويضع كل حملات بايو فى عهد الملك الفونسو الثالث . ويبدو أن بعض المدن قد استولى عليها البرتغاليون فى عهد الملك سانشو الثانى ثم استردها المسلمون وتم الاستيلاء عليها مرة أخرى فى عهد الملك ألفونسو الثالث، ولكن بعد تحقيق ورؤية اعتمدنا على مقارنة الروايات واستعراض أحداث الروايات نفسها . التى تنسب هذه الفتوحات إلى عهد الملك ألفونسو الثالث نجد أنها تتناقض فى بعض الأحداث، إذ تذكر أحداثا من المعلوم حدوثها فى عهد الملك سانشو الثانى. وجدير بالذكر أن برنداو وهو أكثر المؤرخين البرتغاليين القدامى دقة حيث يعتمد على الوثائق والنصوص فى تأكيد سنوات الأحداث. وعلى سبيل المثال هناك أحداث الاستيلاء على طبيرة فقد وضعها فى سنة ١٢٤٢ ثم بعدها فى نفس العام شلب - كما أشرنا- واتفق فى تفاصيل الأحداث مع بعض الأحداث فى مدونة الملك ألفونسو الثالث، وأيضا مدونة الخمس ملوك الأوائل للبرتغال توضع فى عهد الملك ألفونسو الثالث، وكلها حدث فى سنوات ١٢٤٩-١٢٥٠م . ولكن معظم المؤلفات الحديثة وضعت هذه الأحداث فى عهد الملك سانشو الثانى اتفاقا مع وثائق برنداو .

ولنا أن نتساءل عن موقف المسلمين من هذه الحملات والغزوات البرتغالية على الأراضى الإسلامية فى غرب الأندلس؟

وجدير بالذكر أن هذه الحملات كانت تتواكب مع حملات مملكة قشتالة ومملكة أراجون إذ نجح الملك فرديناند الثالث فى الاستيلاء على العديد من القلاع والمدن الإسلامية وأهمها أبده

٦٦- Marques, Op. cit , p. 164 .

٦٧- Coelho , op. cit, loc .

سنة١٢٣٣م قرطبة سنة ١٢٣٦م[٦٨]، وخايم الأول ملك أراجون استولى أيضا على العديد من المدن والقلاع الإسلامية ، وأهمها الجزر الشرقية وميورقة ومنورقة ويابسة سنة ١٢٣١م وبلنسية سنة ١٢٣٨ وما حولها [٦٩]. أما بالنسبة للمسلمين فكانت الضربات تتلاحق على جميع أراضى الأندلس مضافا إليها النزاعات والحروب الأهلية التى منعت تضافر وتوحيد جهود القوى الإسلامية ضد هجمات الممالك المسيحية الإسبانية. ويهمنا هنا منطقة غرب الأندلس فقد كانت الصراعات قد اشتعلت بين ابن هود وابن الأحمر[٧٠]، وإذا كان ابن الأحمر قد اعترف بسلطنة ابن هود فإنه سرعان ما ظهر قاضى مدينة لبلة Niebla شعيب بن محمد بن محفوظ ليدعو لنفسه، وتسمى بالمعتصم فتوجه ابن هود لقتاله وعندئذ امتنع ابن محفوظ فى مدينته ونجح فى الصمود ، مما دعا ابن هود لترك حصارها ، ٦٣٢هـ / ١٢٣٥م[٧١] وبذلك قامت مملكة ابن محفوظ وعاصمتها لبلة. ويمتد هذا الإقليم من رأس القديس فيكنت San Vicente إلى الغرب حتى مصب نهر الوادى الكبير ويحده من الشمال سيرا مورينا Sierra Morina ومن الجنوب البحر وإقليمها الحالى يشمل ولبه علاوة على شربة Serpa ومورا فى الألنتخو (البرتغال) وكل الغرب مع مدن فارو وطبيرة ولولى Loule وكاسترو ومارين Castromarin[٧٢].

٦٨- لمزيد من التفاصيل انظر بحث جونثالث عن فتوحات الملك فرديناند الثالث فى الأندلس.

Gonzales J. Las conquistas le Fernando III 3 n Andolucia , Madrid , 1976 .

عنان : نفس المرجع ، ج٢ ، ص٤٤١- ٤٢٠ .

٦٩- ابن أبى زرع : روض القـــــرطاس ، ص٢٧٣-٢٧٥-٢٧٧ ؛ عنان : نفس المرجع ، ج٢ ، ص٤٣٨-٤٤٤ .

Masia . A: Introduccion a Historia de Espana, Barcelana 1943 , pp. 190-191 .

٧٠- لمزيد من التفاصيل ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص٢٧٧--٢٨٦ ، عنان : نفس المرجع، ص٤١١ -٤٣٦ .

٧١- ابن عذارى : البيان المغرب ، قسم الموحدين، ص٣٢٢ ، ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص٢٧١ ، عنان ، ص٤١٦ .

٧٢- Castro : Niebla , p. 71 وهى رسالة عن مدينة لبلة.

وبهذا يتضح أن منطقة وغزوات البرتغاليين هى أملاك تابعة لمملكة ابن محفوظ فى لبلة، ولكن لماذا لم يقم بمجهودات فى الدفاع عن مملكته ؟ والواقع أنه أعلن حكمه فى سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م، وكان على صراع من ابن هود فى نفس الوقت ، متخوفا من هجمات ملك قشتالة فرديناند الثالث، فكان لايستطيع أن يترك عاصمته ليدافع عن أراضيه فى مناطق أخرى، خاصة وهو لايأمن من التحرك منها خوفا من ابن هود وملك قشتالة ولذلك اعتمد على مبدأ أن تدافع هذه المدن عن نفسها . وكانت كل مدينة تعتمد على الدفاع عن نفسها بجهود سكانها وحاميتها ، وأحيانا عندما يكون الخطر مشتركا تتعاون القرى والقلاع المجاورة فى التصدى للغزوات البرتغالية.

* * *

وقد تعرضت مملكة البرتغال فى عام ١٢٤٥م لأحداث هامة ، إذ قامت فيها ثورة ضد الملك سانشو الثانى، وكانت بقيادة أخيه الفونسو كونت بولونيا- الذى كان متزوجًا من ماتليده صاحبة بولونيا وأصبح أميراً على هذه الولاية [٧٣]. وكانت لهذه الثورة أسباب عديدة أهمها العداء والنزاعات بين سانشو الثانى والاشراف (النبلاء) ، بالإضافة إلى نزاعاته أيضا مع رجال الدين، إلى جانب تربص كل من أخويه الفونسو وفرديناند وعمه بدرو، وخضوع سانشو الثانى لنفوذ زوجته ، خاصة أنه ليس له ولد. واتفق الجميع على خلع الملك عن العرش. وأيد البابا هذا الطلب واتفق الجميع على عزل الملك وتولية أخيه الفونسو ، وصدر قرار البابا فى ٢٢ يوليو سنة ١٢٤٥م بعزل الملك سانشو الثانى وتنصيب أخيه مكانه فى الحكم، ولم تلبث أن اشتعلت الحروب الأهلية وتحالف الجميع ضد سانشو الثانى، ماعدا قلة من أتباعه من النبلاء، مما اضطره للفرار إلى مملكة قشتالة. ولجأ إلى ملكها فرديناند الثالث . وخرج بجيش ومعه الفونسو أكبر أبناء الملك فرديناند ووريثه ، وزحفوا على البرتغال ، ولكن حدثت مفاوضات عرض فيها الفونسو ولى عهد قشتالة قرار البابا، فوجد نفسه فى موقف صعب ، مما دفعه إلى العودة دون قتال . وهكذا استمرت النزاعات حول بعض القلاع والمدن ،

٧٣- كان ألفونسو متزوجا من ماتيلدا صاحبة بولونيا ووريثتها وأصبح أمير لهذه الولاية وكان وثيق الصلة بالكنيسة حتى أنه وعد بأن يقود حملة إلى المشرق لمحاربة المغول، وأن ينظم حملة صليبية ضد مسلمى الأندلس، ولمزيد من التفاصيل انظر:

Cronica Do Rei D. Aldonso II , pp. 24252 .

أشباخ ، نفس المرجع ، ص٢١٢ .

وأهمها قلمريه التى ثبتت على ولائها لسانشو الثانى حتى توفى الأخير فى طليطلة يناير سنة ١٢٤٨م (٧٤).

وجدير بالذكر أن فترة الحروب الأهلية ١٢٤٥-١٢٤٨م لم تشر الروايات إلى أى فتوحات تذكر فيها خاص وأن الحرب الأهلية استمرت حتى توفى سانشو الثانى فى يناير سنة ١٢٤٨م وعندئذ استقر الملك ألفونسو الثالث فى الحكم وبايعه الجميع، وتلقب الملك فى حين أنه كان من قبل يلقب بلقب القائم بشئون الدولة أو نائب الملك (٧٥).

ومن الأحداث الهامة فى غرب الأندلس - ما حدث عندما بدأ الفونسو الثالث حكمه كملك- مشاركة البرتغاليين فى حصار مدينة إشبيلية بقيادة بايو بيريز مقدم جماعة القديس شانت ياقب، ومعه عدد كبير من أفرادها، بالإضافة إلى كثير من الفرسان البرتغاليين. وقد أشار برنداو إلى أن المؤرخين الأسبان تجالهوا دور النبلاء البرتغاليين، إذ كان لهم دور كبير حيث عبروا نهر وادى يانة واشتبكوا أيضًا فى أكثر من موقعة مع ابن محفوظ ملك الغرب الأندلسى، كما اشتبكوا أيضًا مع مسلمى طريانه Triana. وكان لهم نشاط فى شغل قوات المسلمين حتى لايتكتلوا فى الدفاع عن إشبيلية ، وأيضًا أشار إلى جماعة فرسان رهبان ابيز وزعيمهم مارنين فرديناند مع جماعة فرسان الداوية من مملكة البرتغال شاركوا أيضًا فى حصار أشبيلية ، والاستيلاء عليها فى سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م (٧٦).

٧٤- انظر تفاصيل الحروب الأهلية و النزاعات بين الملك سانشو الثانى وأخيه ألفونسو الثالث ثم وفاة سانشو فى :

Duart, Opcit , pp.134-138 ; Cronica do Rei D. Alfonso III, pp. 229-241 ; Brandao. Cronica de rei D. Sancho II, pp. 90-110 ; CF also : Castro , op. cit., pp.72-73 ; valdeavellano, Op. cit , pp. 135-136 ; Molina, Op. cit, p. 30 .

- أشباخ ، نفس المرجع، ج٢ ، ص٢١١-٢١٤ .

٧٥- أشباخ ، نفس المرجع ، ج٢، ص٢١٥ .

٧٦- Brandao , Cronicas de Rei D. sancho II , p.139 ; Cronica do Rei D. Afanso III, p.253, Pimera croncica general de Espana. o. CF . also : Lafeuent , Op. cit , pp. 398-399 ; Serrao , Op. cit , p. 137-138 ; Scnantal, Op. cit , p. 47 ;

Isidoro de las cagigas , sevilla Almohadey Ultimos anos de su vida musulmano, Madrid 1951 , pp. 31-33 .

وكانت أول مهام الملك ألفونسو الثالث بعد استقرار الأمور ورغبته فى أن يضفى على حكمه أهمية وبطولات ، فقرر التوجه إلى الاسكترامادورا لكى يواصل حركة الاسترداد ويضع نهاية للبقية الباقية من الأراضى الإسلامى غرب نهر وادى يانه وقد جمع جيوشه والأموال اللازمة لهذا المشروع فأرسل لجمع الجنود من المدن البرتغالية كما استعان بفرسان جماعات الرهبان ومنهم جماعة أبيز Aviz قلعة رباح سابقا) وجماعة شانت ياقب وكانت لهما أهمية كبيرة آنذاك فى الألنتخو وأراضى الغرب وجماعة الاسبتارية. واشترك كثير من الفرسان المشهورين وكثير من الفرسان الذين شاركوا فى حصار إشبيلية والاستيلاء عليها ؛ هذا فضلا عن الأمير بدرو عم الملك (٧٧).

وتوجه فى ربيع سنة ١٢٤٩م / ٦٤٧هـ إلى مدينة فاروا Faro (شنتمرية الغرب) (٧٨)، خاصة وأن مدينة فاروا وإقليمها غدت آخر ما بقى من الأراضى الإسلامية غربى وادى يانة.

وتشير الروايات إلى أنها كانت تابعة لأمير المؤمنين (الخليفة الموحدى فى مراكش) وكان يحكمها حاكم يدعى ابن هارون Uben Harron ويخمن برناردو أنه فى لقبه Un almoxarife por Aloandre يرتبط باسم أمير المؤمنين فى المغرب وكان حاكم المدينة لديه عدد كبير من الرجال والأسلحة لأجل الدفاع عنها ، وهى مدينة قوية وحاميتها مشهورة بقوتها. وكان سكانها يشعرون بالأمان والطمأنينة لحصانة مدينتهم وكانت المدينة مجهزة وخارجها برج مراقبة وعند رؤية خطر تدق الأجراس وتعطى تحذيراً للمدينة (٧٩)، وهكذا أصبحت مدينة فارو ملاذاً وملجأ لكل المسلمين المطرودين أو الذين رفضوا البقاء تحت الحكم المسيحى فى كافة المدن والقلاع التى استولى عليها البرتغاليون. وقد أشارت المصادر الإسلامية إلى أهمية هذه المدينة وأنها كانت من الموانئ الهامة جداً فى غرب الأندلس، خاصة بعد سقوط الموانئ الأخرى وأصبحت هى الميناء الرئيسى غربى وادى يانة. وكانت مجالا للتجارة المزدهرة وقد أشار الحميرى والإدريسى إلى أنه كانت بها المراكب واردة وصادرة ، وبها دار لصناعة السفن وكان من الضرورى أن يبدأ الملك البرتغالى بالاستيلاء عليها لأنه بسقوطها سيسهل سقوط توابعها.

٧٧- Duarte, Op. cit , p. 81 ; Herculano , Op. cit , pp. 19-20 , Peres, op. cit , p. 244 .

٧٨- أشار إليها الحميرى بقوله «شنتمرية على معظم البحر الأعظم سورها بصعد ماء البحر فيه إذا كان فيه المد وفى مدينة متوسطة القدر حسنة التربة، بها مسجد جامع ومنبر وجماعة وبها المراكب وارده وصادرة وهى كثيرة الأعناب والتين وبينها وبين شلب ثمانية وعشرون ميلا. وهى مدينة أولية وبها دار صناعة للأساطيل وبازائها جزائر فى البحر «صفة جزيرة الأندلس، ص١١٤-١١٥، الإدريسى: نفس المصدر، ص١٧٩ .

وعندما وصل الملك الفونسو الثالث مع جيشه إلى فارو Santa Maria de Faro أمـــر بتنظيم جيشه وتوزيعه على كل أسوار المدينة لحصارها ؛ بعد أن قام بقتل الكثير من السكان والقادة فى المناطق المجاورة لكى لايتكتلوا أو يقدموا مساعدات للمدينة ولكى يفقد المسلمون الأمل فى وصول أو انتظار النجدات عن طريق البحر، أمر الملك أسطولاً من السفن بمحاصرة المدينة عن طريق البحر أى إحكام الحصار عليها براً وبحراً (٨٠). ثم شدد البرتغاليون هجومهم على أسوار المدينة ونجحوا فى نقب منطقة من الأسوار، ولكن نجح المسلمون فى سد الثقب وكان يايو ومجموعته ومعه فرق من الاسبتارية وأبيز قد هاجموا أحد الأبواب ويدعى باب الرهبـــان Porto los Freires ، وفى نفس الوقت أمر الملك أحد النبلاء ويدعى برو اسكرنيو Pero Escrenho بأن يهاجم أحد الأبراج القوية ويسمى برج خوان دى بيام Joao de Bain وكان فى مواجهة قصر الملك حاكم المدينة(٨١).

أما بالنسبة للسفن الإسلامية فإنها عندما رأت كثرة عدد السفن المسيحية وأنه لاقبل لها بمواجهتها فرت من المواجهة(٨٢).

وقد عرض الملك ألفونسو الثالث على قائد المدينة ابن هارون أن يستسلم ويسلم المدينة وقلعتها مقابل حريتهم. ولكن رفض حاكم المدينة(٨٣) هذا العرض. وكان أن استمر الحصار لبضعة أيام قاوم فيها المسلمون قدر طاقتهم ، حتى تأكدوا أنهم لن يستطيعوا انتظار النجدة التى كانوا يتوقعونها. وبدأ سكانها فى المعاناة من استمرار القتال، مما دفع ابن هارون لطلب تسليم المدينة والرحيل على شرط أن يخرج المسلمون من فارو ويتجهون إلى أماكن أخرى ومعهم كل أملاكهم. وإذا أرادوا أن يعيشوا فى المدينة عليهم دفع الجزية للملك البرتغالى ، (كما كانوا يدفعون من قبل إلى أمير المؤمنين على حد رواية المدونات البرتغالية) ويستطيعون

٧٩- Brandao , Cronicas , p. 148 ; Cf. also : Cpelho , op. cit , p.331 .

٨٠- Brandao , Cronicas , p. 150 ; CF . also : Denis , Op. cit , p. 21 ; serrao , cit , p. 138 , for tunato , Op. cit , p. 215 .

٨١- Duarte, Op. cit ., p. 181 CF ; also ; coelho, Op. cit, p.33 .

٨٢- Coelho, op.cit., p. 331-332 .

٨٣- Ibid .

الاحتفاظ بأملاكهم ومنازلهم على أن يكونوا خاضعين للملك ويخدموه فى الحرب ويؤدون الخدمات المفروضة عليهم ومنها الدفاع أيضا عن المدينة. وقبل الملك ألفونسو الثالث هذه الشروط وبناء عليه بدأت اجراءات التسليم بتقدم عشرة من الفرسان مقابل عشرة من المسلمين لتسليم قلعة المدينة. ولكن حدثت تطورات إذ أن البعض من جنود القلعة رفضوا الإذعان للتسليم ورفضوا الاستسلام ، مما أعاق دخول الملك إلى القصر خوفا على حياته، وقرر القضاء أولاً على هذه الجماعة الرافضة . وبدأ القتال بمحاولة البرتغاليين فتح أحد أبواب القلعة ولكن المسلمين قاوموا بشدة. ومات من الطرفين كثير من الرجال، مما دفع الملك إلى الصعود بسرعة إلى أحد الأبراج لكى يرى جيشه ويصدر تعليماته حتى تم القضاء على القوة المدافعة عن القلعة، ثم الاستيلاء على المدينة فى شهر مارس سنة ١٢٤٩-٦٤٧هـ [٨٥]. وقام الملك بتنظيم أحوال المدينة وعين حاكما للمدينة هو استفاو بيرز Estevao Pires de Tavares وهو أحد النبلاء البرتغاليين الذين حضروا حصار أشبيلية [٨٦]، وإن كانت هناك رواية بأن البرتغاليين اقتحموا المدينة وأنها فتحت عنوة، وحدث خلل وهرب سكانها ودخل البرتغاليون وقتلوا كثيرا من المسلمين[٨٧]. ولكن الرواية الأولى لاتختلف كثيراً عن الثانية إذ أجمعت عليها المصادر البرتغالية .

وكان السماح لمسلمى المدينة فى البقاء مقابل دفع الجزية ويمثل سياسة اتبعها كثير من ملوك شبه الجزيرة الإيبيرية فى أنحاء وفترات مختلفة ، وذلك لما هو معروف من الاستعانة

٨٤- Brandao , Cronicas , p. 150 ; Duarte op. cit ., p. 182 ; CF . also ; Herculano, Op . cit , T3.p. 20 ; Mattoso, op. cit, p. 71 ; Peres op. cit , p. 254 .

- عنان : نفس المرجع ، ج٢، ص٤٩٢ ، أشباخ ، نفس المرجع، ج٢ ، ص٢١٥ .

- وهنا رواية أن تم الاستيلاء على المدينة فى شهر يناير سنة ١٢٤٩ . Coells, Op. cit , 333 .

٨٥- Brandao, Op. cit , pp. 150-151 ; coelho, op. cit , pp. 332-333 .

٨٦- Coelho , Op. cit ., p. 332 .

٨٧- Brandao , Mon ...lus parte 4 pp. 182-183 . Duarte, op. cit , p. 183; CF . also : Herculano, op. cit, T3 . pp. 21-22 ; Peres op. cit ., p. 254 ; Stephens, Op. cit , p. 80 ; Castro , Op. cit, p. 72-73 .

بالمسلمين فى كثير من الصناعات والزراعات لتقدم المسلمين فى شتى مجالات الحضارة. ورأت مملكة البرتغال مثل غيرها الاستفادة من هؤلاء المسلمين خاصة فى هذه المدينة التى تعتبر من أهم موانئ الغرب ولها نشاط تجارى كبير.

وبعد الاستيلاء على فارو قرر الملك غزو باقى القلاع الصغيرة فى الغرب ولذا قسم جيشه إلى عدة جيوش وأرسل أحدها وهو مكون من جماعات رهبان فرسان أبيز بقيادة مقدمهم مارتين فرديناند D. Martin Fernandez لكى يهاجموا مدينة البوفيرة Albuferia فنجحوا فى الاستيلاء على المدينة ولكن قبل دخول المدينة حضر الملك وخير سكانها بين الرحيل والبقاء ومنح المدينة لجماعة ابيز، وفى نفس ذلك الشهر، وهو شهر مارس سنة ١٢٤٩ (٨٧)، توجه جيش آخر من البرتغاليين يتألفون من جماعة القديس شانت ياقب بقيادة بايو إلى مدينة سلير واستولوا عليها (٨٨)، ثم انضموا إلى جيش الملك وتوجهوا إلى مدينة لولى Loule واستولوا عليها بعد مقاومة ضعيفة من جانب المسلمين (٨٩)، وقتل عدد من الجانبين ثم استولوا على الجزر Aljezur، فلته بورشز Porches(٩٠)، وانفصل بايو بجيشه واستولى على مدينة سان فيكفت San Vicante وكان بها الكثير من المسلمين فقتل وأسر الكثيرين بها .

وجدير بالذكر أن بعض القلاع السابقة كان قد تم الاستيلاء عليها من قبل فى عهد الملك سانشو، ولكن يبدو أن المسلمين انتهزوا فرصة الحرب الأهلية الدائرة فى البرتغال واستطاعوا استعادة هذه الأراضى والقلاع مرة أخرى.

وقد أشار هرقلانو إلى أن البرتغاليين أخضعوا مرة أخرى قلاع مثل ايمونت Aimonte وكاسلا Cacela وطبيرة Tavira، وهى قلاع كان قد استولى عليها فى عهد سانشو الثانى(٩١)، وجدير بالذكر أن المصادر البرتغالية لم تشر إلى هذه الاستيلاءات أو إلى أحداثها مرة أخرى.

٨٨- Duarte, Op. cit., p. 182 CF. also : coelho, op. cit. p. 331.

٨٩- Brandao, croncias, pp. 151-152 ; cronica do Rei D. Alfonso III, p. 278 ; CF also Fortunato, Op. cit., p. 216 ; coelho, Op. cit, p. 216 ; Beirao, cit, p. 17.

٩٠- Duarte, Op. cit, loc cit., cronica do Rei D. Alfonso III, p. 278 ; CF. also : Serrao Op. cit, p. 138.

٩١- Herculano, Op. cit T3, p. 21 ; CF, also : Stephens, Op. cit, p. 80.

أما آخر ما أشارت إليه الروايات من حركة التوسع البرتغالية فكانت مدينة الفجر Al-faghar وبها مدت البرتغال حدودها حتى شاطئ المحيط فى سنة ١٢٥٠م[٩٢]، بالإضافة إلى عدد من القلاع شرقى نهر وادى يانه مثل اروطه Arode واروسينه Aracena[٩٣]. وهكذا وصلت البرتغال فى عهد الفونسو الثالث فى سنة ١٢٥٠م / ٦٤٨هـ إلى حدودها المعروفة وتم إنهاء الوجود الإسلامى غربى نهر وادى يانة.

وجدير بالذكر أنه أثناء هذه الفتوحات الأخيرة وخاصة شرقى وادى يانة حدث نزاع بين مملكة البرتغال ومملكة قشتالة إذ رأت الأخيرة أن البرتغاليين استولوا على بعض المناطق التى تعتبر مجالا لفتوحاتها ، مما جعل النزاع يدب بين البرتغال وقشتالة، وكان ملك البرتغال يرى أن هذه الأراضى هى الامتداد الطبيعى لأملاكه [٩٤].

كذلك رأت مملكة قشتالة أن حقوقها تنسحب أيضًا على بعض القلاع فى غرب وادى يانة، خاصة أن بعض المصادر القشتالية أشارت إلى أن بايو كان يعمل لحساب مملكة قشتالة، وأنه استولى على تلك الأراضى باسم مملكة قشتالة . وهناك مدونة قديمة تشير إلى أن بايو استولى على عدة أماكن فى الغرب كان قد فتحها لحساب ملك قشتالة[٩٦].

ويشير دوراتى ردا على ذلك بأن بايو قد انفصل عن تبعية ملك قشتالة وأصبح تابعًا لملك البرتغال ، فهل يعنى ذلك أنه فى الفترة السابقة كان بايو يعتبر تابعا لملك قشتالة والواقع أن بايو كان من أعضاء جماعة شانت ياقب التى كان من مراكزها الرئيسية فى البرتغال مدينة بلمسالة Palmela كذلك أصبح حاكم قصر أبى دانس بعد الاستيلاء عليه فى سنة ١٢١٧م وكان كلما استولى على مدن وأراضى بادر الملك سانشو الثانى وأصدر المراسيم بمنحه هذه المدن والأراضى للدفاع عنها وتعميرها، ولكن ترى أن وجهة النظر الطبيعية هى أن البرتغاليين

٩٢- Herculano , Op. cit , T3 pp. 21-22 .

٩٣- Serrao, Op. cit, p. 138 .

أشباخ ، نفس المرجع، ج٢، ص٤٩٣ .

٩٤- Castro , Op. cit ., p. 70 ; Fortunato , Op. cit ., p. 216 .

٩٥- Serrao, Op. cit , p. 138 .

٩٦- Duarte, Op. cit ., p. 181 ; Cf . also .

استولوا على بعض المناطق من الأراضى التابعة لابن محفوظ وهو على علاقة قوية وتبعية لملكة قشتالة . وترى الأخيرة أن هذه الأراضى التى كانت تابعة لابن محفوظ فى مناطق ومجال فتوحات مستقبلية لها ، أما الاعتماد على أن بايو يريز كان تابعا لملكة قشتالة، على أساس أنه كان تحت تبعيته فى حصار إشبيلية فإنه بحكم كونه زعيمًا من زعماء جماعات الرهبان الفرسان . وكان يرى ميدانه هو القتال ضد المسلمين سواء أكانوا فى الأراضى التى تعتبر امتداد لملكة قشتالة أو الأراضى التى تعتبر امتدادا لملكة البرتغال . ومما يؤكد وجهة نظرنا أن المدونة العامة الأولى لتاريخ أسبانيا تشير إلى أن بايو وهو من جماعة شانت ياقب البرتغاليين ومعه العديد من الفرسان والنبلاء البرتغاليين اشتركوا فى حصار إشبيلية(٩٧).

وقد فند برنداو هذا الرأى وأشار إلى أن المصادر القشتالية تشير أن الأراضى التى فتحها بايو لاتقع فى مجال فتوحات البرتغال، وأن الأراضى التى اكتسبها كانت تحت رعاية وتبعية فرديناند ملك قشتالة . وعقب برنداو أن هذا بعيد عن الحقيقة (٩٨).

وهكذا أصبح المسلمون فى غرب الأندلس بين شقى الرحى، أى بين القشتاليين والبرتغاليين. وكان سقوط أشبيلية سنة ١٢٤٨م إيذانا بانتهاء الوجود الإسلامى فى غرب الأندلس، إذ أن القواعد والمدن الباقية توالى سقوطها. وهكذا تكاملت الفتوحات القشتالية والبرتغالية. وكان المسلمون آنذاك ينحصرون فى الجزء الجنوبى من شبه الجزيرة ، وهو ما أصبح مملكة غرناطة لبنى الأحمر، وكان المرجع الرئيسى لسقوط هذه القواعد هو الانقسامات والخلافات بين زعماء الموحدين، وانقسام الأندلسيين فيما بينهم وما ترتب على ذلك من ثورات الأندلسيين ضدهم مما قسم الأندلس فرقا وشيعا .

وهكذا نجحت مملكة البرتغال فى انتزاع القواعد والمدن الأندلسية فى غرب الأندلس حتى وصلت حدودها جنوبا إلى المحيط الأطلنطى ، وإلى حدودها المعروفة ولم يكن ذلك نتيجة لقوة مملكة البرتغال أو نشاط ملوكها فحسب بل لضعف المسلمين وانقسامهم على أنفسهم منذ موقعة العقاب سنة ١٢١٢م . واتسمت تلك الفترة بتسوية النزاعت بين الممالك المسيحية وتوحيد جهودها وقواها ضد المسلمين فى الأندلس ، استغلالا لهذا الضعف والانقسام الذى اعترى الجبهة الاسلامية فى الأندلس .

٩٧- Primera cronica general de Espana, pp. 766-767 .

٩٨- Brandao , Cronicas de D. sancho II, pp. 148-149 .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر البرتغالية والاسبانية:

- Brandao, A :

1- "Monarquia Lusitana Parte 3, Parte 4, Lisboa 1973 .

2- Cronicas de D. Sancho II ED. Alfonso III, Porto, 1946 .

- Cronica de cinco Rei de Portugal,

Edicoa M. Basto , vol I, Porto (N.D).

- Cronica Latina de los reyes de castilla.

Traoduccion luis chorlo Brea. un . de cadiz 1984 .

- Cronicas dos sete primeiros reis de Portugal.

1- Cronica do Rei D. Sncho II.

2- Cronica do Rei F. Alfonso .

Edicao Critica carlos do silva tarouca , vol I .

- Duarte Nunes de leao:

Cronicas dos Reis de Portugal.

1- Chronica del Rei D. Sancho II.

2- Chronica del Rei D. Alfonso III Porto 1975 .

- " Primera Cronica henral de Espane"

publicada por Ramon Menendez Pidal T2 , Madrid 1955 .

- Rodrigo Jimenes de Rada

"Historia de los hechos de Espana " Madrid 1982 .

ثانيًا : المصادر العربية:

- ابن أبى زرع : (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) زبو الحسن على بن عبدالله.

«الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس» ، الرباط ١٩٧٢ م.

- ابن الخطيب : (٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله

«أعمال الأعلام، أو تاريخ أسبانيا الإسلامية» ، بيروت ١٩٥٦م.

- ابن عذارى : (٧١٢ / ١٣١٢م) أبو عبدالله محمد المراكشى»

البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب القسم الثالث (تاريخ الموحدين) نشر ويثى ميراندة تطوان ١٩٦٠م.

- أبو الفدا: (ت ٧٣٠هـ / ١٣٣١م) الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا اسماعيل «تقويم البلدان» باريس ١٨٩٠م.

- الإدريسى : (٦٥٠هـ / ١٢٥٢م) الشريف محمد بن عبد العزيز .

«صفة المغرب وأرضى اسودان ومصر والأندلس ووصف أفريقيا وإسبانيا ». تحقيق دورى اسمتردام ١٩٦٩م.

- الحميرى : عاش فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى، أبى عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم .

«صفة جزيرة الأندلس منتخبه من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار» تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧ .

ثالثا : المراجع الأوربية:

- Beirao, G :

Historia breve de Portugal, Lisboa (N.D).

- Cagigas:

Sevella Almohade Y ultimos anos de su vida Musulmana., Madrid 1951.

- Castro :F .R:

Niebla Musulmana (Siglos VIII- XIII, Madrid 1993.

- Chantal: S

Historia de Portugal, 400, Borcelone 1960 .

- Coelho : A.B:

Portugal na Espanha Arabe, vol 2, Lisboa 1989 .

- Denis : F:

Historia de Porugal , Barcelona 1845 .

- Fortunato de Ameida:
Historia de Portugal" T 1, Ciombra 1922 .
- Gonzalez: J:
Las conquistos de Fernando III en Andalucia" madrid 1946 .
- Herculano : A
Historia de Porugal, T2, T3, Lisboa 1982 .
- Huici: M
Historia Politica del Imperio Almohade , T2 , Tetuan , 1957 .
- Lafueunte :M.
Historia general de Espana " T1, Barcelona 1877 .
Les Hospitaliers de la morte de D. Alfonson Henqrquez a la suppression des templiers , Paris 1977 .
Lomax , D.W:
la Reconquista "Barcelona 1984.
- Mattoso , A.G.
" Historia de Portugal " vol I, lisboa 1939 .
- Marques, O
Historia de portugal lisboa 1976 .
- Martins , M:R
"Historia del Reinado Badajoz " Badajoz 1905 .
- Masia , A.
- Introduccion ala Historia de Espana, Barcelona 1949 .
- Molina, R:
Portugal, sevilla 1979 .
- Pavon, P:
Ciudades Y fortalezas lusomusulmanas Madrid 1993 .
- Peres, D:
"Historia de Portugal" vol 2, Barcelos 1929 .

- Sergio , A:

Breve interpretacao da Histoia de Portugal Lisboa (N.D).

- Serrao, J.V:

- Historia de Portugal vol I, Lisboa 1979 .

- Shantal S.:

Historia de Portugal , Barcelina 1960 .

- Stephens, H.M:

Portugal London 1891 .

- Valdevellano, L.G:

Historia de Espana , Antigua Y Medievel , Madrid 1980 .

رابعًا: المراجع العربية والمترجمة:

- محمد عبدالله عنان :

عصر المرابطين والموحدين، ج٢ ، القاهرة، سنة ١٩٦٤ .

- أشباخ :

تاريخ الأندلس فى عصر المرابطين والموحدين، القاهرة ١٩٩٦ .



(٥)

محاولات أراجون فى الاستيلاء على مملكة نابولى ونتائجها

(١٤١٦ - ١٤٥٥م)

بادئ ذى بدء هناك ثلاثة مداخل لهذا البحث، أولا متى بدأ النفوذ الأراجونى خارج شبه الجزيرة الايبيرية وخاصة فى حوض البحر المتوسط ، والثانى بداية الاهتمام بجنوب إيطاليا وأهميته بالنسبة لمملكة أراجون والأخير هو بداية مملكة أراجون فى استعادة نفوذها فى حوض البحر المتوسط فى أوائل القرن الخامس عشر الميلادى.

والجدير بالذكر أن النفوذ الأراجونى خارج شبه الجزيرة الأيبيرية بدأ فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى عندما اتجهت إلى حوض البحر المتوسط لايجاد دور لها فى التجارة بين الشرق والغرب والتى بدأت على يد خايم الأول Jaime I (١٢١٣-١٢٧٦) وخاصة بعد عقد معاهدة الميثرا Almizra فى ١٢٤٤م والتى تم بمقتضاه تقسيم مناطق النفوذ والاسترداد لمملكتى قشتالة وأراجون فى أراضى الأندلس[١] ونتيجة لها أصبح الاتجاه فى شبه الجزيرة مغلقا أمام أراجون مما حدا بها للاتجاه إلى ناحية البحر المتوسط وكانت أولى الخطوات على يد بدرو الثالث Pedro III (١٢٧٦-١٢٧٥م) حيث هيأت له الأحداث الجارية آنذاك فى تنفيذ طموحات أراجون وخاصة فى وراثة مملكة صقلية ونابولى .

وتفسير ذلك يعود إلى خروج البابوية منتصرة فى صراعها مع أسرة الهونشتاوفن بوفاة فردريك الثانى ١٢٥٢م وما تبعها من عرض مملكة صقلية ونابولى على شارل دى انجواخو ملك فرنسا لحكمها حيث توجه إلى صقلية وقتل ملكها مانفرد فى ٢٦ فبراير ١٢٦٦ وسيطر على مملكتى صقلية وجنوب ايطاليا[٢]

1- Masia, (A): introduccion a la historia de Espana, Barcelone 1943, p. 203 ; Martin: CJ. N) Hisotria le España , T3 Barcelone 1982, p. 67 .

2- Settn : CK Mj; A history of the crusades, Pennsylvania 1962 , p. 65 ; Choyotor, (H.J) Ahisotry of Aragon and Catalonia , London, 1933, p. 100 .

مما دفع بدرو الثالث ، إلى التطلع لامتلاك صقلية وتخليصها من شارل دى انجو وخاصة أنه كان صاحب الحق الشرعى فى ذلك لكونه متزوجا من كونستانس ابنة مانفرد ملك الجزيرة[٣]وقد نجح فى ذلك بعد ثورة الصقليين ضد حكم شارل دى انجو وطلبهم المساعدة من بدرو الثالث ، والذى نجح بعد خطوب ومعارك فى امتلاك الجزيرة تأكيد سيطرته عليها[٤] واسترت المناوشات والحروب وتدخلت البابوية وفرنسا فى حروب ضد مملكة أراجون حتى تم تسويتها بمعاهدة أناجنى ١٢٩٥م والتى عقدت بين البابوية وفرنسا وخايم الثانى ملك أراجون، بتنازل الأخير عن مملكة صقلية فى مقابل الحصول على جزيرتى سردينيا وكورسيكا[٥] وإن كان قد اعترض حاكم صقلية فردريك (أخو خايم الثانى) ولكن حلت المشكلة فى نهاية الأمر بعقد معاهدة كتالوبيتا Caltabellotta فى ١٣٠٢م مع شارل الثانى واحتفظ فردريك الأراجونى بمملكة صقلية بعد زواجه من ابنة شارل دى انجو[٦] واستمرت تحت السيادة الأراجونية وإن كانت قد انفصلت سياسيا تحت حكامها الأراجونين عن الوطن الأم.

أما بالنسبة لجنوب ايطاليا وهى مملكة نابولى آنذاك فإن الارتباط وثيقا بين صقلية وجنوب ايطاليا منذ القدم مرورا بتأسيس النورمان لدولتهم فيهما ثم أسرة الهونشتاوفن ، والتى سيطرت على صقلية وجنوب ايطاليا[٧] وأصبحت من أملاك مانفرد وبالتالى كان يرى

3- Cronica de la corona de Aragon, Zaragozo 1919, p. 80 .

٤- لمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث انظر مدونة بدرو الثالث .

Desclot : (AL Chrolicle of the Reign of King pedro III of Aragon A. D 1276 -1285 Un. Press 1928 , pp. 67-75 . Crona de la corona de Aragon, p. 104 .

CF. also : Masia op. cit , p. 195; Martin, op, cit , p. 78 .

ولمزيد من التفاصيل عن صقلية والأحداث، انظر المؤلف رنسيمان عن ثورة الصقليين.

Renciman, (S): the Sicilian vespiers, cam 1958 .

5- Croncia de la corona de Aragon, p. 148; cit , p. 76 .

6- Chaytor opcit , p. 139; salavert , (V): La pretendido tricion de Jaime II de Aragon contra sicilia Y los sicilianos , estudio de Edad media de corona de Aragon, vol VII, Zaragoza 1962 , p. 160 .

٧- كانت الامبراطورية الرومانية قد استولت على هذا القليم من اليونانيين أوائل القرن الثالث ثم =

الأراجونيين أنهم أحق بوراثتها مثل صقلية ولذلك عندما توالت انتصارات الأميرال البحرى روجر دى لوريا[٨] Roger de Lauria قائد أسطول أراجون، مكنته من بسط سيطرته على جزء كبير من الشاطئ الإيطالى الجنوبى [٩]، ثم أتبعها فردريك الثالث (الأراجونى) ملك صقلية حيث نجح فى فرض نفوذه على جنوب إيطاليا[١٠] وإن ظلت نابولى تخضع لحكم الأنجويين ولكن كان نفوذ الأراجونيين قد تمثل فى عملهم كجنود مرتزقة أو كقراصنة أو كتجار. وفى القرن الرابع عشر سجل ازدهار المجد التجارى.

ومن الاشارات الهامة أنه فى ١٣٠٧م كان لدى الأراجونيين اثنين من القناصلة فى نابولى وكان لهم إحدى الشوارع الداخلية[١١] واستمرت نابولى تحت حكم فرع من الأنجويين وأصبحت شبه مستقلة تحت حكم روبرت ملك نابولى والذى توفى فى ١٣٤٣م وترك لحفيدته خوانا الأولى وراثة العرش والتى كان لديها ستة عشر عام ومنذ ذلك الحين وشئون المملكة فى أقصى

= استولى القوط الشرقيون من الرومان فى القرن الخامس الميلادى ثم اعادها جستنيان إلى حظيرة الإمبراطورية الشرقية (البيزنطية) أواسط القرن السادس الميلادى وظلت على حالتها هذه حتى صارت دوقية مستقلة أوائل القرن الثامن الهجرى ثم مملكة نورمانية تشمل إقليم نابولى وجزيرة صقلية ١١٣٩م وهى مملكة الصقليين وحل الهونشتاوفن محل النورمان فى هذه المملكة المزدوجة فأصبحت نابولى فى عهدهم أبهى وأرقى الممالك الأوربية ثم انتقلت إلى حكم الفرنسيين (شارل دى أنجو) ، فشر بتاريخ أوربا فى العصور الوسطى- القسم الثانى- القاهرة ١٩٧٦م، ترجمة محمد مصطفى زيادة وآخرون، ص٤٣٦ .

ولمزيد من التفاصيل عن تاريخ نابولى أنظر مصدر:

Zurita , A : Anales de la corona de Aragon, T5, Zaragoz 1980, pp. 546-550 .

٨- كان روجردى لوريا من الشخصيات البارزة فى عصره فقد كان قائد الأسطول والذى جعل لأراجون السيادة البحرية فى غرب البحر المتوسط وانتصاراته كان يشوبها أعمال شديدة الوحشية ولكن الاستراتيجية والتكتيك والمقدرة والسرعة فى مناوراته أبقى صولجان أراجون يخفق على البحر المتوسط فى عهد بدرو الثالث. Chaytor , op. cit , loc cit .

٩- سعيد عاشور : أوربا فى العصور الوسطى، القاهرة ١٩٧٥، الجزء الأول، ص٥٤٨ ، Chaytor , op. cit , loc cit .

10- Abadia, J.K: La corona de Aragon en el mediterrano medieval 1229-1477; Zaragoza, 1979, pp. 18-19 .

11- Pelayo M.. M: Historia de Espana, Madrid 1905, p. 63 .

ارتباك بواسطة الأطراف المتعددة والمتصارعة من النبلاء والقوى الخارجية[١٢] ثم تولى شارل الثالث أمير دورازو ثم ابنه لاد سلاس Ladislaus ثم أخته خوانا الثانية وهم الذين استطاعوا -لعدم وجود ممتلكات لهم فى فرنسا - أن يوفقوا بين مصالح نابولى ومصالحهم الشخصية وإن كانت حقوقهم ظلت غير مقبولة أو معترف بها فى صقلية أو بروفانس [١٣].

هنا يدفعنا التساؤل لماذا اهتمت مملكة أراجون بجنوب إيطاليا والجدير بالذكر أنه عندما بدأت تتطلع مملكة أراجون فى إيجاد دور لها فى تجارة الشرق والغرب فى حوض البحر المتوسط اعتمادا على أن قوة الدولة ترجع إلى قوة اقتصادها ولذلك سعت إلى الاستيلاء على صقلية ثم سردينيا وكورسيكا والتى منحت لها بمقتضى معاهدة ناجنى ١٣٩٥ م والتى استولى عليها خايم الثانى ١٣٢٢م بعد حروب مع جمهورتى بيزا وجنوة[١٤] وبالسيطرة على صقلية ثم سردينيا وكورسيكا كانت محطات وقواعد للسيطرة وإيجاد دور لها فى تجارة الشرق فكان لابد من الاهتمام بمد نفوذها إلى جنوب إيطاليا لعدة أسباب أهمها ارتباط جنوب إيطاليا بصقلية ، وفى الوقت نفسه تهدف إلى مقاومة نفوذ البندقية وجنوة وبيزا فى السيطرة على التجارة الشرقية بالإضافة إلى محاولة إيجاد نقاط ارتكاز سياسى تؤمن الارتكاز التجارى والنفوذ التجارى الكتالونى مع الشرق .

أما بالنسبة لبداية الاهتمام بجنوب إيطاليا فى بداية القرن الخامس عشر فترجع إلى الأحداث والظروف السياسية والاقتصادية لمملكة أراجون ، آنذاك، ولذلك يتطلب منا استعراض أحوال مملكة أراجون فى أواخر القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر.

تولى حكم مملكة أراجون بعد وفاة خوان الأول(١٣٨١-١٣٩٥م) أخيه الأصغر مارتين الأول (الطيب) ١٣٩٥-١٤١٠م وكان حكمه أكثر أهمية فى استعادة نفوذ مملكة أراجون

12- Chaytor , Op. cit , p.214 .

١٣- فشر: نفس المرجع والقسم، ص٤٣٧ .

14- Cronica de la corona de Aragon , p. 160 CF . also : Prieto y llovera , Politica Aragonesa Africa Hasta muerte de Fernando El Catolice Madrid 1952 , p. 55; Pelayo Opcit, p. 62 ; Roca : Vient Salovert : La corona de Aragon en el Mundo Mediterraneo del siglo XIV , Aparte sel congress, de histroa de la corona de Aragon T2, vol III valencia 1273 , p. 47 .

فى صقلية[١٥] حيث واجهت صقلية فى الفترة من ١٣٩٢ إلى ١٤٠٩م صراع ومشاكل أكثر تعقيدا مرتبطة بدول أخرى فى إيطاليا كانت لها انعكاسات على الصراع فى أعالى البحار بالنسبة لامتداد النفوذ الأراجونى[١٦] وان هذا الصراع قد بدأ بعد وفاة فردريك الرابع ملك صقلية (الأراجونى) فى ٢٧ يوليو ١٣٧٧م وكانت وريثته ماريا تحكم صقلية تحت حماية بدرو الرابع ملك أراجون، والذى وجد أن حكم صقلية تحت حكم امرأة تواجه صعوبات كثيرة ولذلك توجه إلى الجزيرة وأخضعها لحكمه المباشر وأعلن ابنه مارتين حاكما على الجزيرة والذى بدوره تولى حكم مملكة أراجون بعد وفاة أخيه ١٣٩٥م وعين ابنه مارتين الشاب حاكما على صقلية بعد تزويجه من ماريا الوريثة لصقلية وبهذا الزواج تم التحالف بين أراجون وصقلية والتى عندما توفت (ماريا) تزوج هذه المرة من بلانكا ابنة كارلوس ملك نافار والتى توجهت إلى صقلية ١٤٠٢م ولكن سرعان ما توفى مارتين الشاب فى حملة على سردينيا فى صيف ١٤٠٩م وتولت زوجته بلانكا حكم صقلية بمعاونة مستشارين من مختلف النبلاء[١٧] وكان مارتين قد أخذ على عاتقه محاولة طرد الايطاليين من هذا البحر من خلال الاهتمام بعقد الصفقات التجارية وتنشيط النفوذ التجارى الأراجونى من خلال العلاقات مع الفلاندرزو ومارسيليا وشمبانيا وازداد المرور التجارى خاصة تجاه الفلاندرز [١٨].

وفى نهاية شهر مايو ١٤١٠م توفى مارتين الطيب وحدثت مشكلة وراثية خطيرة فى التاجالأراجونى استمرت لمدة عامين[١٩] فى مساجلات ومداولات لاختيار ملك جديد لأراجون حيث كان هناك مطالبين بالعرش كان أهمها فرديناند دى انتكيرة Fernando de Antequesa

---

15- Cronica de la corna de Aragon , p. 302 , CF also : Champan, (C.E) : Ahistory of Spain New York 1931 , p. 13 .

16- Giunta , F: Aragoneses y Catalanes en el Mediterraneo , Barcelona 1989, p. 224 .

17- Abadia op cit , pp. 21-22; Giunta, op. cit , p. 242 ; ventura, JL Historia de Espana Barcelone 1976, p. 201 .

18- Santamaria, A: La Reconquista de las vias Maritimas, La Peninsula Iberica Yel-mediterreneo centro occidental (siglos XII XVI Barcelona 1980, p. 78 .

١٩- كان أهم أحداثها إرسالها الكورتيس الكتالونى سفارة فى عام ١٤١١م إلى صقلية فى مهمة لحل المشاكل بين الملكة بلانكا ومستشاريها. Abadia , op. cit , p. 23

ابن خوان الأول ملك قشتالة وليونور أخت مارتين الأول وحفيد بدرو الرابع والثانى فى الأهمية خايم دى اورخل Jaime de Urgel ابن حفيد الملك ألفونسو الرابع وصهر الملك المتوفى[٢٠] وهو السليل الذكرى للملكية الأراجونية وكان له مؤيدين من كتالونيا وبرشلونة ، وقد اجتمع النبلاء فى مؤتمر كاسبى Caspi وقرروا بعد مداولات واختلافات عديدة اختيار فرديناند دى انتكيرة (وبدأ حكم أسرة تراستمار Trastamar فى أراجون) وكان خايم صاحب اورخل قد اعترض ورفض قرار مجلس كاسبى وشن حروب فى أراضى أراجون لمدة عامين كان مؤيدا فيها من قبل انجلترا ونافار وفرنسا والبرتغال ، بالإضافة إلى تابعيه فى مملكة أراجون ، ولكن حالت الظروف دون تحقيق طموحاته إذ فقد التأييد فى نهاية المطاف[٢١]، حيث قاتله فرديناند دى انتكيرة حتى اجبره على الانسحاب من القلعة القوية بالجير Balaguer وسجن فى قلعة شاطبة حتى اغتيل عن طريق أحد الشبان من أسرة تراستمارا[٢٢].

وكان أيضا من أهم المرشحين والذين اعترضوا على تولية فرديناند ، لويس دى كالابريا والذى أدرك سوء العلاقات بين أراجون وفرنسا وحاول جذب تأييد فرنسا فأرسل شارل السادس بعد اتفاقية مجلس كاسبى مباشرة إلى أراجون لإلغاء انتخاب فرديناند وأعلن احتجاجه على ذلك[٢٣]، ولكن لم يؤدى ذلك إلى أحداث ملموسة.

والجدير بالذكر أن اتفاقية كاسبى لم تحل ولاتستطيع حل كل المشكلات المتعلقة داخليا وخارجيا لكل الأقاليم التابعة للتاج الأراجونى ولكن فرديناند كان لديه الرغبة فى تأكيد نفوذه

٢٠- هناك مطالبين آخرين وهم لويس دوق كالابريا حفيد خوان، الأول وآخر هو فردريك الابن الغير شرعى لمارتين الشاب (ملك صقلية السابق)، والذى أقر بشرعيته البابا بندكت الثالث عشر ولكن ما زال فى طفولته وأيضًا ثالث هو وألفونسو دوق كانديا حفيد خايم الثانى، وهو شيخ كبير.

Ventura , op. cit , p. 201 ; Tierney , B: Ewstern Eustern Europe in the Middle Ages 300-1475, New York 1998, p. 501 ; Prieto , op. cit , pp. 96-97 ; Ramsey (J.F) : Spain , Press 1997, pp. 107-108 .

21- Masia, Op. cit, pp. 221-222 .

22- Ventura, op.cit , loc cit .

23- Giunta, Op. cit, p. 285 .

فى كل المناطق الخاضعة لحكم أراجون حيث أنه لا تنقصه لا المقدرة ولا الذكاء لمواجهة المشاكل، إذ عقب توليه فى سنة ١٤١٢م استقبل الخضوع من ولايات أراجون(٢٤).

ونجد فى حكمه القصير كانت أهم مشاكله الاهتمام بمشكلات سردينيا وصقلية وقد عقد إحدى الهدن والمعاهدات مع جمهورية جنوة لمدة خمس سنوات بعد عداء شديد ونزاع على سردينيا ، أما بالنسبة لصقلية فإن بعض الصقليين طلبوا تسليم التاج إلى فردريك دى لونا الحفيد غير الشرعى لدون مارتين ولكن فرديناندو أرسل إلى صقلية ابنه الثانى دون خوان لأجل تأكيد حقوقه الملكة دونيا بلانكا (٢٥).

أما بالنسبة لجنوب إيطاليا فكان لدفع الخطر المستمر ضد امتلاك صقلية والذى كان يأتى من لاديسلاس ملك نابولى وصقلية بعد عقد معاهدة تحالف معه فى ١٤١٣م(٢٦)، وتحسنت العلاقات بين نابولى وصقلية بعد عقد التحالف، خاصة وأن ملك نابولى كان يحس بخطر طموحات لويس دى أنجو والذى كان ينازعه فى امتلاك عرش نابولى عن طريق استخدام القوة حيث كان لويس لديه تأييد كبير من ملك فرنسا لكى يحوز على نابولى عن طريق قواته الخاصة انتهازا إن القوى الأخرى مشغولة بمشاكلها وخاصة أراجون بعد وفاة بدرو الرابع ١٣٨١م(٢٧).

توفى فى ٦ أغسطس ١٤١٤م لاديسلاس ملك نابولى وتولت أخته الملكة خوانا الثانية Ju-ana II دوقة اشتوريا (٢٨)، أرملة جالرمودى أشتوريا Guillermo de Austria (والتى

24- Ibid, pp. 277-278 .

25- Cronica De la corona de Aragon, p. 337; CF. also : Priets , Op. cit, pp. 93-9 ; Aguero (M.S) Historia de Espana, TVI , Madrid 1978 , p. 207 ; ubieto (A): Introduccion a la historia de Espana , Barcelona 192 , p. 171 .

26- Guinta , Op. cit, pp. 28-28 .

27- Ibid, pp. 217-218 .

٢٨- دائمًا المصادر الأسبانية تصفها بالسوء وأنها كانت لها شهرة سيئة ومعروفة بعلاقاتها غير الشرعية مع شاب فقير يدعى Pondolf Alope وكان موظف فى البلاط، وحتى بعد زواجها الثانى كانت على علاقة بعشيقها وكانت تدس الدسائس ضد زوجها .

Balaguer ,, (V): Historia de cataluna; corona de Aragon T3, Barcelona 1862 , p. 478 ; CF also , Abarca (P), Segunda Parte de los Anales historios de los reyes de Aragon, Salamanca 1648,mp. 186 .

تزوجته عام ١٣٩٩م) آنذاك ، ولذلك عند توليها الحكم اقترح الملك فرديناند زواجها من ابنه خوان (أمير صقلية من قبل أبيه) ، ولكن الأرملة الملكة فضلت الزواج من الفرنسي الكونت خايم دى لامارکا (البوربونى) Jaime de la marca ، وذلك فى عام ١٤١٥م والأخير الذى اتخذ لقب دوق كالارياي ومع هذا كان مستاءً لأنه كان طموحًا للقيام بلقب وسلطة ملك وعندما تمرد على وضعه أجبر على أن يفر ويلجأ إلى فرنسا حيث التحق بالفرنسيكان كراهب[٢٩].

وهناك رواية أنها إضهدته واعتقلته وكانت السبب فى تدميره [٣٠].

وهنا جاءت الأحوال الجديدة لكى تزيد من امكانيات مد التوسع الأرجوانى ومن أجل الطموحات السياسية والتجارية.

توفى فرديناند الأول سنة ١٤١٦م[٣١]، وتولى الوش ابنه الفونس الخامس الحكيم أو العالم العظيم [٣٢]، بعد اجتماع الكورتيس فى كتالونيا وقدم الملك القسم فى ٢ أبريل سنة ١٤١٦م وتوج كملك على أراجون وبلنسية ومايورقة وصقلية وسردينيا وكورسيكا وكتالونيا ، وكان قد ورث عن أبيه كل طموحاته ومشاريعه فى توسيع ومد النفوذ الأرجوانى فى حوض البحر الأبيض المتوسط الذى كان حقيقة هو المشروع الكبير لسياسته، ولديه دعوة تجاه هذا

29- Abida, op. cit , p. 46; Chaytor , op. cit , p. 211 p; Giunta, op. cit, p. 289 ; Thomson Popes and Princes 1417-1517 , London 1980 ; p. 119 .

وكان هناك عروض أخرى من متطلعين للزواج منها مثل دوق يورك أخو ملك انجلترا وأوهو ملك قبرص.

30- Lafuente (A), A history General de Espana , T2 , Barcelona 1879, p. 182 .

٣١- كان فرديناند متزوجًا من دونيا ليونور ابنة سانشو الابن الغير شرعى لألفونسو التاسع وأنجب منها خمسة أبناء وبنتين الابن الأكبر وولى العهد ألفونسو والذى تزوج بعد تلقبه بلقب أمير خيرونا Prieto 9 op. cit , p. 24 .

٣٢- كان ألفونسو قد ولد سنة ١٣٩٤م وكان لديه ٢٢ عامًا عندما تولى الحكم عام ١٤١٦ وقبل توليه عرش أراجون بعشرة شهور تزوج فى بلنسية من دونيا ماريا أخت ملك قشتالة خوان الثانى Balaguer , op. cit p. 469, CF also : Hillgar the (J.N) the Spanisk kingdoms, vol 2, Oxford 1978, pp. 245-246 .

البحر[٣٣]، ومن أهم اهتماماته فى بداية حكمه هو توطيد حكم مملكة أراجون فى سردينيا وكورسيكا حيث عادت إلى الاضطرابات والتمردات بمساعدة جمهورية جنوة للمتمردين فيها فى ١٤١٧م وبدأ يدير الحرب فى سردينيا عن طريق التخطيط للقضاء على التمردات فيها[٣٤].

تم التوجه إلى سردينيا ليضع حد لطموحات المتمردين وكان معه أسطول مكون من ٤٤ سفينة وقضى على المتمردين، ثم توجه إلى كورسيكا والتى تعرضت [٣٥]، لاغتصاب بعض أراضيها من الجنويين وهم المنافسين والأعداء لكتالونيا فى البحار الشرقية ، وحاصر قلعتها من البر والبحر واستطاع إعادة السيطرة على الجزيرة [٣٦]. وفى أثناء ذلك وصلت سفارة من خوانا الثانية ملكة نابولى إلى الفونسو الخامس تطلب المساعدة والنجدة فماذا استجد من أحداث .

والجدير بالذكر أن مملكة نابولى كانت تسير آنذاك نحو البؤس والشقاء وارتباك أحوالها داخليًا وخارجيًا حيث كانت خوانا الثانية تواجه العديد من المشاكل والأزمات ، وإن كانت قد حصلت على تأكيد حكمها الشرعى لنابولى من البابا مارتين الخامس والذى أكد منحه التاج لها كملكه فى سنة ١٤١٩[٣٧] وكان يساعدها آنذاك اثنان من القواد المشهورين وهما

33- Aguero Cf , Peres, (J.B) : La Politica exterior de Alfonso V, Valencia 1945, p. 11 .

34- Balaguer , Op. cit , p. 472 ; CF . also Lafuente , op. cit , p. 180 .

٣٥- فقد كانت جنوة هى المنافس التقليدى لمملكة أراجون وخاصة كتالونها وكان التنافس والنزاعات أيضا فى عدد من الموانئ الشرقية مثل الاسكندرية ودمياط ، وخاصة وأنها تستقبل التجارة الآتية من الشرق الأقصى عن طريق البحر الأحمر ثم سواحل فلسطين وأيضا أرمينيا فى اسيا الصغرى وحتى القسطنطينية وسالونيك وكانديا .

Ameteller, (J) : Alfonso V de Aragon en Italie la crisi Reliÿoso del siglo XV , TV , T1, Gerona 1907 , p. 112 .

36- Zurita op. cit T5 , Zaragoza 1980 , p. 523-25 CF , also : Lafuente , op. cit , loc cik Masie op.cit , p. 226; Abarca, op. cit, p. 186 .

37- Chaytor, op. cit , p. 715 .

فرنسيسكوا سفورزا Francisco Sforza القائد العسكرى المرتزق [٣٨]، ومستشارها خوان كاراكسيلو Juan Caracciolii، وهم دائمين متنافسين ، وحدث الانقسام بينهما فى قضية البحث عن وريث وهى قضية شغلت كل نبلاء نابولى وكان سفورزا قد انقلب على الملكة والذى كان متعبًا من خيانتها واقترح لويس الثالث دى أنجو على أساس أن جده كان قد تبنى بواسطة خوانا الأول سنة ١٣٨٢م كوريث لها وأن حفيده لويس الثالث ورث نفس هذا الحق[٣٩] أما المستشار خوان كاراكسيلو يراهن على الفونسو الخامس حيث كان شابًا من الفرسان المتجولين وملئ بالطاقة والفروسية والمغامرة ولديه من الصفات ما يستطيع التفاعل مع العادات الإيطالية [٤٠]، فما كان من سفورزا إلى أن اتصل بلويس الثالث والذى بدوره طلب تأييد البابا ووافقه على ذلك[٤١]، وتفاوض مع جنوة وفلورنسا وتوجه لحصار نابولى بينما سفورزا كان محاصرها عن طريق البر وضيق الحصار على نابولى وأصبح مركز الملكة صعب للغاية[٤٢]، ووجدت أنها مهددة باعدائها فأرسلت مستشارها انطونيو كارافا Antonio Caraffa

---

٣٨- كان من أشهر شخصيات تاريخ إيطاليا آنذاك والقاسم المشترك فى جميع أحداثها وهو القائد سقوروا أنه يكون الأعظم شهرة فى إيطاليا وهو جندى محترف ولديه قوة عسكرية جبارة وملأ سوق الخدمة الحربية المرتزقة فى إيطاليا وهو ابن أحد مشاهير المرتزقة من إقليم رومانيا Romagna وصاحب الفضل فى انتصارات ميلان على البندقية وكان على جانب كبير من الحيوية وقوة الاحتمال ودل أثناء الحروب الطويلة التى اشتعلت بين البندقية وميلان على أنه جندى واسع الحيلة وسياسى من أبرع السياسيين فى عصره فشر: تاريخ أوربا ق٢ ، ص٤٣٠، وجدير بالذكر أن اجتماع العنف والتجارة فى إيطاليا العصور الوسطى جعل كل مدينة من المدن الإيطالية تبحث عن يد قوية تدافع عن كيانها وتجمع الروح الحزبية أو تصون صناعتها وتجارتها وتحقيقًا لهذا تعهدت المدن على اجتذاب قواد عسكريين ذائعى الصيت من غير أهلها حيث يمكن الركون إلى عدم محاباته لفريق دون فريق لبعده عن المنازعات والأحقاد المحلية، وهذا ما ينطبق على سورزا ، فشر : نفس المرجع ، ص٤٢١ .

39- Balaguer, op. cit, p. 448 ; CF , also : Chayrot , Op.cit , p. 215 .

40- Prieto , op , cit , p. 104 Aguerio, op. cit, p. 218 .

٤١- وجدير بالذكر أن البابا قد انقلب على خوانا الثانية وإن كان قد أخفى ذلك بسبب استيلاء بعض بنلاءها على أراضى وأملاك تابعة للبابوية والتى طمحت البابوية فى استردادها ولكن رفضت خوانا الثانية مما دفع البابا إلى تأييد مطالبة لويس الثالث دى انجو . Chaytor , op. cit , p. 215

42- Abarca, op. cit , p. 187; CF. also: Lafuente, op.cit , p. 182 .

إلى البابا والذى أخفى حقيقة ميول البابوية[٤٣]، فلم تجد بدا إلا من طلب النجدة من الملك الفونسو الخامس وبناء على نصيحة مستشارها كاراكسيلو ولأنه العدو الطبيعى لبيت أنجو وهو الملك الأكثر قوة والذى يستطيع إخراجها من تلك الحالة الصعبة وأرسلت إليه مستشارها الفارس انطونيو كارافا تطلب المساعدة وعرضت عليه تبنيه كابن ووريث لها فى أملاكها مع منحة بعض القلاع أهمها قلعتى نيوبو Nuevo ودال اوبو Del ovo ومنحه أيضا دوقية كالابريا وعلى شرط مساعدته لها وتم توقيع وثيقة بهذا المضمون فى الجير Alguer[٤٤].

وجدير بالذكر أن الملك ألفونسو يرى أنه أحق بوراثة نابولى وحقه فى مساعدة الملكة لأن مملكة أراجون لها حقوق ترجع إلى وراثة جده الأكبر بدرو الثالث لمانفرد ملك صقلية وجنوب إيطاليا من خلال زوجته كونستانس ابنة مانفرد ووريثته[٤٥].

حقيقة أن مستشاريه قد نصحوه بعدم الثقة بهذه الملكة الغادرة المتقلبة[٤٦] ولكن كان هذا العرض لايستطيع أن يتردد أمامه لأن طموحاته ومشاريعه التى كان يهدف إليها قد قدمت له على طبق من فضة خاصة وأن التجارة الكتالونية تهدف إلى الاعتماد على جنوب إيطاليا كمركز لها وكانت هذه هى الفرصة لتأكيد إمتلاكه مثلث صقلية وسردينيا وكورسيكا وجنوب إيطاليا ولذلك على الرغم من نصائح مستشاريه ولكن العرض كان لايستطيع إلا الموافقة عليه.

أرسل ألفونسو الخامس جيشا بقيادة رامون دى بريوس Ramon De Perellosوالذى وصل بأسطوله إلى المياه النابولية حيث كانت قوات الأعداء بقيادة فرنسيسكوا سفورزا ونجحت القوات الأراجونية فى الاستيلاء على قلعة نويبو Nuevo ثم وصلت امدادات أخرى للقوات الأراجونية من صقلية ومعهم المؤن والمدد مما دفع سفورزا إلى التوجه بقواته تجاه افرسا[٤٧]

43- Chaytor , op. cit , p. 215-216 .

44- Zurita, op. cit , T5 , pp. 541-542 , CF. also : Abadia , op. cit , p. 46; watts, (H.E) spain , London (W.D), p. 273; Hillgorth, op. cit , p. 250 , Santamaria, op. cit , p. 110 .

45- Balaguer , op. cit , p. 477 ; cf , also , Lafuente op . cit, p. 182 ; Aguero, op. cit, p. 218 ; Prieto , op. cit , p. 105 .

46- Aboraca, op. cit , p. 189 .

47- Balaguer, op. cit, p. 479 , CF; also , Chaytor, op. cit , p. 216 ; Anetller , op. cit , pp. 105-106 .

لإعـاقـة الأراجـونيين والتـصـمـيم على غلق الممر المؤدى إلى مدينـة نابولى وبدأت المناوشـيـات وتحصن سفورزا فى قلعة افرسا Aversa ومعه لويس الثالث دى أنجو وتكاتف الجميع من سكان القلعة للدفاع عنها ولذلك قرر قائد القوات الأراجونيـة بعد مقاومة المحاصرين فى افرسا ، التوجه إلى نابولى حيث نجح فى الاستيلاء عليها (٤٨). وعندما وصل الفونسو إلى جزيرة آشـيـا Ischia بقى لمدة قصيرة من الوقت وصل خبر وصوله إلى الملكة والتى أمرت كبير الأشراف خوان كاراسيلو بمصاحبة عدد من النبلاء لأجل التهنئة بوصول الملك وتقديم الشكر لأجل عدم تخليه عنها وأن يتوجه لينزل فى قلعة دل اوبو Del ovo(٤٩) . ودخل الملك ألفونسو إلى نابولى حيث استقبل استقبالا رائعا حيث خرج النابوليين إلى الشوارع لأجل رؤية الملك وإن كان هناك رأى بأنهم لم يعجبهم كثيرا الأبهة الشخصية للملك والذى وصل فى نهاية الأمر إلى القصر الملكى واستقبلته على مدخله الملكة خوانا والتى أعطاها الملك قبلة أبويه ، ثم أمرت بتسليمه القلعة Del ovo وأكد للملكة بأنه سوف يدافع بما يستطيع عن مصالحها (٥٠). ثم عقد نبلاء نابولى والملكة خوانا اجتماعا مع الملك منحته فيه لقب دوق كالابريا وأيدت الاتفاق السابق على أنه وريث لمملكة نابولى وكان ذلك فى يوليو سنة ١٤٢١م (٥١). وقـد طالب الفونسو البابوية بالاعتراف بحقوقه فى نابولى (٥٢). ولكن البابا مارتين رفض ذلك وقدم تأييده للويس الثالث دى أنجو وأرسل سفراءه إلى حكام ميلان وفلورنسا والمدن الايطالية الأخرى لكى يتحالفوا ضد الملك ألفونسو (٥٣).

وبدأت المناوشات بين الأنجويين والأراجونيين خاصة وأن كثير من البارونات الإيطاليين فى داخل وخارج نابولى كانوا متبرمين وغيورين من السلطة العليا للأراجونيين وانضم الكثير من أعداء الأراجونيين فى إيطاليا إلى تأييد الأنجويين خوفا من توحيد تاجى صقلية ونابولى لأنه سيؤدى إلى سيطرة الأراجونيين على كل شبه الجزيرة الايطالية(٥٤).

48- Zaruta , op. cit, T5 , pp. 556-557 .

49- Metller , Op. cit , p. 103 .

50- Ibid, pp. 106-107 .

51- Zurita , op. cit, T5, p. 560 ; CF . also Chaytor, op. cit, p. 216 ; Abodia, op. cit, p. 47.

52- Aguero , op. cit, p. 218 .

53- Chaytor, op. cit, loc cit.

54- Lafuente, op.cit, p. 182 .

والجدير بالذكر أن شبه الجزيرة الايطالية كانت مقسمة بين نفوذ عدة قرى ما بين الامبراطورية الرومانية الغربية والجمهوريات الايطالية (نابولي- البندقية - ميلا- فلورنسا - جنوة) والفرنسيين والقوى المحلية فى إيطاليا والبابوية فأصبحت إيطاليا مسرحا لأحداث متشابكة معقدة يصعب الإلمام بأطرافها لتعدد تلك القوى وتباين رغباتها واهتماماتها ، ومن خلال ذلك نجد أن مملكة أراجون تواجه مشاكل عديدة معقدة خاصة تبادل الأدوار والأحلاف والعداوات.

كان قد ازداد سخط النبلاء النابوليين مع الكثير من القوى الإيطالية ضد الأراجونيين مما جعل الملك ألفونسو الخامس يسعى للتفاوض مع فليب ماريا فيكونتى Felipe Maria Vi-conti دوق ميلان ليوقع معاهدة صداقة وتحالف [٥٥]. واتخذ اجراءات عسكرية أخرى لمواجهة أعداءه فعين ألفونسو زعيم المؤيدين له فى إيطاليا براثيو دى مونتونى Braccio de Monte-one قائدا أعلى لقواته والذى كان يعتبر أحسن الجنرالات الايطاليين بعد سفورزا والذى كان يأمل فى أن الأراجونيين سوف ينجحون على الأرض كما هم فى البحر[٥٦]. وفى الوقت نفسه أرسل إحدى السفارات إلى فلورنسا لأجل التحالف ضد الجنويين [٥٧]. مما دفع لويس الثالث دى نجو إلى طلب معونة الجنويين الأعداء الطبيعيين لمملكة أراجون وتحالفوا معه وبدأت المناوشات البحرية بين الجنويين ومعهم لويس الثالث دى انجو وسفورزا والذين التقوا فى معركة بحرية مع الأسطول الأراجونى بقيادة روميو دى كوربرا Romeo de cornera سيد مونتيسا فى ٢٨ أكتوبر ١٤٢١م وانتصرت القوات الأراجونية انتصارا كبيرا[٥٨]، مما دفع البابا فى ٢ نوفمبر سنة ١٤٢١م أن يرسل مبعوثا لعقد الهدنة بين ألفونسو ودوق انجو على أساس منح الملك الأراجونى دوقية كالابريا مع تنازله عن مطالباته بعرش نابولى كابن ووريث لمملكة نابولى[٥٩]، فلم يستجب الملك الفونسو واستمر فى مشروعاته وتوجه لحصار قلعة لاسير La Cerra بالقرب من نابولى وإن كان قد استجاب لفك حصائرها بعد توسط البابا خاصة بعد

55- Balaguer, op. cit , p.216 .

56- Chaytor, op. cit, loc cit.

57- Peres, op. cit , pp. 13-14 .

58- Zyrita, op. cit, pp. 557-564 ; Abarca op. cit , p. 189' CF . also , Abadia, op. cit, p. 47 .

59- Balaguer, op. cit, p. 483 .

موافقة الأخير على تأييد وراثة ألفونسو لمملكة نابولى[٦٠] فكثيرا ما يحدث تبدل المواقف بين تحالف وعداء فى عدة أيام وهنا بدت الأمور فى صالح الملك الفونسو الخامس بعد أن حقق عدة انتصارات أكدها بموافقة البابوية على حقوقه .

ولكن حدث آنذاك ما لم يكن يتوقعه الملك وهو غدر الملكة خوانا به حيث حدثت سلسلة من الخلافات بينهما إذ بدأ الفونسو بالاستيلاء على أملاك بعض المدن والتى استولى عليها من دوق انجو، وخوانا شكت بأن هذا سوف يلغى سلطتها تماما[٦١]. خاصة بعد تحذيرات مستشارها كاراسيلو لها من سياسة الملك الفونسو بالإضافة إلى أن فيليب ماريا فيكونتى دوق ميلان نقض التحالف مع الفونسو وبدأ يعمل ضد سياسته وإلى جانب لجوء لويس الثالث دى أنجو إلى البابا، وبدأ فى السعى لعمل تحالف ضد الملك الأراجونى[٦٢]، وزاد الطين بلة أنه دبرت مؤامرة لاغتياله من قبل الملكة خوانا وسفورزا أثناء قيامه ببعض الزيارات وخاصة زيارته لها فى قلعة كابوا Capuana ولكن نجح فرسانه فى انقاذه[٦٣] وفى الوقت نفسه تعددت المشاكل فى مملكة قشتالة[٦٤].

وهنا بدأ الملك ألفونسو فى مواجهة هذه الصعوبات وبداها بمحاولة ضرب راس المؤامرات وهى الملكة التى بدأت تسبب له الكثير من المتاعب ولذلك صمم على أخذها كأسيرة ، وهى تحصنت فى قلعة كابوا حيث حاصرها الملك ألفونسو وكلن سفورزا قد جاء مع جيشه واستطاع هزيمة الأراجونيين ونجح فى إثارة النابوليين الذين استولوا على المدينة وأجبر الأراجونيين على

60- Zurita , op. cit, T5, p. 573-575 , CF. also: abadia , op. cit, loc cit .

61- Chaytor, op. cit, p. 216 .

62- Balaguer, op. cit, p. 484 .

63- Lafuente , op. cit, p. 182 .

64- Balaguer , op. cit , p. loc cit .

كان أخويه خوان وهنرى أصبحوا متورطين فى محاولة السيطرة على ملك قشتالة الصغير خوان الثانى وكان الأمير هنرى قد أسر بواسطة بعض النبلاء القشتاليين وأخذ أسيرا إلى مدريد وكانت فى ذلك الوقت قريتج صغيرة . مما اضطر الفونسو إلى العودة إلى أراجون لفترة قصيرة لغزو قشتالة ومساعدة أخويه فى محاولتهم لوقف الانتصارات القشتالية وهذا ما نجح فيه .

التحصن فى داخل قلاع نويبو Nuepo ودل اويـو Delovo(٦٥) وهنا ترك سفوزا حامية قوية لحصار تلك القلاع وتوجه بجيشه إلى افرسا حيث استسلمت إليه وبقى الملك محاصرا مع جيشه ينتظر قدوم المساعدة من أراجون مما جعل الكورنيس يجتمع مع الملكة فى برشلونة وجهز أسطولا مكونا من ٣٠ سفينة بقيادة الكونت رامون فالشى دى كاردونا Ramon Felche de cardona والذى وصل إلى ميناء جاتا Gaeta متخذا الطريق إلى نابولى (٦٦).

شجعت النجدة التى وصلت إلى الملك ألفونسو على الخروج من القلعتين وقادهم الملك فى العمليات الحربية ضد أعداءه فى مدينة نابولى حيث انتشر القتال فى البر والبحر ونجح فى السيطرة على المدينة بعد قتال دموى فى شوارع نابولى وفى الأحياء وكانت الهزيمة لأعداءه مما اضطر سفورزا إلى إخراج الملكة من قلعة كابوا وحملها إلى افرسا Aversa وامتلك الفونسو مرة أخرى نابولى فى يونيو سنة ١٤٢٣م(٦٧).

وهنا استمعت خوانا الثانية لنصيحة مستشاريها والبابا بابطال تبنى الفونسو وأن يحل محله دون لويس الثالث دى انجو كابن ووريث لها ومنحه لقب دوق كالابريا وأصدرت ذلك القرار فى ٢١ يونيو سنة ١٤٢٣ وأيد هذا القرار ودعمه دوق ميلان ودوق جنوة واللذان انضمت قواتهما مع قوات سفورزا وتقدموا تجاه نابولى وهزموا الأراجونيين ووجد الفونسو نفسه غير قادر على الاستمرار فى القتال بنفسه حيث أن الأحوال فى مملكته تحتاج إلى حضوره الفورى فعهد بالدفاع عن حقوقه فى نابولى إلى أخيه بدرو مع قوة كبيرة تركها وراءه(٦٨).

وفى عودته إلى أراضى أراجون قرر مهاجمة مارسيليا المدينة الفتية القوية التابعة لعدوه لويس الثالث دى أنجو، والفونسو نجح فى اختراق المدينة ولاقى مقاومة شديدة وحطم سلسلة الدفاعات عن المدينة وانتشر القتال فى الشوارع والمنازل ونجح فى تدمير الكثير من مبانيها

65- Cronica de la corona de aragon , pp. 352-358; CF . also , Ramsey , op. cit, pp. 108-122 .

66- Abarca , op. cit, p. 190 CF. also : lafuente , op. cit, p. 182; Abadia, op. cit , p. 47 .

67- Zurita op. cit , T5, pp. 584-587 ; Cronica de la corona la Aragon, p. 354 ; CF . also ; lafuente, op. cit , pp. 182-183 , Abadia, op. cit., p. 47 .

68- Cronica de la corona de aragon, p. 354; ; CF . also : chaytor, op. cit, p. 217 ; Mosia, op. cit, p. 227 .

واضطرم النار فى المدينة وحمل ما استطاع الحصول عليه من أموال وأمتعة ورحل إلى أراجون(٦٩).

تجمع أعداء الملك من أتباع الملكة والميلانيين والجنويين والانجويين وتأييد البابا وانتهزوا فرصة انشغال الملك فى الحرب مع قشتالة وهاجموا قوات الملك الأراجونى فى نابولى بقيادة الأمير بدرو والذى بقى فى نابولى واستولوا على عدة قلاع أهمها جاتا Gaete وكاستيمار Castellamare وميا Meae وبكو Vico وسورند Sorrenda ثم توجوا هجماتهم بالاستيلاء على نابولى بحيث لم يبقى للأراجونيين من قلاع إلا قلعتى نويبو Nuevo ودل اوبو De-lovo(٧٠)، وتطلب ذلك الوضع سرعة نجدة الأراجونيين، وجاءت بالفعل نجدة إلى بدرو من صقلية بقيادة دون فردريك كونت لونا الأراجونى سنة ١٤٢٥م واستمرت المناوشات(٧١) وفى الوقت نفسه كان الفونسو الخامس ما زال مشغولا فى حروبه مع قشتالة ولم يستطع أن يتوجه بنفسه إلى نابولى فأرسل نجدة إلى أخيه المحاصر فى نابولى وكان أسطول مكون من ٢٥ سفينة بقيادة الأميرال رامون دى بريوس Ramon de Perellos والتى وصلت فى أغسطس سنة ١٤٢٥م إلى ميناء نابولى وأطلقت المدافع على المدينة واشتبكت فى حروب عديدة متفرقة على سواحل إيطاليا مع أعداءه وخاصة الأسطول الجنوى(٧٢).

قرر الملك الفونسوا أن ينهى مشاكله مع مملكة قشتالة وعقد معاهدة معها سنة ١٤٢٥م(٧٣). وبدا يدير المعارك ضد أعداءه من خلال التدخل فى الشئون الداخلية لميلان وشجع بعض المتمردين ضد فيليب ماريا فيسكونتى سنة ١٤٢٥م(٧٤)، ثم تحالف مع دوق البندقية ومع فلورنسا فى سنة ١٤٢٦م ضد جنوة(٧٥).

69- Lafuente , op. cit , p. 183; Prieto, op. cit, pp. 106-107 .

70- Zurita, op. cit , T5 , pp. 610-612 ; CF. also, Choytor, op. cit, p. 221 .

71- Abarca , op. cit , p. 197, CF , also : Lafuente, op. cit , p. 182 .

72- Balaguer, op. cit, pp. 493-494.

73- Abarca, op. cit, p.182 .

74- Abadia, op. cit , p. 47 .

75- Chaytor , op. cit , p. 222 .

والجدير بالذكر أن طبيعة الأوضاع آنذاك من تداخل المصالح وتعارضها جعلت الأطراف المتصارعة كثيرة التبدل فى مواقفها وحسب مصالحها المتغيرة فنجد مثلا أن الفونسو وقع فى ٢ مارس سنة ١٤٢٦م معاهدة سلام مع دوق بورجونيا (عدو الأنجويين) ومع مملكة البرتغال، مع محاولة استمالة بعض النبلاء النابوليين لينضموا إلى الحزب المؤيد له من النابوليين [٧٧]، ثم اتبع تلك السياسة بمفاوضات مع البابوية حيث وصل مبعوث البابا مارتين الخامس إلى بلنسية واستقبله الملك ووضعوا قواعد الاتفاق بين أراجون والبابوية وأهمها الاعتراف بسلطة البابوية والتبعية لروما [٧٨] وكان المحرك الأساسى للبابوية هى مصالحها فى إيطاليا والعالم المسيحى آنذاك ولذلك كثيرا ما تبدلت سياستها وإن كانت فى مجملها ضد الملك ألفونسو الخامس لأنه ما اشتهر به من قوة ونفوذ وصفات شخصية جعلت من وجوده فى إيطاليا خطر شديد على أملاك ونفوذ البابوية .

وكان من أهم نشاطات الفونسو الخامس عام ١٤٣٠م، عقد معاهدة مع سلطان مصر الأشرف برسباى لتحقيقه أهداف سياسية واقتصادية هامة تتمثل فى تأكيد الدور التجارى للمملكة أراجون وقد نظمت المعاهدة كل ما يتعلق بذلك الأمر [٧٩] خاصة وأنه قد سبقها الكثير

76- Balaguer, op. cit, pp. 495-496 .

77- Labuenta, op. cit, p. 184 .

78- Balaguer, Op. cit , p. 496 .

٧٩- انظر وثيقة هذه المعاهدة فى:

Alarrcon Y santo los documentos arabes diplomaticos del archivo de la corona de Ar-ogon Madrid 1940 , pp. 372-377 .

ثم انظر دراسة وتحليل هذه المعاهدة ونصوصها أيضا فى بحث :

Orsatti, R.R: tratado de pas entre Afonso V de Aragon Y El Sultan de Egipt , Almalik Al- Asraf Barsbay, Al- Andalus vol VI 1939 , pp. 333-389 .

ثم انظر دراسة الدكتور الطاهر مكى: معاهدة تجارية من القرن الخامس عشر بين سلطان مصر وملك أراجون ، المجلة العدد ٤٩ السنة الخامسة يناير سنة ١٩٦١ من ص٨٣-٩٣ .

وللمزيد من المعلومات عن سياسة الفونسو الخاصة تجاه مصر وأثيوبيا وتونس وبلاد الشام انظر:

Cerone , Op. cit , pp. 25-28 .

من اعتداءات الكتلان على شواطئ مصر والشام وبتوجيهات من الملك ألفونسو الخامس(٨٠) ويبد أن هذه المعاهدة تدخل ضمن محاولة البحث عن أصدقاء ليحدث نوع من توازن القوى خاصة وأن قوى عديدة فى أوروبا وخاصة فى إيطاليا وفرنسا ضد طموحات وأمال مملكة أراجون .

وجدير بالذكر أن البابا مارتين الخامس الذى كان مؤيد للدوق لويس الثالث دى انجو كان قد بدأ يتردد ويتحول إلى جانب الفونسو الخامس (٨١). ولكن سرعان ما توفى سنة ١٤٣١م وخلفه البابا ايجونيوس الرابع والذى كان الفونسو الخامس غير مؤيد لاختياره ويميل إلى البابا الزائف حنا الثانى والعشرون ١٤١٠- ١٤٥١م، وكانت المشاكل أمام ايجونيوس الرابع كثيرة ومن مهامه أولا تهدئة ايطاليا وانهاء مشكلة مجلس بازل Basil والذى كان مجال للمساومة السياسية بين البابوية ومختلف الامراء والملوك فى الغرب الأوربى .

٨٠- أحمد دراج : الممالك والفرنج ، القاهرة ١٩٦١ ، ص٢٢-٢٥ ، محمد عبد الله عنان : مصر الاسلامية القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص١٧٧-١٧٨ .

81- Chaytor, op. cit, loc. cit .

٨٢- يتطلب فهمنا لأوضاع البابوية خاصة وأن القاسم المشترك فى جميع الأحداث أن نتعرض لمشكلة الأسر البابلى والانشقاقات الدينية حيث أن البابوية قد تعرضت لكثير من عوامل الضعف وخاصة المشاكل التى واجهتها من نبلاء روما ف القرن الثالث عشر جعلت البابا كليمنت ٥ ١٣٠٥-١٣١٤م ينقل المقر البابوى إلى آفينون فى فرنسا مما زاد من ضعف البابوية والتى استمدت أهميتها من وجودها فى روما مقر القديس بطرس فانقطع المنبع الأساسى لقوة البابوية حتى توفى البابا جريجورى الحادى عشر ١٣٤٨م مما جعل أهل روما يختارو كليمنت السابع وهنا بدا الانشقاق الكبير بوجود سلسلة من البابوات فى روما وأخرى فى آفينون ثم بدأت محاولة حل هذا الموقف بعقد مجمع بيزا ١٤٠٩م عندما قرر المجتمعين عزل بابا روما وبابا آفينون وانتخاب بابا جديد يحل محلهما واختاروا البابا اسكندر الخامس وأصبح فى العالم المسيحى ثلاث بابوات وحتمت المصالح حل هذه المشكلة فعقد لذلك مجمع كونستانس ١٤١٣م والذى نجح فى علاج الانشقاق الدينى ودعم وحدة البابوية وتلاه عقد مجامع تكمله وهى مجمع باقيا ١٤٢٣ ومجمع بازل ١٤٣١ م وهذا الأخير قد اختلف فى بعض القضايا . سعيد عاشور أوربا ، ج٢، الأنجلو ١٩٧٨م، ص٤٩٧-٥٠٧ ، ولمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر المصادر والمراجع التالية:

Zuria, op. cit , T6 , p. 34; CF , also : Hill, (D.A): A history of diplomacy in the international development of Europe, vol2, New York 1914 , pp. 75-76 ; Brady (T.A.): Handbook of European History 1400-1600 , New York 1994 , pp. 506-507 .

بدأت الدعوات تتابع من الحزب الأراجونى فى جنوب إيطاليا لألفونسو الخامس بضرورة التوجه إلى جنوب إيطاليا لاستكمال مشروعاته وطموحاته وكان أمير تارنتوم جاكوب كالدورا Jacope Caldora قد أرسل سفارة إلى ملك أراجون ف سنة ١٤٣١م يدعوه للحضور وغزو نابولى وخاصة انضمام عدد من نبلاء نابولى إليه والذى كان ينظر إليه كأعظم الجنرالات المؤهلة فى إيطاليا والذى أعلن استعداده للعودة إلى الخدمة الأراجونية ونسيان الماضى[٨٣] وبدأت الطلبات تتابع أيضا فى سنة ١٤٣٢ من مستشارى الملكة خوانا يناشدونه المساعدة ضد لويس الثالث دى انجو والذى بدأ النزاع مع الملكة فى مقابل عودة التبنى وأبطال تبنى لويس دى أنجـــو[٨٤]، فمنذ ١٤٢٣ - ١٤٣٢م ألفونسو بقاها فى أسبانيا ولكن لم ينس مطلقا نابولى[٨].

ولذلك بدا يتخذ بعض الخطوات لعودته إلى جنوب إيطاليا إذ عقد اتفاق وتحالف مع دوق ميلان [٨٦]، ثم أعلن قيامه بحملة صليبية ضد المسلمين فى تونس تمويها لأغراضه كما فعل جده الأكبر بدرو الثالث، وفى ضرورة كسب وتأييد البابا ايجونيوس الرابع كما فعل جده أيضا[٨٧].

فجمع أسطوله فى برشلونة ومعه الاميرال رامون دى بيروس Ramon de Perellos ومعه حوالى ٣٥ سفينة وأبحر فى ٢٣ مايور ١٤٣٢م واتخذ طريقه إلى سردينيا ثم إلى شواطئ تونس ودخل الأسطول الأرجوانى إلى جزيرة جربه Gerbes وحاصرها وجاء حاكم تونس مع جيش كبير للدفاع عن أراضيه ولكن هزم ونجا بصعوبة وكسب الفونسو الكثير من الأسلاب

83- Zurita, op. cit , T6, p.10 ; CF, also : Cgaytor ,, op. cit , p.222 .

84- Abadia , op. cit , p. 48; Aguero, op. cit, p. 222 .

85- Hillgarth , op . cit , pp. 250-251 .

86- Zarita , Op. cit , T6, p. 14; CF. also : Lafuento , op. cit , p. 184 .

٨٧- كان بدرو الثالث بعد تطور الأحداث بثورة الصقليين ضد شارل دى انجو ودعوته للحضور من قبل أهل الجزيرة لتملكها رأى أن يخفى نواياه لكى يفاجأ الجزيرة وأعلن قيامه بحملة صليبية معلنا أنه يريد حماية مؤيد المسيحية حاكم قسطنطينية ابن وزير صد ملك تونس ورسا بأسطوله فى الكول حتى جاءت سفارة من الصقليين لكى يتوجه إليها .

Desclot , op. cit , p. 48; Cronica de la corona de Aragon p. 103 CF , also : Abaaolia , op. cit , p. 13 .

والغنائم والأسرى وامتلك جزيرة جربة [٨٨]. وكان لهذا الانتصار أهمية كبيرة فى شهرة الملك الأراجونى فى ايطاليا حيث توجه بعد ذلك إلى صقلية[٨٩]. ومن هناك أرسل سفاره إلى ملكة نابولى خوانا الثانية لأجل الاتفاق على حل جميع المسائل بينهما خاصة عودة التبنى وطرد دوق أنجو من كالابريا وجميع القلاع المستولى عليها ثم وصل الملك إلى جزيرة اشيا Ischia ووقع الاتفاق مع مستشارى الملكة خاصة وأن المستشار الملكى كارثيلو Caracilo العـــدو الرئيسى لأراجون والمؤيد للملكة خوانا كان قد قتل بأمر من دوق سيسا Sassa [٩٠]، وأرسل إحدى السفارات إلى البابا ليحملوا له وثيقة هذا الاتفاق وضرورة انسحاب اتباع لويس دى انجو وكان ذلك فى عيد الميلاد سنة ١٤٣٣م فما كان من البابا بدوره أن طلب من ألفونسو أن يكون معه ضد الامبراطور سيجموند وضد مجلس بازل ولكن نتيجة لموقف البابوية المتذبذب دائما وخاصة وأن البابا لم يوافق صراحة على هذا الاتفاق فنجد أن الفونسو أقام تحالف مع الامبراطور سيجموند ضد البابا ومواصلة تأييد مجلس بازل [٩١].

نجح البابا فى تشكيل اتحاد وتحالف جديد ضد الملك الفونسو الخامس مكون من فلورنسا والبندقية والجنويين ودوق ميلان ولويس دى انجو مما دفع الفونسو للاستجابة إلى طلب زعيم هذا التحالف فيليب ماريا فيسكونتى وتم عقد هدنة لمدة عشر سنوات مع مملكة نابولى خاصة وأن ملكة نابولى انقلبت عليه مرة أخرى وطالبت اتباعها بحرب الملك ألفونسو والوقوف أمام مشاريعه والذى ما زال يحتفظ ببعض القلاع فى داخل مملكة نابولى[٩٢].

وأيد أمير تارنتوم الملك ألفونسو حاصة أنه لم يوافق على غدر الملكة ولذلك تحالف مع ألفونسو الخامس مما أدى إلى إعلان لويس دى انجو الحرب عليه واحتل الجيش الفرنسى تارنتوم[٩٣].

88- Balaguer , Op. cit , p.510 , cronica de la corona de A Ragon , p. 367 , CF . also ; Lafuente, op. cit, p. 184 .

89- Lafuente , op. cit , p. 184 .

90- Balaguer , Op. cit, pp. 510-511 .

91- Zurita , op. cit , T6 , pp. 40-41 , 47 .

92- Balaguer , op. cit , p. 511 ; CF. also : Abadia , op. cit , p. 48; Chaytor, op. cit , p. 223 , Prieto, oop. cit, p. 113 .

93- Zurita , op. cit , pp.71-73 .

والجدير بالذكر أن الأحداث تطورت سريعا ففى أثناء انشغال الفونسو ببعض المشاكل فى سردينيا وصقلية وكورسيكا وأراجون وقشتالة فإن ذلك لم يشغله عن شئون ايطاليا والتى تطورت فيها الأحداث بوفاة لويس دى أنجو فى أواخر عام ١٤٣٤ وكان حظا طيبا لألفونسو لأنه توفى عدوه القوى والرئيسى ثم لحقت به الملكة خوانا الثانية والتى توفت فى ٢ فبراير ١٤٣٥م[٩٤].

كان وفاة خوانا الثانية ترك فراغ وثلاثة مطالبين بعرشها أولهما الملك الفونسو الخامس وثانيهما الوريث الذى أوصت به الملكة فى وصيتها دون رينيه Rene (Renato) دى أنجو اخو لويس الثالث وابن دونيا فيولانت دى اراجون والمدعو بالطيب والذى كان آنذاك قد وقع أسيرا لدى فيليب دوق بورجونيا فى أثناء الحرب بينهما، والثالث البابا ابجونيوس الذى رغب فى ضمها إلى أملاك البابوية ولكنه يفتقر للقوة لتأكيد مطالبته وما يعانيه من تمردات وخاصة مع مجلس بازيل basel [٩٥].

وهكذا وصلت أخبار وفاة الملكة إلى الفونسو وهو فى مسينا وبدأ العمل بأن أرسل لجمع قواته وجلب التأييد لمشروعه فى الاستيلاء على نابولى بأن أرسل لجمع أمراء تارنتوم وعقد اتفاق جديد مع ملك قشتالة وحاول التحالف مع البابا ايجونيوس ومع دوق ميلان ولكن البابا أعلن أن تاج نابولى تابعا اقطاعيا للكرسى المقدس، وبهذا معظم خطواته لم تفلح وبدأ الجميع يتكتلون ضده [٩٦]. وحقيقة أن فشل الفونسو فى جمع التأييد لمشروعه لم يثنه عن تنفيذه خاصة وأن مملكة نابولى تعانى من الاضطرابات والانقسامات والوريث حسب وصية خوانا الثانية كان أسيرا .

94- Balaguer, op. cit, p.514 ; Abarca , op. cit , p.199 ; CF . also : Abadia, op. cit, p. 48 ; Tierney, op. cit , p. 501 .

95- Chaytor , op.cit , p. 223 ; thomson, op. cit, p. 120 .

96- Zurita, op. cit, T6, pp. 81-82 ; Cronica lje la coronade Aragon, p. 369 ; CF . alco : Lafuente, op. cit, p. 185 .

والجدير بالذكر أن الملك الفونسو قام فى تلك السنة بنشاط دبلوماسى وتجارى وسياسى كبير رذ أنه عقد ثلاث اتفاقيات مع سلطان مصر، ومع السلطان العثمانى ، ومع امبراطور اثيوبيا.

Cerone , Op. cit , pp. 8-10 .

جمع الملك جيشه ومعه المؤيدين له وخاصة دوق سيساو مع أمير تارنتوم وأخوته دون خوان ملك نافار وهنرى وجمع جيشه المكون من ١٥ ألف مقاتل وتوجه بهم إلى مضيق جاتا Gaeta وحاصر المدينة ، وكان المحاصرين قد أخرجوا من القلعة آلاف من النساء والشيوخ والأطفال والذين عاملهم الفونسو معاملة طيبة ومدهم بالطعام ثم أمر بالقتال مع المدافعين عن المدينة والذين طلبوا النجدة من الجنويين ومن دوق ميلان خاصة بعد تشديد الملك الحصار عليهم(٩٧). وأثناء حصار المدينة علم الملك أن دوق ميلان أرسل أسطوله لينضم إلى أعدائه الجنويين لنجدة المدينة وكان الأسطول الجنوى والميلانى مكون من ١٥ سفينة والأراجونى ٢٦ سفينة وكان القاء بالقرب من جزيرة بونزا Ponza حيث بدأ القتال وكان بكل أنواع الأسلحة وقاد الفونسو القتال بجسارة اعتمادا على شهرة البحرية الكتالونية وإن كان المؤرخ بلجيرا Balaguer تشكك بأن هؤلاء الجنود بحريين وأنهم لايعرفون القتال البحرى، ويبدوا أن ذلك تبرير لما حدث للأسطول الأراجـــونى (٩٨). إذا استمر القتال لمدة ١١ ساعة من مغرب الشمس حتى شروقها تعرض خلالها الملك نفسه للخطر وكان قريب من الموت ولكنه انسحب بسفينته والتى غرقت نتيجة للقصف وأسر حوالى ١٣ سفينة وتحطم الباقى وأسر الملك وأخويه والكثير من النبلاء من جميع اقاليم مملكة أراجون ومنهم أمير تارنتوم ودوق سيسا Sessa مع الكثير من الغنائم وذلك فى أغسطس ١٤٣٥م(٩٩).

وكانت ضربة شديدة أثرت على مملكة أراجون وبحريتها لفترة طويلة وهزت مكانة البحرية الكتالونية والتى اكتسبت شهرة عظيمة على يد روجر دى لوريا وانتصاراته فى عهد بدرو الثالث.

أخذ الملك وأخويه وفرسانه أسرى وبعد تحرير جاتا Gaeta فالأسطول الجنوى توجه حاملا معه أسراه المشهورين إلى جزيرة اشيا Ischia وكان الأميرال Assereto والقواد الجنويين علموا أن دوق ميلان له تأثير على القادة فى جنوة وأنه يجب عليهم أن يذهبوا إليه باسراهم ولكن

97- Balaguer , op. cit , p. 515 ; CF . Also : Chaytor , op. cit , p. 223 ; Abadia , op. cit , p. 48 ; Ventura , op. cit , p. 203 .

98- Blaguer, op. cit loc . cit.

99- Zurita, op. cit , T6 , pp. 93-94 ; Abarca, op.cit , p. 200 , CF. Also : Laduente , op. cit , pp. 186 ; Hill, op. cit, p. 87 .

الأميرال توجه إلى جنوة حتى جاءت إحدى السفن التى تحمل امرا من دوق ميلان بقيادة الأسرى إلى ساونا Saone وحينئذ أمر اسيرتو Asserto قواده بأن كل واحد يختار ما يريد من الغنائم(١٠٠). ثم نقل الملك وأخويه إلى جنوة ثم سلموا إلى دوق ميلان حيث استقبلهم بحفاوة واسكنهم فى قصر خاص وعاملهم ليس كأسرى بل كملك وأمراء حتى أشار المؤرخون إلى أن دوق ميلان فيليب قال للملك أراجون فان (مملكتى تكون مملكتك)(١٠١).

والجدير بالذكر أن هزيمة الملك كانت ضربة قاصمة لخططه وطموحاته فى جنوب إيطاليا وخاصة وأنه قد تحطم الأسطول الأراجونى ذو الشهرة الكبيرة فى حوض البحر المتوسط وكان يعتمد الملك على هذه الشهرة فى ارهاب اعداءه ولكن هزيمته وتحطيم الأسطول جعل الملك فى حالة يرثى لها من الأحباط.

ولكن سرعان ما كانت المصالح وتداخلها تجعل الفونسو يعوض سياسيا حيث نرى من خلال الأحداث أن دوق ميلان لايرغب فى ظهور قوة كبيرة فى شبه الجزيرة الايطالية ولذلك فإنه كثيرا ما بدل مواقفه ويختار الجانب الذى يسطتيع به اعادة توازن القوى الأخرى فى شبه الجزيرة بهدف اظهارميلان وسيطرتها فى شبه الجزيرة فامتلاء شمال ايطاليا بحروب كلها هجوم من ناحية ميلان لتحقيق أطماعها التوسعية ودفاع من ناحية البندقية ، وفلورنسا أملا فى إيقاف هذه الأطماع وذلك فى النصف الأول من القرن الخامس عشر (١٠٢). بالإضافة إلى ذلك أنه كان متخوفا من السيطرة الفرنسية وذلك يفسر تبدل سياسة ميلان سريعا ما بين التحالف والعداء.

وإن كان المؤرخ لافونتى أشار بأن انتصار دوق ميلان جعل البابوية والبندقية يحسوا بخطر ميلان وأن البابا الذى كان قبل ذلك بقليل قد سخط ضد الملك الأراجونى وكل شبه الجزيرة الايطالية أرسل مبعوثا إلى دوق ميلان متوسطا لرد الحرية للملوك الاسبان وذلك خشية من نمو الميلانيين(١٠٣) وإن كان هذا لايقلل من الرغبة لدى دوق ميلان فسواء كان برغبته أم برغبة

100- Balaguer, Op. cit, p. 516 .

101- Lafuente, op. cit , p. 186; Prieto , op . cit , p. 113 ; Ventura, op. cit , p. 203; Ramsey, op. cit, p. 123 .

١٠٢- فشر: تاريخ أوربا، ق٢ ، ص٢٧ .

103- Lafuente, op. cit , p. 18 .

البابوية فإن مصلحة ميلان هى التى دفعته إلى ذلك مع الوضع فى الاعتبار أن وضع البابوية آنذاك كان أضعف من أن يرغم دوق ميلان على إطلاق سراح الملك الأراجونى .

ومما سبق يتضح لماذا عامل دوق ميلان الفونسو وأخوته معاملة طيبة واستقبله كملك ثم أعقبها بعقد تحالف دفاعى هجومى بينهما واطلاق سراح الأسرى ورحل الملك من ميلان بعد تأكيد الصداقة والتأييد من الدوق الذى كان منذ قليل عدوه ضد أعداءه وخاصة الانجويين وحلفاءهم وبالأخص الجنويين [١٠٤]. ومع معاهدة التحالف والصداقة بقى الملك فى منطقة مليئة بالمشاكل والحروب وكان سلاحه التحالف مع دوق ميلان وهذا أمر خطير بالنسبة للجنويين خاصة وإن العداء بينهم محكم بسبب العديد من القضايا وأهمها كورسيكا وسردينيا[١٠٥].

وبعد اطلاق سراحه أمن مملكة أراجون بعقد السلام مع قشتالة . ثم توجه إلى قلعة جاتا Gaeta ، والذى نجح أخيه الأمير بدرو فى الاستيلاء عليها واستولى على عدة قلاع أخرى، وهنا قرر الملك البقاء فى ايطاليا ليلتقى المساعدات من أراضيه فى شبه الجزيرة الايبيرية بالإضافة إلى انضمام بعض النبلاء الايطاليين (النابوليين) إلى جانبه مثل كونت نولا Nola وكنت كاسرتا Caserta [١٠٦].

ولكن ماذا كان وضع الأنجويين بعد وفاة لويس الثالث دى أنجو وكان وريثه رينيه دى أنجو اسيرا - كما أسلفنا- فإن الحزب المؤيد للأنجويين التفوا حول دوقة أنجو ايزابلا دى لورين Is-abella de lorrioune وهى تمتاز بالمهارة والنشاط وعضدت من البابا ايجونيوس الرابع الذى قام بتأييد مطالبها وكانت قد حضرت إلى نابولى لقيادة الحرب ضد الملك الأراجونى وانضم إليها الجنويين والذين بداوا فى البحث عن المساعدة والتحالف من البندقية والبابا ايجونيوس الرابع، وقادت الحروب والاشتباكات المختلفة بالدبلوماسية العسكرية لمدة ثلاث سنوات[١٠٧]،

104- Abarca , op. cit , pp. 201-202 , Cf. Also : Thomson, op. cit , p. 120 ; Ramsey , op. cit , p. 123 .

105- Balaguer, op. cit , p. 519 .

106- Abadtia, op. cit , p. 48; Chaytor, op. cit, p. 224 .

107- Zurita , op. cit , T6. pp. 107, CF . Also : Chaytor, op. cit, p. 224 , Lafuento, op. cit, p. 186 .

كان أهم أحداثها تجمع تحالف بين البابوية والجنويين وقومونات فلورنسا والبندقية على إعداد عدد من السفن لمواجهة الملك الفونسو والذى بدوره دعى أخيه أن يحضر مع الأسطول الصقلى وجمع قواته وبدات المعارك الحربية وكانت فى صالح الملك الفونسو وإن كان أمير تارنتوم قد هزم وأسر فى إحدى المعارك مما دفع الملك الفونسو إلى الاستجابة لمسعى البابوية فى عقد الهدنة ومحاولة الحصول على تأييد البابوية فى التاج النابولى على أنه سيخضع اقطاعيا للبابوية مع عدم تأييده لمجمع بازل ولم يحصل على موافقة البابا[١٠٨] مما دفع الفونسو إلى أن يخرج من كابوا Capue ومع الكثير من البرونات الايطاليين الموالين له بينهم كونت كاسرتا Caserta مع الأسطول الذى أرسل من كتالونيا وبدأ فى الاستيلاء على الأودية والقلاع القريبة من نابولى . واقترب مرتين من أسوار العاصمة وتوجه بعد ذلك إلى أرضى لابور Tierra de Labor ثم استولى فى بدايات عام ١٤٣٧ على بعض المدن والقلاع مثل سالرنو، ووادى سان سفرينو San Severino واشيا Aschia وقلاع أخرى [١٠٩].

أطلق فيليب دوق بورجنيا سراح رينيه دى أنجو بضغط من ملك فرنسا مقابل فدية كبيرة فى عام ١٤٣٨م بعد ثلاث سنوات من الأسر حيث وصل إلى نابولى وانتشر خبر وصوله إلى نابولى فى شهر أبريل سنة ١٤٣٨م وبدأ يجمع أتباعه ليواجه الأراجونيين وأرسل إلى الأمير بدرو يتحداه وبدأت المناوشات بينهما نجح فى خلالها الأراجونيين فى الاستيلاء على إقليم ابــــروزوس Abruzzos[١١٠] وإن كان قد نجح رينيه فى استعادتها والاستيلاء على قلعة ارمــادى Armadi ولكن نجح قائد الأسطول الكتالونى برنارد دى كابريرا Bernarde de cabrera فى أن يحقق انتصارا بحريا ضد الجنويين انتقاما منهم لهزيمته منذ سنوات فى نفس تلك المنطقة [١١١]، وهذا الانتصار جعل الملك الفونسو فى وضع يسمح له بحصار نابولى عن طريق البر والبحر حيث تقدم فى ٢ سبتمبر ١٤٣٨ على الرغم من قلة عدد السفن ووجود مقاومة من

108- Balaguer, op. cit, p. 519 ; Cronica de la corona de Aragon, p. 371 ; CF . also : la-fuente, op. cit, p. 187; Chaytor, op. cit , p. 224 .

109- Zurita , op. cit , p. 144; CF. also : Lafuente, op. cit,p. 187 .

110- Cronica je la corona de Aragon , p. 376; CF . also: Abadia, op. cit , p. 49 .

11- Balaguer , op. cit. p, 521 .

المدينة والتى لم يتوقعها حتى أن الأمير بدرو جرح وتوفى وكان عمره ٢٧ عاما واستمر الحصار مدة ٣٦ يوما ولكن لشدة المقاومة أجبر على رفع الحصار(١١٢).

استمرت العمليات العسكرية بين الأراجونيين والأنجويين فى عام ١٤٣٩م وكانت الانتصارات متبادلة حيث نجح رينيه بمساعدة الجنويين فى حصار قلعة نويبو Nuevo واستولى عليها على الرغم من أن القائد الكتالانى أرنولد سانز Arnaldo قاوم بشجاعة وفى المقابل استولى الفونسو على عدة قلاع وحصون أهمها جافيانا Gaviana وبوميلان Pomilian(١١٣).

أما أعوام ١٤٤٠-١٤٤١ فقد استمرت العمليات العسكرية أيضا ومنها حاول كل منهما اجتذاب اتباع ومؤيدين له من مملكة نابولى فنجد أن سفورزا كان مؤيد - كما هو- للأنجويين فى الوقت نفسه نجح الملك فى اجتذاب تأييد انطونيو كالدورا Antonio Caldora وأتباع بيته دخلوا فى طاعة الملك وشنوا الحرب على سفورزا (١١٤). ونجح الملك فى إخضاع اقليم كالابريا ونجح أيضا فى نهاية عام ١٤٤١ م فى حصار بوزولو Puzzolo حصار محكم لأجل منع وصول المساعدات إليها والقتال كان شديدا ولم تجد بدا إلا من الاستسلام(١١٥).

بعد هذه الانتصارات والاستيلاءات أصبح الوضع مهيئا لحصار نابولى وفعلا توجه إليها الفونسو وحاصرها مما دفع المحصارين ومعهم رينيه دى أنجو إلى مناشدة المساعدة من جنوة وكان كل يوم تزداد فيه السفن الأرجوانية وتقفل المدخل أمام السفن الجنوية (١١٦). وقاوم المحاصرين بنشاط والفونسو بدا يشك فى إمكانية النجاح ولكن بعض الأسرى أخبروا فرديناند بأن هناك طريق مجرى للمياه متفرع من نهر سبتو Sebetho والذى كان يجرى بالقرب من أسوار المدينة إلى المدينة والذى كان جافا فى هذا الموسم(١١٧).

112- Zurita, op. cit , T6, pp. 179-181 ; Cronica de la corona de Aragon, p. 377 .

113- Balaguer, op. cit, p. 23 ; Cronica de la corona de Aragon, p. 378 ; CF. also : la-fuente, op. cit, p. 188 .

114- Zurita , op. cit , T, pp. 225-226, 230-235 .

115- Chaytor, op. cit, p. 225 .

116- Lafuente, op. cit , p. 189 .

117- Zurita , op. cit, T6, p. 255 .

وأخبر فرديناند أبيه الملك وفى يوم الجمعة مساء ١ من يونيو ١٤٤٢م تجمع ٣٠٠ من الفرسان ودخلوا المدينة بواسطة المجرى المائى وتم الاستيلاء على أحد الأبواب الرئيسية وفتحوا للجيش الأراجونى والذى دخل فى ٢ يونيو ١٤٤٢م بعد بضع ساعات من القتل والنهب ودخل الفونسو الخامس المدينة بعد تطهيرها [١١٨]. وحيث كان دخوله مصحوبا باحتفالات مشابهة كما كان يحدث فى القديم من الانتصارات الرومانية حيث دخل على عربة النصر المجرورة بأربعة أحصنة بيضاء وكان أول إجراء له إعطاء وثيقة جديدة لأجل حرية وعظمة نابولى مانحا العفو العام لأجل كل الأعداء القدامى وبدون استثناء بدأ فى تنظيم الأمور فى المملكة[١١٩].

وجدير بالذكر أن هذه الخطوة كانت من أهم خطوات التوحيد بين المنتصرين والمنهزمين مما كان له أكبر الأثر أيضا فى استقرار حكمه وتأسيس قواعد لنفوذ قوى فى حوض البحر الأبيض المتوسط وحقيقة أن الاستيلاء على نابولى تعتبر واحدة من الأحداث الهامة فى النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادى.

أما بالنسبة لرينيه دى انجو فإنه عندما اقتحم الأراجونيين نابولى واستولوا عليها فر إلى فلورنسا ثم توجه إلى البابا أريجونيوس الرابع ليبلغه بالكارثة ، والبابا لأجل تهدئته أعطى له تقليد (غير مفيد) لمملكة نابولى والشئ الوحيد الذى حمل رينيه على الاتجاه إلى بروفنسيا كان ليجمع جيشا يستطيع به إخراج الأرجوانيين [١٢٠].

وفى الوقت نفسه أسرع الملك ألفونسو بالاستيلاء على قلعة كابوا Capua وهزم انطونيو كالدورس دوق بارى والذى كان قد تمرد على الفونسو بعد أن كان قد دخل فى طاعته ثم أخضع أبروزو وقلعتى سان تلم Sa Telm والتى كانت ملكية خاصة له[١٢١].

أعلن البابا عدم شرعية استيلاء الفونسو على نابولى وهدد باعلان قرار الحرمان الكنسى وإن امتلاكه لنابولى وصقلية وكورسيكا وسردينيا غير شرعى مما دفع الفونسو والذى وجد أن أكبر عدو له هو البابا إيجونيوس الرابع ولذلك أعلن تأييده لمجلس بازل وأن البابا فليكس الخامس (الزائف) منحه مملكة نابولى[١١٢].

118- Balaguer , op. cit, p. 2 .

119- Lafuente , op. cit , p.189 .

120- Ballaguer, Op.cit , p. 2 .

121- Zurita, op. cit, T6, pp. 258-268 , CF . also : Abadia op. cit, p. 49 .

122- Chaytor , op. cit , p. 225 .

وجدير بالذكر أن البابا قام بمحاولة مع الملك الأرجوانى لعقد السلام العام فى إيطاليا لأن كلاهما ينشدونها ولديهما كثيرا من الأسباب.

فالأول: بعد هذه السنوات الطويلة من الحرب فقد الكثير من الأقاليم الكنسية والثانى يريد تأكيد امتلاك مملكة نابولى وإنهاء الاضطرابات بين المدن الإيطالية [١٢٣].ولذلك وجد البابا من خلال الظروف الجديدة سياسة الأمر الواقع وتفادى إجراءات الفونسو ضد البابوية وخاصة مجلس بازل أنه من الأفضل الاعتراف بشرعية ملكية ملك أراجون لتاج نابولى وأرسل إليه مبعوث هولويس بطريرك اكيلا والذى تقابل مع الفونسو فى تراسينا Terracina وبعـــد مداولات اتفق على اتفاقية كان من أهم بنودها أن يعترف الملك الفونسو بايجونيوس الرابع كبابا حقيقى وعدم تأييد مجلس بازل وإتباعه الاكليركين وأن يقدم فى الوقت نفسه (الملك الفونسو) ست سفن لأجل الأسطول المعد ضد الأتراك الذين أصبح خطرهم كبيرا على القسطنطينية وبلاد اليونان وإيطاليا فى مقابل الاعتراف بالفونسو كملك على نابولى ووقع الاتفاق فى ٦ يوليو ١٤٤٣ أعقبها بإعلان ابنه فرديناند دوقا لكالابريا وكخليفة له فى حكم مملكة نابولى[١٢٤].

ولم يكن السلام ممكنا بين الأقليم ما لم يوقف الأمراء والبارونات الإيطاليين من أثارت المشاكل وإرباك الملك الأرجوانى[١٢٥] ويبدو أن الاتفاق مع البابوية استلزم أن يقوم الفونسو الخامس بمشروع لغزو إقليم لاماركا La Marca وهو اقليم تابع للبابوية وكان مستولى عليه من قبل سفورزا العدو التقليدى للملك الفونسو والذى نجح فى الاستيلاء عليه[١٢٦]. وعلـى الرغم من محاولة دوق ميلان منعه من ذلك ومحاولة عمل تحالف جديد مع البندقية وفرنسا وبولونيا ضد مشاريع الملك[١٢٧]. وأيد المتحالفين سقورزا الذى استمر فى الحرب لمدة عام كان قد اكتسب فيها النصر وتمكن من أن يسترد معظم الإقليم المتنازع عليه[١٢٨].

123- Lafuente, op. cit , p. 190 .

124- Balaguer, op. cit, p. 526 ; Cronica de la corona de Aragon, p. 384 ; CF . Also : Masia, op. cit , p. 227 .

125- Lafuente, op.cit , p. 190 .

126- Zurita , op. cit T6, pp. 281-287 ; Cronica de la corona de Aragon, p. 385 ; CF. Also : Lafuente, op.cit, loc cit .

127- Chaytor , op.cit, p. 226 .

128- Ibid, p. 228 .

انشغل الملك الأراجونى أيضا فى حرب ضد ماركيز كاترون Catron والذى كان قد تمرد عليه حيث استولى الفونسو على أملاكه وحاصر الماركيز وزوجته فى قلعتهم كاتانزار Catanzaro واللذان استسلما فى النهاية وأرسلهم إلى نابولى حيث عاشوا كثيرا من السنوات بائسين(١٢٩).

بدأ نجم الملك الفونسو الخامس يسطع فى شبه الجزيرة الإيطالية لما حققه إنذاك كان له أكبر الأثر فى إزدياد مكانته ونفوذه حيث فى سنة ١٤٤٤م استقبل سفارة من جنوة تطلب الصداقة والحماية وليسحب تأييده لأعداء جنوه ويحدد الامتيازات التجارية والتى كانوا يتمتعون بها تحت رعاية ملوكهم(١٣٠) وهكذا كانت جنوة العدو التقليدى لأراجوان لم تجد بدا إلا من التسليم بواقع الأمر فى جنوب إيطاليا.

وفى الوقت نفسه كان أمير البوسنة فويفادو Voivado والذى قد اعترف بسلطة الفونسو الخامس مع دفع الجزية الاقطاعية وعقد تحالف ضد البندقية (١٣١).

والجدير بالذكر أن امتداد سلطة الملك الفرنسو الخامس إلى البلقان كانت خطوة هامة جعلت منه إحدى القوى الهامة فى إيطاليا بل أهمها على الإطلاق نتيجة لامتلاكه جنوب إيطاليا نابولى مع صقلية وسردينيا وكورسيكا حتى بدأ البحر المتوسط بحيرة إرجوانية لأنه لاتوجد مملكة إنذاك تملك ما ملكته مملكة أراجون خارج أراضيها .

ومن النقاط الهامة أن ألفونسو الخامس جعل من بلاطه فى نابولى مركز الامبراطورية الاراجونية وواصل طموحاته لفرض سيطرته على البلقان واليونان والقسطنطينية وفلسطين، كما أنه وجد هذه السياسة لحفظ وزيادة الأسواق الشرقية لرعاياه (١٣٢).

ومن ثم أقدم الملك ألفونسو الخامس على خطوة هامة لتأكيد سيطرته على نابولى وتوطيد الحكم وخاصة لخليفته ابنه فرديناند فقام بتزويجه من إيزابيلا دى كلارمونى Isabel de Claramonte ابنة أخ أمير تارنتوم(١٣٣). مما أعطى شرعية لحكم خليفته.

128- Ibid, p. 228 .

129- Zurita , op. cit , T6, p. 309; CF. also: Lafuente, op. cit, loc. cit .

130- Chaytor, op. cit, p. 226 .

131- Peres, op. cit, p. 18 , Prieto, op. cit, p. 105; badia, op. cit, p. 50 .

132- Ventura, op. cit, p. 203 .

133- Zurita, op. cit, T6, pp. 304-305 .

كان عام ١٤٤٧م هو عام تطورات هامة طرأت على إيطاليا أهمها ثلاثة حوادث الأول هو وفاة البابا إيجونيوس الرابع فى ٣٢ فبراير سنة ١٤٤٧م واختير لمنصب البابوية البابا نيقولا الخامس الذى كان يطمح ومحبا للسلام(١٣٤). والثانى هو دخول العدو التقليدى لملك أراجون فرنسيسكو سفورزا فى طاعة الملك (١٣٥). ثم الحدث الثالث وفاة دوق ميلان فيليب ماريا فيسكونى والذى أوصى بوراثته للملك الفونسو الخامس لأنه لم يترك أولاد وقد ترك فقط مدينته وأراضى كرمونا Cremona لابنته الشرعية بلانكا زوجة الكونت سفورزا(١٣٦). وإن كان ذلك معناه إندلاع الحرب بين الفونسو وسفورزا الذى طالب بدوقيه ميلان لأنه زوج الابنة الشرعية لدوق ميلان والوريث له.

وجدير بالذكر أنهما ليس فقط المطالبان بهذا الحكم بل كان هناك ثلاثة مطالب آخرين وأولهم الامبراطور الألمانى الذى يطالب على أساس أنه امبراطور لهذه المناطق والثانى شارل دى أورلينز orleans والذى يعتبر نفسه وريثا من خلال أمه فيولانت فيسكونتى والثالث أرملة دوق ميلان وهى الدوقة النبيلة ابنة امادوس الثامن Amadeus VIII وبواسطة تأثير أخوها لويس دوق سافوى Savoy والذى كان يهدف إلى أن يصبح من خلال أخته دوقا لميلان وكان قد اعترف به من ملك فرنسا . كان سفورزا قد تفاوض مع البندقية لأجل تأييده والتى كانت تخشى طموحات كونت سافوى وكانت أورلنز اللذان قد تحالفا مع الملك الفونسو الخامس(١٣٧) فقد كانت المعارضة الحقيقية لوراثة الفونسو لدوقية ميلان ليس من جانب فرنسيسكوا سفورزا فقط بل من كل الامارات والدوقيات الايطالية لأن معنى تملكه لدوقية ميلان ازدياد نفوذه وبالتالى سوف تزداد قوته مما يمثل أكبر الخطر على مصالح دول إيطاليا.

يوضح ما سبق أن الجمهورتين على سبيل المثال البندقية وفلورنسا يحثون النبلاء على الثورة ضده ولذلك صمم الملك على مواجهة أعداء وقام بالحرب ضد الفلورنسيين لكونهم

134- Lafuente , op. cit , p. 190 .

135- Zurita, op. cit, p. 375 .

136- Balaguer, op. cit, pp. 531-532 ; CF.Also : Abadia, op. cit,p. 50 .

كان سفورزا قد تزوج من بلانكا ابنة دوق ميلان سنة ١٤٤٠م.

Zuruta, op. cit, T6, p. 223 .

137- Hill, Op. cit, pp. 87-88 .

أقرب المجاورين ولتقسيم اقليم لومبارديا معهم (١٣٨). ثم التحالف الذى تم بين قومون ميلان ضد جمهورية البندقية المؤيدة لسفورا ضد الفونسو فقد كانت البندقية ترى أن دوقية ميلان أشد منافسيها خطرا معظم النصف الأول من القرن الخامس عشر (١٣٩).

وقام الملك الفونسو أيضا بمهاجمة توسكانيا وخاصة ضد إقطاعية رينالدو دى اورسينوس Rwnaldc de Ursinos سيد بومبلس Pombles ونجح فى الاستيلاء على بعض القلاع وخاصة وأن رينالو كان متحالفا مع الفلورنسيين ضد الملك الفونسو وكان ذلك عقابا له(١٤٠). وتتابعت أحداث الحروب حيث وصل سفراء من قومون وميلان يناشدون الملك الفونسو حمايتهم ويترجوه أن يتوجه بجيشه إلى منطقة بادوا Paduo لعمل حرب فى لومبارديا وعرضوا عليه المساعدة فى ذلك ووافق الأرجوانى على العرض ووعد بأن يتوجه بجيشه إلى حقول بادوا على شرط أن كل ما يفتحه من نهر ادد Addحتى مدينة فينسيا سيكون لأجله ومن نهر ادد حتى ميلان لقومون ميلان(١٤١). وأرسل الفونسو إلى الميلانيين نجدة من أربعة آلاف فارس للدفاع عنها واستمرت حروبه ضد أعدائه وخاصة الكونت سفورزا المطالب بعرش ميلان والمؤيد من قبل البندقية وكان الحزب المؤيد لألفونسو والمعارض لكونت يعاونون الفونسو فى هذه الحروب وتطورت الأحداث سريعا وبعد استمرا الحروب والمناوشات وتوصل الملك إلى عقد اتفاقية سلام مع جمهورية فلورنسا ومع اقطاعية بومينيو Piombinio على أساس أن يدفعوا للملك فى كل عام ٥٠٠ دوفقية من الذهب (١٤٢).

١

138- Lafuente, op. cit, p. 191 .

١٣٩- فشر: نفس المرجع والجزء، ص٤١٩-٤٢٠ .

140- Zurita , op. cit , T6, pp. 396-398 , CF . alsp : Chayrtor, op. cit, p. 329 .

141- Lafuente, op. cit, pp. 191-192 .

وقد صور المؤرخ فشر أوضاع الحروب فى إيطاليا بقوله « أصبحت إيطاليا خليطا من المدن المستقلة والقومومانات التى ركب كل منها متن الأثرة والاستمساك مع الشطط العام فى سبيل فرديتها وأطماعها التجارية الخاصة وأهدافها السياسية الجامحة لذا شنت هذه الدول المتنافرة اتفه الحروب وعقدت ادنا المحالفات حسبما تمليه منافعها الانية الطارئة ولم تتردد الواحدة منها يوما فى التحول عن موقف إلى نقيض من المواقف كلما احست بتغيير فى تيار الحوادث، وفى هذا المحيط الطافح بالمنافسات الحارة والمخالفات المنظرية علا نجم مدينة من المدن ثم هوى بين عشية وضحاها فبينما هى ممتطية ذروة القوة والمجد إذا بها مترديه فى حضيض الهوان. فشر : نفس المرجع الجزء، ص٤١٩-٤٢٠ .

142- Laduent , op. cit , p. 9 .

واستمرت الحروب ثلاث سنوات نجح سفورزا فى نهاية الأمر فى دخول ميلان ٤٢ سبتمبر ١٤٤٩ وفلورنسا انضمت إلى البندقية فى تأييده وكان أعداء سفورازا دوق سافوى والفونسو الخامس قد تحالفا ضده وكانت فلورنسا المؤيده لسفورزا قد دعت شارل السابع ملك فرنسا لكى يدخل بثقله لتأييدهم ضد الفونسو الخامس. وأصبحت إيطاليا مسرحا لتدخلات إنجلترا وفرنسا والأمبراطورية.

وضعت نهاية للحرب بين سفورزا والملك الفونسو عام ١٤٥٠م وعقدت معاهدة تحالف بينهما وكان ذكاء منهما وعقد السلام مع فلورنسا ثم مع مدينة البندقية وكان ذلك بواسطة تدخل البابا نيقولا الخامس (١٤٤).

وجدير بالذكر أن سيطرة الملك الفونسو الخامس خارج إيطاليا قد توطدت أيضا فى البلقان بعقد الاتفاقيات مع دمتريو Denetrio ملك رومانيا وكثير من الأمراء فى تلك المنطقة وخاصة البانيا فى ١٤٥١(١٤٥) وأصبح من مسئوليات الملك ألفونسو الدفاع عن تلك المنطقة ضد الخطر العثمانى عليها ولذلك قام بما توصى له مسئولياته ف عام ١٤٥٢م بإرسال سفارة إلى أثيوبيا وإلى الامبراطورية البيزنطية وحاكم طرابيزون وكل ذلك لأجل محاولات ومشاريع تشكيل تحالف ضد الخطر العثمانى(١٤٦).

وجدير بالذكر أن الحدث الجلل والذى جعل النزاعات تهدأ إلى حد ما كان الخطر التركى العثمانى على شرق أوربا والذى بدأ يظهر من أوائل القرن الخامس عشر والذى وصل إلى ذروته بحصار القسطنطينية لمدة شهرين ١٤٥٣م .

143- Hill, Op. cit, pp. 89-90 .

144- Balaguer, op. cit, p. 534 ; CF. Also: Chaytor , op. cit, p.229 .

145- Zurita, op. cit, T6, p. 430 .

١٤٦- كانت هناك محاولات من الفونسو الخامس منذ سنة ١٤٣٠م عندما عقد اتفاقية محالفة ضد العثمانيين ومعاهدة تجارية مع الملك الاشرف برسباى المملوكى وأيضا فى سنة ١٤٤٠م وضع حمايته على جزيرة رودس أمام الهجوم التركى وكان الفونسو يؤكد علاقاته بمصر وزثيوبيا وتونس لأنه يعتقد أن القوة الضرورية لإيقاف الخطر فى آسيا لأجل انقاذ الامبراطورية البيزنطية الضعيفة وأيضا فى نفس عام (١٤٤٠) ساعد حاكم البوسنة ضد الأتراك.

Abadia, op. cit, pp. 45-46 , Peres, op. cit, pp. 18-19 ; Ventura, op.cit, p. 203 , Cierione, op. cit, p. 5 .

ودعوة البابا لنجدة القسطنطينية مما دفع الفونسو الخامس إلى إعداد أربع سفن أرسلها لنجدتها ولكنها وصلت بعد سقوط القسطنطينية ٢٩ مايو ١٤٥٣م(١٤٧).

ولا جدال فى أن الخطر العثمانى جعل شرق أوربا يدرك الخطر والفزع وضرورة توحيد القوى ضد هؤلاء الأتراك مما جعل الأمور تهداء بين المتنازعين وعمل البابا على تأكيد السلام العام لمقاومة الخطر التركى وعقد السلام فى ٢٩ إبريل ١٤٥٤م فى لادى ١٤٥٤م وقع اسياد ودوقات إيطاليا فى اتحاد كونفدر إلى للدول الإيطالية لفترة عشرون عاما وأنضم إلى هذا التحالف الملك الفونسو ٢٦ يناير ١٤٥٥م(١٤٨). مما دعا البابا إلى الوعظ بأحدى الحملات الصليبية ، ودعا الفونسو الخامس للإشتراك فيها(١٤٩).

والجدير بالذكر أن حكم الفونسو الخامس لنابولى فى جنوب ريطاليا كان علامة مضيئة فى تاريخ إيطاليا والتاريخ العالمى حيث كان بلاطه رواق لنهضة شاملة كانت لها تأثير كبير فى النهضة الايطالية والتأثير الحضارى الاسبانى فى جنوب إيطاليا. ونجد أن الكثير من المؤرخين يطلقون عليه الفونسو العالم مثلما أطلقوا هذا اللقب من قبل على الفونسو العاشر ١٢٥٢-١٢٨٤م (ملك قشتالة وليون.

وهكذا نجح الملك فى تكوين إمبراطورية أرجوانية فى حوض البحر المتوسط من خلال تأكيد نفوذه وسيطرته على سردنيا وكورسيكا وصقلية وختمها بجنوب إيطاليا والتى تعتبر نقطة

147- Zarita, op. cit, T7, pp. 72-73 ; Balaguers, op. cit, pp. 540-541 , CF. Also : thermoson, op.cit, pp. 116-117 .

هايد: تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ج٣، ترجمة أحمد رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤، ص١٧٣ .

148- Zurita, op. cit, T7, pp. 74-75 ; CF . also : Abadia, op. cit, p. 50 ; Chaytor, op. cit, p. 230 ; Brady, Op.cit, pp. 337-338 .

149- Masia, Op. cit, p. 228 , Cerone, op. cit, p. 28 .

150- Pelay, op. cit, pp.61-64 .

وعن النهضة الايطالية ودور الفونسو الخامس انظر:

Thorndiko L: Medieval Eurpoe Its development Y civilization , London (W.D), pp. 561-562 .

تحول كبيرة فى تاريخ البحر الأبيض المتوسط كان له أكبر الأثر فى إنطلاق مملكة أراجون بعد اتحادها مع مملكة قشتالة فى فرض سيطرتها العالمية على العالم الجديد والقديم وأصبحت اسبانيا أقوى دولة فى العالم إنذاك خاصة القرنين السادس والسابع عشر الميلادى.

والجدير بالذكر أن هذا النفوذ السياسى كان مقدمة للنفوذ الاقتصادى والذى أدى إلى قوة اسبانيا المتحدة ولاجدال أن كل تحركات الفونسو الخامس وكل من سبقه من ملوك أراجون كانوا يسعون إلى إيجاد دور لمملكة أراجون بل الحرص على تعدى ذلك إلى السيطرة الرئيسية على التجارة بين الشرق والغرب حيث وجدت وكيف أن هذه التجارة أدت إلى إزدهار المدن التجارية الإيطالية التى سبقتها ولذلك نجد دائما سياسة مملكة أرجوان فى عقد معاهدة صداقة وتجارة مع معظم القوى الشرقية وخاصة دولة المماليك -كما أشرنا- ولذلك كان هذا الهدف هو الذى جعل مملكة أرجوان تؤمن هذه التجارة والعمل على توسيعها وتقويتها من خلال إنشاء مراكز ونقاط ارتكاز لهذه التجارة وخاصة فى سردينيا وكورسيكا وصقلية وجنوب إيطاليا وفى الوقت نفسه من خلال نقاط هذه الارتكازات تكون مراقبة وتضيق دور الجمهوريات الايطالية فى هذا المضمار.

ونجد أن كثير من المؤرخين أشاروا إلى أهمية حكم الفونسو الخامس كشاب نجح فى سياسته الخارجية ووظف سنوات شبابه لهذا الغرض.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

1- Abarca , p: Segunda Parte de los A nales Historicos de los Reyes de Aragon, Salamanca 1684 .

2- Alarcon Y Santon : Los documentos Arabes diplomaticos del Archivo de la corona de Aragon , Madrid 1940 .

3- Balaguer (V) : Historia de cataluna corona de Aragon , T3. Barcelona 1862 .

4- Cronica de la corona de Aragon Zaragoza ano, 1919 .

5- Declot, (A) L Chronicle of the Reign of king Pedro III of Aragon , A.D 1246-1285, un .Press 1928 .

6- Zurita (J) : Anales de la corona de Aragon T, 5-6-9 , Zaragoza 1980.

قائمة المراجع الأوربية :

1- Abadia (J.L): La corona de Aragon en el Medditerraneo Medieval 1229-1479 Zaragoza 1979 .

2- Aguero, (M.S: Historia de Espana TVI , Madrid 1978 .

3- Ametller, (J) : Alfonso V de Aragon en Italia y la crisis Religiosa del siglos XV, T1, Gerona 1903 .

4- Bradg, (T.A) : handbook of European History 1400-1600 , New York 1994 .

5- Cerone, (F) : La Politica exterior de Alfonso V de Aragon, Barcellona 1904 .

6- Chapman, (C.E) : Ahistory of Spain, New York 1931 .

7- Chaytor , (H.J) : Ahistory of Aragon and catalonia , New York 1962 .

8- Guinta, (F): Aragoneses Y catalanes en el Mediterraneo Barcelona 1989 .

9- Hill, (D.J) : A history of diplomacy in the International development of Europe, vol 2, New York 1919 .

10- Hillgarth (J.N) : The Spanish Kingdoms, vol2, 1250-1516 , Oxford 1978.

11- Lafuente , (M) Historia general de Espana T2, Barcelona 1879 .

12- Martin (J,N) Historia de Espana , T3, Barcelona 1982 .

13- Masia, (A) : Untroduccion a la Historia de Espana, Bacelona 1943 .

14- Orsalti, (RR.) tratado de entre Alfonso V de Aragon El Sultan de Egipto , Almalik Al- Asraf Barasbay Al- Andalus, vol IV 1939 .

15- Pelayo, (M.M) Historia de Espana, Seleccionada de Espana, Madrid 1950 .

16- Peres, (J-P) : La Politica exterior de Alfonso V, Separata de Homenaje Alfonso El Mognanimo Valencia 1945 .

17- Prieto Yllovera : Politica Aragonesa Africa Hasta muerte de Fernande El- catolico , Modrid 1952 .

18- Ramsey , (J.F) Spain The Rise of the First World Powr un. of Alabama Press 1977 .

19- Renciman : (5) the Sicilion Verpers cam. 1958 .

20- Roca , (V.S) : la corona de Aragon en el mundo Mediterraneo del Siglo XIV , tirado Aparte del VIII congreso de historia de la corona de Aragon, T2 , vol III, valencia 1973 .

21- Salavert , (V): La pretendido traicion de jaime II de Aragon contra sicilia y los sicilianos, Estudion de Edad media de la corona de Arago, vol VII Zoragoza 1962 .

22- Santaaria (A) la Reconquista de las vias Mariticmos , la Peninsula Iberica y el Mediterraneo Centro occidenatal Siglo XII - XV Barcelone 1980 .

23- Setton : A History of the crusade , pennsy vania 1962 .

24- Thomson, (J) : popes and Princes 1417-1517 , London 1780 .

25- Thorndike, (L): Medieval Europe Its developmanty civilization London (W.d) .

25- Tierney , (B) : Western Europin Middle Ages 300-1475, New York 1998 .

27 - Ubieto y otros: Introduccion a la historia de Espana, Baracelona 1963.

28- Ventura (J) L Historа de Espana, Barcelona 1976 .

29- Watts : (H.E) Spain, London 1893 .

ثالثا : المراجع العربية والمترجمة:

١- أحمد دراج (دكتور) ، المماليك والفرنج، القاهرة ١٩٨٠ .

٢- سعيد عاشور (دكتور) ، أوربا ف العصور الوسطى، ج ، القاهرة ١٩٧٥ .

٣- الطاهر مكى (دكتور) معاهدة تجارية من القرن الخامس عشر من سلطان مصر وملك أراجون ، المجلة العدد ٤٦ لسنة الخامسة ، يناير ١٩٦١ .

٤- فشر : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى: القسم الثانى> دار المعارف ١٩٦٩ .

٥- محمد عبدالله عنان: مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٦٩ .

٦- هايد: تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ج٣ ، ترجمة أحمد رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ .



(٦)

الدراسات الحديثة فى الربع قرن الأخير عن البرتغال فى العصور الوسطى

مقدمة :

نتناول فى هذا البحث الدراسات الحديثة فى الربع قرن الأخير عن البرتغال فى العصور الوسطى.

ونقسم الدراسة إلى أربعة أقسام:

الأول : الدراسات المباشرة عن تاريخ البرتغال.

الثانى: الأبحاث العلمية التى ألقيت فى المؤتمرات التاريخية ونشرت فى مجلات علمية عن تاريخ البرتغال .

الثالث: الدراسات التاريخية عامة عن شبه الجزيرة الايبيرية أو دراسات تخص من ضمنها تاريخ البرتغال فى العصور الوسطى.

رابعًا : قائمة ببعض المؤلفات التاريخية عن البرتغال.

وسوف نحاول أن نوضح محتوى المادة العلمية وكل دراسة.

ونتناول أهمية هذه الدراسة وما تتميز به من جوانب علمية وتقييمنا للمادة العلمية حسب ما يتوافر لنا خاصة وأن بعض هذه الدراسات قد حصلنا عليها من الإنترنت والتى أعطتنا بعض المعلومات وليس كل المادة العلمية الخاصة بالدراسة.

وقد اعتمدنا على الدراسات التى حصلت عليها من قبل فى سفريات إلى إسبانيا والبرتغال بالإضافة إلى الانترنت الذى أمدنا ببعض هذه الدراسات والجامعة الأمريكية بالقاهرة.

أولا: الدراسات المباشرة عن تاريخ البرتغال:

تاريخ البرتغال

Historia de Portugal.

Joaguim verssimo Serrao

vol 1-1080-1415 Lisboa 1976 .

والمؤلف باللغة البرتغالية ولزعيم المؤرخين البرتغاليين ورئيس الأكاديمية التاريخية البرتغالية.

ويبدأ باستعراض جذور البرتغال بداية من الفتح الإسلامى لشبه الجزيرة ثم تتطرق إلى اسم كلمة برتغال وأصلها ويتعرض لحركة الاسترداد المسيحية فى القرن العاشر مع التركيز على نشاطها فى أراضى البرتغال، ويتحدث عن فتح قلمريه ١٠٦٤ م وتكوين كونتية البرتغال.

أما عن الجزء الأول من المؤلف وهو تعريف الدولة من ١٠٨٠-١٣٠٠م ويتعرض فى الفصل الأول لسكان البرتغال فى القرن الحادى عشر ثم فتوحات الفونسو السادس واهتمامه بكونتية البرتغال وتعيين الكونت هنرى البورجونى زوج ابنته الغير شرعيه تريزا كونتا على البرتغال ثم وفاته ١١١٢م وتوليه تريزا الحكم كوصية على ابنها الفونسو هنريكز واستعراض أحداث حكمها .

ثم يبدأ فى الحديث عن بداية حكم الفونسو هنريكز وسياسته العسكرية من ١١٢٨-١٢٣٨ فيتعرض لغزواته ومعاركه الحربية بداية من معركة ساو ما مدى Sao mamde ضد أمه وانتصاره عليها ثم الحديث عن سياسته الاستقلالية ضد مملكة قشتالة وليون واتفاقية سمورة Zamora ١١٤٣م وأهميتها .

ويواصل الحديث عن حركة الاسترداد المسيحية والحروب الصليبية فى غرب البرتغال وأهمها الاستيلاء على شنترة وشنترين ولشبونه واستعان فى الأخيرة بحملة صليبية والاستيلاء على قلاع أخرى.

والجدير بالذكر اهتم بالحديث عن خيرالدو سيمبافور Gereldo Sempavor المغامر البرتغالى الذى شبه بقصة السيد الكمبيادور فى أسبانيا والذى اعتمد عليه كثيرا الفونسو هنريكز فى شن الحملات ضد القلاع والمدن الإسلامية لمهارته وكفاءته العسكرية وإتقانه الحيل

والخدع العسكرية وقد اعتمد المؤلف فى ذكر أخباره عن المصادر الإسلامية والتى أشارت إلى تكتيكاته الحربية اعتماداً على ابن صاحب الصلاة (فى كتابه المن بالإمامة) وهو المؤرخ المعاصر والمشارك فى أحداث الفترة آنذاك مع الموحدين.

ثم يتطرق إلى عهد سانشو الأول ملك البرتغال ابن الفونسو هنريكز وأهم الأحداث فى عهده وعلى سبيل المثال استيلائه على مدينة شلب فى ١١٨٩م واسترداد الموحدين لها ١١٩١م ومن الجوانب الحضارية تعميره للقلاع والمدن التى تم الاستيلاء عليها من قبل أبيه ولذلك اشتهر فى التاريخ بلقب Povadar (المعمر).

ويوالى الحديث عن الفونسو ملك البرتغال وأحداث عصره ويتوالى فى ذكر ملوك البرتغال وأهم أحداث عصرهم حتى عام ١٤١٥ وهو العام الذى احتلت فيه البرتغال مدينة سبتة على يد خوان الأول ملك البرتغال ١٣٨٥-١٤٣٣م وهو يعتبر عام بداية التوسع البرتغالى فى خارج شبه الجزيرة وامتداد نفوذها.

والجدير بالذكر أن هذا المؤلف من أهم المؤلفات عن تاريخ البرتغال حيث يتصف بالعمق والدراسة التحليلية التعمقية لتاريخ البرتغال وصاحبه من أشهر مؤرخى البرتغال وقد اعتمد على الكثير من الوثائق والمصادر البرتغالية الأصلية ويعتبر مرجع ثبت فى تاريخ البرتغال ولاغنى لأى باحث فى تاريخ البرتغال عن الرجوع والاستفادة بهذا المرجع العام.

تاريخ البرتغال:

Historia de Portugal

Jose mattoso vol 2 , (1096-1325) vol 1 .

Circulo de leitores 1993 .

ويبدأ فى الحديث عن تكوين الأمة البرتغالية فى القرن الحادى عشر وبداية الشعور بالاستقلال بعد وفاة الملك الفونسو السادس ١١٠٩م ويتناول الحديث عن محاولات هنرى البورجونى فى الاستقلال بكونتيه البرتغال بعد وفاة الفونسو السادس والصراع والحروب الأهلية التى نشبت فيها وخاصة ضد أطماع أوراكا ملكة قشتالة وليون والسياسة الماهرة التى اتبعها الكونت هنرى البورجونى ثم زوجته دونيا تريزا التى خلفته فى الحكم ١١١٢م كوصية على ابنها الفونسو هنريكز واستمرت على نفس سياسة زوجها حتى ١١٢٨م ويتعرض بالتفصيل عن كيفية انتقال حكم قشالة وليون والبرتغال إلى أيدى الفرنسيين حيث كان

الفونسو السادس قد تزوج من كونستانس البورجونية (فرنسا) مما جعل بلاطة يغص بالفرسان الفرنسيين وحيث أنه ابنه الوحيد سانشو قد توفى فى معركة أقليش ١١٠٨م فتزوجت أوراكا من ريموند البورجونى والذى أنجب الفونسو ريمونديز السابع والذى سيخلف والدته فى حكم قشتاله وليون، أما البرتغال فإن هنرى البورجونى تزوج من تريزا الابنة الغير شرعية وولاه حكم كونتيه البرتغال والذى أنجب الفونسو هنريكز .

ثم يتناول الحديث عن هنرى وكفاحه ضد المرابطين حيث كان مشغولا فى ١١١٠م فى الصراع بين الملكة أوراكا وزوجها الفونسو المحارب ملك أراجون وتحالف هنرى مع الفونسو المحارب ضد أوراكا .

ويشير إلى أحداث ١١١١م اشتباك هنرى مع المسلمين دفاعا عن أراضيه حتى وفاته فى أبريل ١١١٢م ثم الحديث عن التنظيمات الداخلية فى كونتية البرتغال .

وينتقل إلى الحديث عن دونيا تريزا وحكمها مقسما الحديث عنها من ١١١٢م حتى ١١١٦ م ومن ١١١٦ حتى ١١٢١ م وما تعرض له فى هذه السنوات وخاصة حملة على بن يوسف المرابطى على أراضى البرتغال وحصاره لمدينة قلمرية وفشله فى الاستيلاء عليها ثم الحديث عن الفترة ١١٢١-١١٢٨م وأحداثها وخاصة بينها وبين ابنها الفونسو وهنريكز وانتصاره على أمه فى معركة ساومامدى Saomamede واعتلائه للحكم .

والجدير بالذكر أن هذا المؤلف يعتبر من أهم مؤلفات تاريخ البرتغال حيث اهتم بابراز جوانب تكوين واستقلال مملكة البرتغال ويتناول تاريخها السياسى والاقتصادى والاجتماعى محللا ومعلقا على معظم أحداثها وتمتاز كتابته بالعمق والتحليل والموضوعية فى نفس الوقت واعتمد على الوثائق والمصادر البرتغالية ويتسم بالنظرة الحيادية فى الكتابة خاصة عند الحديث عن العلاقة مع مملكة قشتالة وأراجون حيث كانت المصادر القشتالية فى كتابتها متحيزة إلى مملكة قشتالة وليون ضد البرتغال وهكذا المصادر البرتغالية.

وهناك دراسات عديدة للمؤلف ومنها :

البرتغال فى العصور الوسطى

Portugal Medieval
Jose Mattoso
Coimbra 1984

والمؤلف باللغة البرتغالية.

والدراسة تتحدث عن تاريخ البرتغال فى العصور الوسطى أنه يستعرض تاريخ البرتغال منذ الجذور الأولى تحت حكم المسلمين ثم استرداد المسيحيين لهذه الأراضى ويستعرض التاريخ المعروف للبرتغال ولكن يمتاز هذا المؤلف أنه يركز على دراسة جوانب تاريخ البرتغال الاجتماعى والاقتصادى وخاصة طبقات المجتمع ونظم الإدارة.

فمثلا يتحدث فى فصل كامل عن النبلاء البرتغاليين بداية من ص١٧١ ويتحدث عن دورهم فى النظام السياسى والنظام الاقطاعى آنذاك وكيف أن الملكية كانت عمادها فى الحكم على النبلاء. ودورهم فى التنظيمات الإدارية. ودورهم المعاون للملكية البرتغالية ويستعرض بعض الأسر المشهورة من النبلاء وأدوارهم فى تاريخها.

Jose Mattoso

والجدير بالذكر أن المؤرخ خوسية ماتوسو من المؤرخين البرتغاليين المتعمقين فى دراسة تاريخ البرتغال وعلى سبيل المثال نورد بعضها :

1- D. Afonso Henriques in Narrativas dos Liveros de Linhagens . Lisboa Imprense nacional (col) Bibblioteca de Autores portugueses 1983, 38-82 .

2- "Dois Seculos de vicissitudes Politicas" in historia de Portugal , circulo de leitores 1993, pp. 23-164 .

3- Identificacao de um Pais. E nsaio sabre as origens de portugal 1096-1325. lisboa 1988 .

4- A nobreza Medieval Portuguesa Lisboa Estampa 1994 .

5- Ricoa Homens infancoes cavaleiros Anobreza medieval Portuguesa nos Seculos XI e XII , Lisboa (col Historia e Ensaios N2) 1989 .

6- Sabre a estratura de Familia nobre Portucalense, lisboa, A cademia Portuguesa de Historia 1974, pp. 121-140 .

7- As tres faces de fonso Henriques. Penelope fazar a sedfazar a historia n8 1992, pp. 25-42 .

8- Saraiva Historia de portugal . J.H. Tradutores pedro manuel maderoy otros, Madrid 1989 .

وهذه الدراسة باللغة البرتغالية وترجمت إلى اللغة الاسبانية والمؤلف أستاذ برتغالى شهير بدراسته التاريخية.

ويبدأ حديثة فى مقدمة عن استعراض أراضى البرتغال تحت حكم المسلمين حتى ظهور الكونتيه فى أواخر عهد الملك فرديناند الأول (١٠٣٥-١٠٦٥م).

عندما استولى على بازو ولاميجو وقلمرية وعدة أراضى بينهما ١٠٥٧ إلى ١٠٦٤م وكون كونتيه البرتغال وعين عليها ششند المستعرب ثم يستعرض الكونتيه فى عهد الملك الفونسو السادس ثم حكم هنرى وتريزا ثم بداية حكم الفونسو هنريكز. ويتحدث من خلالها على تنظيمات المملكة وشعبها وعن استقلالها وخصوصيتها.

ويهتم بذكر غزوات واستيلاءات الملك الفونسو هنريكز وخاصة معركة أوريك Ourique التى اهتم بها لأنها من أهم ما اهتم به المؤرخون البرتغاليون لأنهم اعتبروها بداية المملكة حيث بعدها تلقب الفونسو هنريكز بلقب ملك .

وتحدث أيضا عن طبقات المجتمع ويتواصل حديثه عن المملكة والمشكلات السياسية والاجتماعية منذ ١١٢١-١٣٨٥ م وتتضمن العديد من الموضوعات الهامة وعلى سبيل المثال الحرب الأهلية فى ١٢١١ إلى ١٢١٦م ثم أوائل القوانين المكتوبة ويتواصل حتى الحرب الأهلية فى ١٣٢٠ إلى ١٣٢٤ ثم عهد الملك ألفونسو الرابع م يتعرض لنواحى الحضارية فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر ويواصل حديثه عن البرتغال حتى نهاية العصور الوسطى.

وتعتبر دراسته من الدراسات الهامة عن البرتغال إذ تعتبر وجبه خفيفة لمن يريد التعرف على تاريخها ولكن يشوبها الدقة والاعتماد على الوثائق والمصادر البرتغالية. وفى كتابته يتضح تمكنه من أدوات هذا التاريخ ويستعرضه فى سلاسلة وأسلوب علمى جزل شيق ولاغنى لأى باحث فى تاريخ البرتغال عنه لدقته فى إيراد معلوماته وإن كان لايشفى غليل من يريد المزيد عن هذا التاريخ.

مدن وقلاع برتغالية إسلامية

* Ciudades y Fortalezas lusomusulmanas (*)
Pasilio Pavon Maldonas

للأستاذ الدكتور باسيليو بابون

وهو طبع فى ١٩٩٣م من خلال

A gencia Espanola de cooperacion

الوكالة الاسبانية للتعاون الدولى مع العالم العربى

Internacional con el mundo A rabes Madrid 1993 .

والجدير بالذكر تنصب دراسته على المدن والقلاع البرتغالية من الناحية التاريخية الأثرية وتشمل أهم القلاع والمدن وأثارها الباقية ويعرض على سبيل المثال لمدن وقلاع حصن جلمانية Jurumenha وقصر أبى دانس Alcacer do sal وباجة Beje وشنترة Cintra ويابرة Evore ومارتلة Mertola وشلب Silves وفارو Faro والعديد من القلاع الأخرى.

ويستعرض فى هذه المدن والقلاع ما بها من آثار إسلامية باقية وأهم مميزاتها وما تختص به من فنون العمارة مع إيراد العديد من الصوو التوضيحية وكل من القلاع والأسوار بها.

وإن كانت دراسته مختصرة إلى أنها فى غاية الأهمية لأنه يجمع فى صفحاته دراسة وثائقية تعتمد على زيارته المواقع ثم الاضطلاع على المصادر الهامة بهذه القلاع ونجد أنه اعتمد كثيرا على المصادر الاسلامية وخاصة الجغرافية منها ويأتى فى مقدمتهم صفة جزيرة الأندلس المنتخبة من المروض المعطاة للخميرى) .

ونزهة المشتاق فى اختراق الآفاق للأدريسى.

ونجد أن هذا المؤلف الذى يقرب عدد صفحاته من ١٥٠ صفحة يعتبر دليلا مهما لكل من يتعرض لتاريخ مملكة البرتغال.

ويتطرق للرسومات الهندسية لهذه القلاع والآثار الاسلامية فى المدن البرتغالية ونورد مثال هام عند حديثه عن مدينة قصر أبى دانس (أن المدينة كانت لديها أسوار قوية وقلعة والأسوار تشتمل على أبراج وأبراجها على ارتفاع يتراوح ما بين ٧٥ و ٨٠ مترا وسمك السور ٢,٢٦ متر وبعض الأبراج تعطيك انطباعا بأنها منفصلة عن الأسوار إلا أن أسوارها وأبراجها محكمة ويتوالى فى الحديث عنها) وهذا مهم جدا لكل من يتناول تاريخ المدينة والحديث عن أحداثها وتخيل الحصارات التى تمت لها على أيدى البرتغاليين وخاصة أحداث حصارها وسقوطها فهى دراسة هامة جدا لكل من يتناول الحديث عن هذه المدن.

(*) كلمة Luso المقصود بها لوزيتانيا هى الاسم القديم لأرض البرتغال .

وإن كـانت دراسـتـه مـخـتـصـرة ولكن دليل ومـرجع رئيـسى لكل من يتناول تاريخ مـدن البرتغال.

Les Campagnes Porugaises entre Doure et tago Aux XII et XIII Siecls Rotert Durand Paris 1982 .

حمـلات البرتغـاليـين بين نهرى الدويرة والتـاجة خلال القـرنين الثـانى عـشـر والثـالث عـشـر والدراسة باللغة الفرنسية وهى لدوراند .

القسم الأول

يبدأ الحديث عن الوجود الإسلامى وبداية حركة الاسترداد فى الأراضى البرتغالية- التى سوف تصبح أرض البرتغال- ويستعرض بداية الحملات فى القرن الثامن الميلادى ويشير إلى حملات الملك ألفونسو الأول مؤسس ملكية أشتوريا ويستعرض نشاطه العسكرى تجاه نهر الدويرة ويشير أيضا عن نهاية القرن التاسع والحملات العسكرية لألفونسو الثالث ٨٦٦- ٩١٠ وخاصة ضد مدنية بورتو Porto وحملة أيضا فى ٨٦٨م ضد قلمرية وبعض الأراضى جنوب نهر الدويرة.

ويستعرض الحملات فى القرن العاشر بقيادة أوردينو الثانى فى ٩١٣م مستعرضا أيضا كيف فقد المسيحيين أراضى كثيرة عندما قام المنصور بن أبى عامر بحملاته فى شمال غرب أسبانيا ٩٩٧م.

القسم الثانى

ويتحدث فيه عن الحملات من نهر الدويرة إلى نهر مونديجو ويشير إلى ذلك بعد سقوط الخلافة الأموية ١٠٣١م مع الاهتمام بحملات الملك فرديناند الأول (١٠٣٥-١٠٦٥) والذى استولى فى ١٠٥٧ إلى ١٠٦٤م على بازو ولاميجو وقلمرية وأراضى محيطة بها وأسس منهم كونتيه البرتغال وعاصمتها قلمرية وعين ششند المستعرب كونتا لها.

وإن كان وصول المرابطين ١٠٨٦ إلى الأراضى الايبيرية فما جعل الفونسوا السادس يشعر بالخطر ألا أنه عين هنرى البورجونى زوج ابنته الغير شرعية تريزا كونتا على البرتغال والذى قام الحملات ضد مدينة شنترين وأيضًا لشبونة وإن كان لم ينجح فى الاستيلاء عليها .

القسم الثالث

الحملات من نهر المونديجو إلى التاجة:

كانت كونتية البرتغال آنذاك قد تعرضت لخطر شديد عندما قام على ابن أبى يوسف المرابطى فى ١١١٧ بحملته حيث وصل إلى قلمرية وحاصرها ولكن فشل فى الاستيلاء عليها وإن كان قد دمر مناطق كثيرة فى تلك الأنحاء ثم يشير إلى الفونسو هنريكز وحملاته المستمرة ضد أراضى المسلمين ونجاحه فى الاستيلاء على شنترين وشنترة ولشبونة ١١٤٧م والعديد من القلاع حتى وصل بذلك إلى النهر التاجه وامتلك أراضى ما بين نهر مونتيجو والتاجة.

والبحث - من خلال ما اطلعنا عليه من المؤلفات عن تاريخ البرتغال لا يأتى بجديد تماما إلا من التركيز على حملات البرتغاليين على المنطقة ما بين نهرى الدويرة والتاجة وإن كان يمتاز بحسن العرض والتنسيق وتحقيق تواريخ الحملات .

Les Hospitaliers de la Morte de Dom Afonso Henriquz a la Suppression des Templiers Paris 1977 .

الاسبتارية من وفاة دون الفونسو هنريكز حتى انحلال الداوية وهو باللغة الفرنسية.

ويتحدث عن جماعة الاسبتارية فى البرتغال فى أواخر عهد دونيا تريزا عام ١١٢٨م

ويبدأ الحديث عن علاقة الملك سانشو الأول خليفة الفونسو هنريكز بجماعة الاسبتارية والإشارة إلى علاقته بجماعة الداوية فى البرتغال ويتحدث عن منح وهبات سانشو الأول إلى جماعة الاسبتارية ثم الإشارة إلى موقعة الأرك وموقعة العقاب ودور جماعة الاسبتارية، ثم التركيز على دور الرهبان وخاصة فى حركة الاسترداد البرتغالية فى القرن الثالث عشر الميلادى.

فقد كان لهم دور كبير فى الاستيلاء على قصر أبى دانس ١٢١٧م مع التوضيح بتواصل العلاقات بين البابوية جماعة الاسبتارية فى الريتغال ثم يتوالى فى عرض موقف كل ملك من ملوك البرتغال المتعاقبين من جماعة الاسبتارية ودور الجماعة فى إنجازات مملكة البرتغال فى هذا القرن مع إيراد وإشارات إلى وثائق عديدة.

ثم يتعرض لعلاقة جماعة الاسبتارية بالجماعات الأخرى فى البرتغال ثم يتحدث فى فصل آخر عن جماعة أبيز Avig وعلاقاتها بجماعة الاسبتارية والجدير بالذكر أن جماعة رهبان

فرنسان أبيز هى جماعة برتغالية نشأة فى مدينة يابرة Evora 1166-1162 واتخـذت اسم جماعة يابرة ثم اتخذت اسم جماعة أبيز ١٢١٢م.

والجدير بالذكر أن الدراسة تعتمد على الوثائق بشكل كبير وهى دراسة تتصف بالعمق، وإن كانت الدراسات عن جماعات الرهبان الفرسان فى أسبانيا والبرتغال متنوعة إلا أن البحث يركز على جماعة الاسبتارية فى البرتغال وخاصة بعد وفاة الفونسو هنريكز ومحاولة التركيز على نشاطهم فى الحملات والغزوات البرتغالية فى القرن الثالث عشر الميلادى لإبراز دورهم فى الوصول بالبرتغال إلى الشكل الحالى لحدودها السياسية فى القرن الثالث عشر الميلادى.

The history of the siege of Lisbon

Jose Saramago translated from the portuguese by Giovanni Pontiero New York 1996 .

تاريخ حصار لشبونة :

والكتاب يحتوى على ٣١٤ صفحة وترجم من البرتغالية إلى اللغة الإنجليزية . ويتحدث عن حصار لشبونة ويبدأ الحديث عن مدينة لشبونة ووضعها الجغرافى والاستراتيجى وأهميتها ثم الحديث عن تاريخها فى العهد الاسلامى مع الإشارة إلى حملات البرتغاليين عليها فى العهد الإسلامى ثم التركيز على حملات الفونسو هنريكز ومحاولاته للاستيلاء عليها ولكنه لم ينجح لضرورة الاستعانة بأسطول لكى يجعل الحصار متكاملاً براً وبحراً وحانت الفرصة عندما وصل فى يونيو ١١٤٧م أسطول صليبى كان يتوجه للاشتراك فى الحملة الصليبية الثانية- إلى سواحل البرتغال من مختلف الجنسيات وعقد اتفاقية معهم ويشرح بالتفصيل كل النقاط السابقة.

ويتحدث بإسهاب عن الحملة وجنسيتها وأعضاءها وقوادها وسفارات الفونسو هنريكز إليهم والاتفاق معهم على مساعدته مقابل وعدهم بالكثير من الأموال والثروات والامتيازات الخاصة ويواصل الحديث عن الصار وخطته وعملياتهم حتى الاستيلاء على هذه المدينة ونتائجها .

والدراسة جديرة بالاهتمام وهى دراسة مستفيضة عن حصار وسقوط لشبونة وقد اعتمد على الكثير من المصادر والمراجع وكان أهمها على الإطلاق مدونة فتح لشبونة Conquuista de Lisboa as mouros 1147 وهو المصدر الوحيد الذى استعرض تفاصيل الاستيلاء على مدينة لشبونة واعتمد عليه جميع المؤرخين القدامى والمحدثين والمدونة عبارة عن رسالة مطولة

كتبها أحد الصليبيين (المجهول لنا اسمه) المشاركين فى الحملة ضد المدينة يصف فيها الحصار ويمجد زملاءه الذين شاركوا فى هذه الحملة، فهى تتكون من سبعين ورقة.

وهذه الدراسة ممتعة لأنها اتخذت حادثة واحدة هى حصار وسقوط لشبونة فى مؤلف ضخم يتكون من ٣١٤ صفحة فهى دراسة متعمقة لم تترك شاردة ولا واردة إلا وذكرتها عن هذا الحدث .

Historia de Portugal desde os temoos mais Abtigos A.O. Geverno D.R .
Penheiro de A. Z evedo
Marquas , A.h. de Olivier vol1 Losboa 1976 .

تاريخ البرتغال منذ القدم حتى حكومة دون بنهيرو دى اويفيدو وهو باللغة البرتغالية.

يتناول تاريخ البرتغال منذ العصور القديمة حتى العصر الحديث والحكومة السابقة ويهمنا الجزء الأول الخاص بتاريخ البرتغال فى العصور الوسطى ويستعرض بداية المملكة مثله مثل باقى المؤلفات عن تاريخ البرتغال ولكن يهمنا هنا تركيزه على النصف الأول من القرن الثالث عشر والذى نجحت فيه مملكة البرتغال فى الوصول بحدودها المعروفة لنا فى وقتنا الحاضر، ويتميز بأنه ركز على الاستعانة بالحملات الصليبية فى تنفيذ مشروعات الغزو الاستيلاء على الأراضى الإسلامية ، حيث نجد أنه الصليبيين كان لهم دور كبير فى سياسة البرتغاليين وغزواتهم وحروبهم ضد المسلمين بداية من استعانة الفونسو هنريكز فى ١١٤٧ بالصليبيين فى الاستيلاء على لشبونه واستمرا هذا التعاون حتى اكتملت فتوحات البرتغال وسجل كيف أن الكثير من الصليبيين استقروا فى البرتغال وأصبحوا متداخلين فى نسيج هذه المملكة ويشرح لنا عناصر تشكيل وتكوين مملكة البرتغال.

ودراسة أخرى لهذا الباحث فى:

History of Portugal from Lusitania to Empire Marques A H. de oliveira.
Columbia Un. 1976 . 2 vol .

تاريخ البرتغال من لوزيتانيا حتى الامبراطورية

وهو منشور فى جامعة كولومبيا

والجدير بالذكر أن الدراسة تكاد تكون متطابقة مع الدراسة السابقة ولكن هناك تنقيح

وإضافات تختلف عن الدراسة السابقة ولكن الخطة والنقاط الدراسية واحدة ويتعرض التاريخ البرتغال بدراسة تاريخ ما يسمى بأرض لوزيتانيا وهى التى قامت عليها مملكة البرتغال ويستعرض فى بداية حركة الاسترداد مرورا بملوك اشتوريا وليون، ويتحدث عن البرتغال وتكوين الكونتية فى عهد فرديناند الأول (١٠٣٥-١٠٦٥) عندما استولى على بازو ولاميجو قلمرية وعين عليها ششند المستعرب ثم وضع الكونتية فى عهد الفونسو السادس وتعيينه لهنرى البورجونى زوج ابنته الغير شرعية تريزا كونتا عليها ويستعرض فى حكم دونيا تريزا (١١١٢-١١٢٨م) ثم عهد الفونسو هنريكز مؤسس مملكة البرتغال ثم يتواصل فى ذكر الملوك فى العصور الوسطى وأعمالهم حتى قيام الامبراطورية البرتغالية.

معارك البرتغال

Battles of Portugal U.S.A. 1996 .

للمؤلفين البرتغاليين

Luis Afonso , manuelo Rolin Miguel Palmeirinha

ويتحدث عن المعارك الهامة فى تاريخ البرتغال فى عهد كل ملك من ملوك البرتغال فمثلا فى عهد الفونسو هنريكز به العديد من المعارك ولكن يقوموا اختاروا أهم هذه المعارك ويلقون الضوء تفصيليا عليها مثل ساو ما مدى ١١٢٨م أوريك ١١٣٩، شنترين ١١٤ لشبوه ١١٤٧ قصر أبى دانس ١١٥٨م، وهذه المعارك هى معارك فاصله ولها أهمية كبرى فى تاريخ البرتغال والملك سانشو الأول إلى ألفونسو الثالث يشير إلى أهم المعار ك شلب ١١٨٩- الأرك ١١٩٥- العقاب ١٢١٢. قصر أبى دانس ١٢١٧ م وهكذا يستعرض تاريخ هذه الحملات حتى عهد خوان الثانى وآخر معركة ثورو ١٤٧٦م وهذا المؤلف على غرار مؤلف ويتى ميرانده المعارك الكبرى لحركة الاسترداد .

Histoire de Lisbonne Couto: Gejanisoh Paris : Fayurd 2000 .

تاريخ مدينة لشبونة

والدراسة باللغة الفرنسية وتحتوى على ٣٨٢ صفحة ويتحدث البحث عن مدينة لشبونة مستعرضا جذورها القديمة ثم تاريخها فى عهد الفتح الإسلامى ومن تراجد بها من الأمراء المسلمين وأحداث المدينة فى العهود الإسلامية ثم حملات الأسبان عليها وحصارها وخاصة فى عهد الفونسو السادس ثم محاولات هنرى البورجونى والفونسو هنريكز أيضا حتى نجح فى

حصار المدينة والاستيلاء عليها ثم ما أحدثه من نظم وتحصينات فيها ويستمر فى تاريخها فى عهود ملوك البرتغال .

والجدير بالذكر شرح طبوغرافية المدينة وكان يشرح العمليات العسكرية مقترنة بتضاريسها ثم أهمية موقع المدينة جغرافيا وسياسيا واستراتيجيا.

Loder de saint de Jesusalem au Portugal XI - XV siecles Laurint Dailing .

جماعة رهبان القديس يوحنا (الاسبتارية) لبيت المقدس فى البرتغال فى القرن من الحادى عشر إلى الخامس عشر.

للباحث لورينت ديليز

Paris 1977 .

وهذا البحث باللغة الفرنسية

ويبدأ البحث عن جماعة مالطا Lorder de Malta

ويبدأ بمقدمة عن جماعات الرهبان الفرسان واصل وأغراض نشأتها ثم قتالها فى الحرب ضد المسلمين ثم كيف استطاعوا بمساعدة الإيطاليين غزو جزيرة رودس وجعلها مقر رئيس لهم فى ١٥٢٢م ويستعرض فى تواريخ سريعة أحداث هامة خاصة بالاسبتارية ثم يتطرق إلى جماعات الرهبان من الفرسان وانتقال نشاطها إلى البرتغال، ثم الحديث عن جماعة مالطا وكفرع من الاسبتارية وعلاقتهم بالبرتغال.

ثم يبدأ الحديث عن تواجدهم فى البرتغال يتحدث عن الفونسو هنريكز منحهم العديد من الامتيازات والقلاع (الجماعة الاسبتارية) فى البرتغال وقد اعتمدت البرتغال عليهم فى سياستها الاستردادية وأول مركز لهذه الجماعة فى البرتغال ليزا Leca وقد ركز ويليز أنه لمن الصعوبة تحديد مصدر أول هبة للاسبتارية فى البرتغال فإنه كثيرين يفكرون بأن أول هبة كان مصدرها دون هنرى البورجونى وآخرون يقولون أن مصدرها أرملته كونتيسة تريزا وآخرون يزعمون أنه دون الفونسو هنريكز ومن المستبعد أن يكون هنرى أول من منح الجماعة لأنه توفى فى استورقة ١١١٢م ولذا فإن هبة ليزا ترجع إلى دونيا تريزا فقط.

واستمر دير ليزا كمركز رئيس للاسبتارية حتى ١٢٣٢م ويستعرض تاريخهم فى عهد الفونسو هنريكز ونشاطهم ودورهم فى حركة الاسترداد ويواصل استعراض تاريخهم فى البرتغال حتى أواخر القرن الخامس عشر.

Portugal Na Espanha Arabe

للباحث . Coelho : Antonio Borges vol 2. Lisboa 1989

البرتغال وأسبانيا العربية

وهو باللغة البرتغالية.

ويتحدث عن تاريخ مملكة البرتغال فى العصور الوسطى ويبدأ منذ الفتح الإسلامى لشبه الجزيرة الايبيرية مع التركيز على تاريخ المسلمين فى منطقة الغرب ثم يتناول بذور نشأة كونتية البرتغال فى عهد فرديناند الأول ملك قشتالة وليون (١٠٣٥-١٠٦٥م) عندما استولى من المسلمين على أرض لوزيتانيا الواقعة بين نهرى دويرة ومنديجو وأهمها لاميجو وبازو وقلمرية (١٠٥٧-١٠٦٤م) وكون منها كونتية البرتغال وعين ششند المستعرب حاكما عليها ثم الحديث عن الفونسو السادس خليفة (فرديناند) وابنه الذى عين الكونت هنرى البورجونى حاكما على البرتغال بعد تزيوجه من ابنته الغير شرعية تريزا ثم يستعرض تاريخ البرتغال فى عهد الفونسو هنريكز ثم عهد سانشو الأول ويتواصل فى ذكر ملوكها ويركز على الملك الفونسو الثالث والذى نجح فى الاستيلاء على كل المدن والقلاع البرتغالية فى ١٢٤٨-١٢٥٠م حيث وصل بحدود مملكته جنوبا إلى المحيط الاطلنطى وإلى حدودها المعروفة فى وقتنا الحاضر وتناول تفاصيل عديدة عن ذكر سقوط تلك المدن والقلاع ويمتاز هذا المؤلف أنه أعطى لنا معلومات مفيدة عن سقوط هذه القواعد والتى نجد أن المعلومات عنها شحيحه جدا فى المؤلفات الأخرى.

A new history of Portugal

Livermore : H.V Cambridge 1976 .

هذا المؤلف من أشهر المؤلفات التاريخية وأكثرها تواجد فى المكتبات العامة عن تاريخ البرتغال . ويبدأ بأصل والبداية التاريخية للبرتغال ويتعرض للمنطقة كمقدمة تاريخية عن عصورها منذ عهد الرومان Roman Portuga والبرتغال فى عهد مملكة السويقيين ويتحدث عن الفتح الإسلامى، ثم يتحدث عن تاريخ أرض البرتغال تحت الحكم الإسلامى.

ويستعرض تأسيس كونتية الربتغال فى عهد فرديناند الأول (١٠٣٥-١٠٦٥م) بالاستيلاء على مدن بازو ولاميجو وقلمرية والأراضى المحيطة وجعل عاصمة الكونتية قلمرية وعين ششند الستعرب ثم الكونتية فى حكم الفونسو السادس والذى عين زوج ابنته الغير شرعية هنرى البورجونى كونتا عليها ثم حكم تريزا للكونتية بعد وفاته ١١١٢م إلى ١١٢٨ ثم تولى الفونسو هنريكز ويركز على حملات وغزواته واستيلائه على المدن وخاصة مدينة لشبونة ثم

سياسة تجاه الموحدين ويوالى الحديث عن عهد سانشو الأول ١١٨٥-١٢١١ ويتواصل حديثه عن ملوك البرتغال تتبعا حتى القرن الخامس عشر الميلادى وجدير بالذكر أن ليفرمور من المتخصصين فى تاريخ أسبانيا والبرتغال حيث له كتابين آخرين هما :

1- The origins of Spain and portugal. London 1971 .

2- Portugal (a sort history) University press 1973 .

ومن ذلك يتضح أنه متخصص فى تاريخ البرتغال

ويتميز مؤلفه بأنه يعتبر من المؤلفات الحديثة والهامة عن تاريخ البرتغال حيث يتعرض لتاريخها شاملا فى العصور الوسطى.

وتكاد لاتخلو أى مكتبة من وجود مؤلفاته ولا أى بحث عن تاريخ البرتغال دون الرجوع إليه لعمق دراساته وإجادته فى عرض تفاصيل وأحداث تاريخ البرتغال معتمدا على الكثير من المصادر والوثائق الخاصة بتاريخ البرتغال ويتضح ذلك من أن معظم المكتبات الأجنبية والعربية لاتخلوا من هذه المؤلفات الثلاثة ويبدو أن مؤلفاته باللغة الانجليزية مما سهل على معظم الباحثين من الاطلاع عليها وذلك مقارنة بالمؤلفات عن تاريخ البرتغال باللغتين الاسبانية والبرتغالية.

Le portugal Musulman VIII ex iiie

Siecle . Loccident d al - Andalus sous domination islamique Picard Christophe Pasis : 2000 .

البرتغال الاسلامية من القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر. غرب الأندلس والسيطرة الاسلامية.

والبحث منشور باللغ الفرنسية ويقع فى ٤٢٢ صفحة ويتحدث عن تاريخ المسلمين فى غرب الأندلس فى المنطقة التى سوف تصبح مملكة البرتغال حيث تواجد المسلمين منذ القرن الثامن حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى واستعراض الفتح الاسلامى للمنطقة (غرب الأندلس) فيما تسمى بعد ذلك البرتغال على يد عبد العزيز بن موسى بن نصير ، ويستعرض أحداث المنطقة فى عهد الولاة، ثم عهد الدولة الأموية، ثم دول الطوائف وخاصة ما نشأ منها فى الغرب ويتحدث عن بداية كونتية البرتغال على يد فرديناند الأول باستيلاءه على مدن بازو ولاميجو وقلمرية (١٠٥٧-١٠٦٤م) وجعل عاصمتها قلمرية وعين عليها ششند المستعرب،

ثم فى عهد الفونسو السادس والذى عين زوج ابنته الغير شرعية هنرى البورجونى، مستمرا منذ تلك الفترة فى استعراض العلاقات والحملات بين المسلمين والبرتغاليين وسانشو الثانى. والفونسو الثالث والذى أنهى الوجود الإسلامى فى منطقة البرتغال حيث أوصل حدود مملكته إلى المحيط الاطلنطى (١٢٤٨-١٢٥٠م) ولذلك تعتبر حركة الاسترداد البرتغالية قد انتهت فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى.

Histore du Portugal Labourdette, Jsean Francios Paris 2000 .

تاريخ البرتغال

والبحث يقع فى ٧٠٣ صفحة وباللغة الفرسية ويتحدث عن تاريخ البرتغال ويشمل الحديث عن بداية مملكة البرتغال وبداية جذورها من الحملات لملوك اشتوريا وليون ثم تأسس الكونتية على يد فرديناند الأول (١٠٣٥-١٠٦٥م) ثم عهد الفونسو السادس ثم هنرى البورجونى وزوجته تريزا وحكم الفونسو هنريكز وأعطى أهمية كبيرة وتفاصيل عديدة لهذا الحكم لأنه مؤسس مملكة البرتغال ويستمر فى الحديث عن ملوك البرتغال المتعاقبين حتى نهاية العصور الوسطى ويركز بداية من منتصف القرن الثالث عشر على العلاقات مع قشتالة ثم سياستها الخاصة مع دول أوربا ثم بداية توسعها واستيلاءها على سبتة ١٤١٥م وفى نفس الوقت يتناول الحديث عن الأوضاع الداخلية والنظم والسياسة الداخلية. ويعتبر هذا التاريخ تاريخ شامل للبرتغال ومعلوماته دقيقة وإن كانت مطروقة.

Os Lusitanos : Mito e Realidade Adriano Vasco Rodrigues Academia Internacional de calutra Portuguesa 1998 .

اللوزيتانيون (البرتغاليون) بين الحقيقة والاسطورة لادريانو فاسكو رودر يجز نشر الأكاديمية الدولية للثقافة البرتغالية والمؤلف يحتوى على ٣٥٠ صفحة.

يتناول حقيقة البرتغاليون ويبدأ باستعراض أراضى البرتغال المعروفة باسم لوزيتانيا جغرافيا وتاريخها ثم يستعرض اقتصادها والمشاكل التى واجهة أراضى البرتغاليين والعلاقة بين الأراضى وسكانها والحروب التى تمت على أراضى البرتغال والحقيقة أنه يستعرض كل ما يخص لوزيتانيا وسكانها البرتغاليون مرورا بالعصور الوسطى ثم العصور الحديثة ويتحدث بإسهاب عن الاقتصاد فى العصور الوسطى.

والجدير بالذكر أن هذا المؤلف يعتبر من المؤلفات الهامة ويبرز قضية هامة لاستقلال مملكة البرتغال فى العصور الوسطى وخصوصية أرضها وسكانها وخاصة ضد دعاوى أسبانيا فى

العصور الوسطى وخاصة فى القرن الثانى عشر الميلادى بأن البرتغال هى جزء من مملكة قشتالة ليون والمؤلف أجاد فى عرض خصوصية أرضه وبلاده ولذلك اختار عنوانا هو اللوزيتانيون بين الحقيقة والأسطورة.

تأسيس مملكة البرتغال:

ويصعب على الحديث عن هذا المؤلف ولذلك اقتبس هنا ما ذكر عنه فى باب عرض الكتب لمجلة المؤرخ العربى الصادرة عن اتحاد المؤرخين العرب، العدد الرابع، المجلد الأول، مارس ١٩٩٦م.

(الكتاب فى نحو مائتين وستين صفحة، صدر عن مؤسسة عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية القاهرة ١٩٩٥م تأليف الدكتور محمد محمود النشار- مدرس العصور الوسطى بكلية الآداب- جامعة طنطا).

يعالج الباحث فى هذا الكتاب موضوع السياسة الخارجية الفونسو هنريكز ملك البرتغال (١١٢٨-١١٨٥م) وقد يبدو الموضوع فى ظاهره أكثر ارتباطا بالتاريخ الأوربى ولكن الباحث أعطى أهمية خصة لعلاقة ملك البرتغال بدولة المرابطين من ناحية ثم الموحدين من ناحية أخرى وذلك بعد أن تكلم فى الفصلين الأول والثانى من كتابه عن الأوضاع السياسية فى دولة البرتغال فى أواخر القرن الحادى عشر وأوائل القرن الثانى عشر وكذلك علاقة الملك الفونسو هنريكز بملوك قشتالة وليون والبابوية .والدراسة فى مجموعها تتصف بالعمق، تلقى الضوء على جوانب لم تحظ بقدر كافة من عناية الباحثين وبخاصة فيما يتعلق بعلاقة البرتغال بالمرابطين والموحدين.وقد عالج الباحث هذه العلاقة فى ضوء التيار الصليبى الذى جرف عديد من قوى الغرب الأوربى ضد المسلمين فى ذلك الدور، وزود الباحث دراسته بعدد من الملاحق التى تشتمل على وثائق وجداول وبذل جهدا واضحا فى نقلها إلى العربية هذا فضلا عن الكشافات والفهارس وقائمة المصادر والمراجع وللحق أن الكتاب يعبر عن إضافة جديدة للمكتبة العربية).

العرب والبرتغال

للدكتور فالح حنظل ط. أولى ١٩٩٧م أبوظبى ويبلغ عدد صفحاته ٥٦٠ صفحة.

والكتاب يتناول تاريخ البرتغال فى العصور الوسطى والحديثة وعلاقته بالعرب كما يشير

من ٧١١م إلى عام ١٧٢٠م / ٩٣م إلى ١١٣٤ م وهنا يتعرض البرتغال فى العصور الوسطى.

والجدير بالذكر أن كل ما يخص تاريخ البرتغال فى العصور الوسطى عبارة عن مذكرات تاريخية أى إشارات سريعة تمتزج بالكثير من الأخطاء التاريخية.

والواقع أن المؤلف يشمل خمس وثلاثون فصلا لايتعدى الفصل الواحد أكثر من خمس أو ست صفحات وعند النظر إلى تفصيلات كل فصل نجد أن ما يخصه عبارة عن سطور قليلة جدا ويهمنا هنا الحديث عن ما يخص العصور الوسطى وعند قراءة تاريخ البرتغال أننا نجد أنه تاريخ شبه الجزيرة الايبيرية أى الحديث مثلا عن البرتغال فى عهد الطوائف : فصل

البرتغال فى عهد المرابطين : فصل

البرتغال فى عهد الموحدين : فصل

ويتحدث عامة عن المسلمين فى شبه الجزيرة فى إشارات سريعة مقتصية مع الإشارة إلى فقرة عن أهم ما حدث فى أرض البرتغال والجدير بالذكر أن ما يخص تاريخ البرتغال فى العصور الوسطى هى مجرد تجميع معلومات وغير دقيقة من مراجع ثانوية ويشير أنه استعان بأحد البرتغاليين الموظفين فى شركة بترول فى الإمارات يجمع له بعض المعلومات من الكتب البرتغالية مع الترجمة لها إلى اللغة الإنجليزية ولذلك جاءت أخطاء عديدة فى ثنايا الكتابة وقد استخدم بعض مصطلحات غير دقيقة مثلا قوله خلع ملوك الطوائف فى الأندلس وإعدام ملك البرتغال العربى عمر بن مظفر الأفطس (المتوكل على الله) .

أولا : ليس هناك ملك برتغالى عربى لأن البرتغال آنذاك كانت كونتية فى الشمال الغربى.

ثانيًا : أن عمر بن الأفطس من ملوك الطوائف وكان ملكا على دولة بنى الأفطس فى بطليوس ولايصح قول ملك البرتغال.

والعديد من هذه المسميات الدقيقة مثل مملكة بطليوس البرتغالية «ويتحدث فيها عن دولة بنى الأفطس فى بطليوس وهى ليست برتغالية حتى مدينة بطليوس هى مدينة إسبانية وليست برتغالية وهى على الحدود مع البرتغال .

ومن الأخطاء الفادحة قوله:

قيام دولة البرتغال وظهورها على المسرح السياسى لأول مرة فى التاريخ بقيادة الملك هنرى اوف بورغندى » وهذا عنوان فقط فى فصل وعند الرجوع إلى ما كتب عنه عبارة عن أربع أسطر.

والمعلوم أن هنرى البورجونى لم يؤسس دولة البرتغال وأن البرتغال آنذاك كونتية نشأة فى عهد الملك فرديناند الأول (١٠٣٥-١٠٦٥م) عندما استولى على عدة مدن فى شمال غرب شبه الجزيرة وهى أراضى لوزيتانيا الواقعة بين نهرى دويرة ومنديجو أهمها لاميجو وبازو وقلمرية وكون منها كونتية البرتغال وعين عليها حاكما هو ششند المستعرب ١٠٦٤م أما عن هنرى فلم يكن ملكا كان مغامر فرنسيا من أسرة بورجونى الفرنسية المتزوج منها الفونسو السادس زوجته كونستانس البورجونية وقد خدم فى جيش الفونسو وكافأه بتزويجه من ابنته تريزا الغير شرعية وأعطاه حكم كونتية البرتغال كأمير عام ١٠٩٤م ثم توفى فى ١١١٢م وخلفه زوجته تريزا كوصية على ابنها الفونسو هنريكز ١١١٢م حتى ١١٢٨م وتولى الفونسو الحكم ١١٢٨م وهو الذى حول الكونتية إلى مملكة وتقب بلقب ملك إذن تأسيس واستقلال مملكة البرتغال على يد الفونسو هنريكز.

والجدير بالذكر أن الأخطاء التاريخية عديدة وفادحة وتدعو للعجب فيقول:

(وأما المصادر البرتغالية المتوفرة لدينا فتختصر الأحداث وتقول أنه لما مات الملك البرتغالى الفونسو الثالث فى عام ١١٧٩م تولى العرش ابنه دينز الذى يعتبر عهده نهاية لكافة الحروب مع العرب حيث تم تحرير البلاد بكاملها . وأصبحت البرتغال بلدا مستقلا كاملا).

أولا: الملك البرتغالى الفونسو الثالث استولى على الحكم من أخيه سانشو ١٢٤٥م وأن الفتوحات التى نسبها إلى عهد دينيز هى تمت فى عهد الفونسو الثالث والذى منذ ١٢٤٥م إلى ١٢٤٨ انشغل بالحرب الأهلية ثم من ١٢٤٨ إلى ١٢٥٠م استولى على المدن الواقعة جنوب البرتغال من المسلمين ووصل بالبرتغال إلى الشكل الحالى المعروف حدوده.

ثانيا: يتكلم عن تحرير البرتغاليين من يد العرب ولا أدرى كيف أشار إلى ذلك التعبير حيث كان العرب هاجموا دولة البرتغال واستولوا على أرضها واستعمرها، وهذا ينافى الحقيقة. فالمسلمون فتحوا شبه الجزيرة ونشروا الاسلام واسلم الكثير من أهل شبه الجزيرة وامتزجوا مع الأجناس الإسلامية العربية فكان مجتمع شبه الجزيرة خليطًا من العرب والبربر وسكان شبه الجزيرة والعديد من الأجناس فأخذ شعبها شكلاً مختلفًا عما كان قبل الفتح ، وحيث نشر المسلمون لغتهم وثقافتهم وصبغوا شبه الجزيرة بالصبغة العربية الإسلامية آنذاك.

ثالثا : أصبحت البرتغال بلدا مستقلا كاملا ومستقلة عن من ، المعروف أنها استقلت عن مملكة قشتالة وليون فى عهد الفونسو هنريكز وأصبحت مملكة مستقلة وباعتراف المجتمع الدولى آنذاك وعلى رأسه البابوية والتى أصدرت مرسوم الاعتراف فى ١١٧٩م باستقلال مملكة البرتغال .

رابعا : لم يكن ما ذكر نهاية الحروب مع العرب فقد استمرت وخاصة فى مساعدة مملكة قشتالة ضد مملكة غرناطة وأيضا الحملة البرتغالية على سبتة ١٤١٥م والاستيلاء عليها وتواصلت الحروب فى العصر الحديث.

وهناك إشارة أخرى يقول : (وينفرد الدكتور عبد الرحمن الحجى بذكر معركة تلت معركة العقاب شاركت قوات الحملة الصليبية الخامسة، خسر العرب فيها ميناء قصر أبى دانس عام ١٢١٧م حيث هاجمها الفونسو الثالث ملك البرتغال بمساعدة أسطول ألمانى).

أولاك لا أدرى كيف يجزم بأن الدكتور عبد الرحمن الحجى انفرد ويصدر هذا الحكم على الرغم من أن (الدكتور فالح) ليس متخصصا فى تاريخ البرتغال لا من قريب ولا من بعيد.

ثانيا : إن هناك العديد من المؤلفات أشارت إلى هذه المعلومات وحتى الدكتور عبد الرحمن الحجى أشار إليها فى أسطر قليلة وقد تعرضنا فى بحث كامل لنا بعنوان (دور الصليبيين فى استيلاء البرتغاليين على مدينة قصر أبى دانس ٦١٤ م/ ١٢١٧م.

ثالثا يشير أن الذى استولى عليها هو الفونسو الثالث وهذا خطاء جلى لأن الفونسو الثالث بدأ حكمه كما أشرنا فى عام ١٢٤٥م والذى تمت فى عهد الاستيلاء على المدينة هو الفونسو الثانى ١٢١١م- ١٢٢٣م وهو لم يشترك فى الحملة.

والأمثلة عديدة ولكن لايتسع المجال هنا لايرادها .

والجدير بالذكر أن عنوان الكتاب قد لفت انتباهى ولكن بعد قراءة ما يخص البرتغال فى العصور الوسطى اندهشت كثيراً الكتاب غير مهمش وحتى إن كان كتابا ثقافيا للعامة فهو يحتاج إلى دقة والاستعانة بالمصادر والمراجع المتخصصة والمتخصصين وهو يسعى إلى الكثير من العناوين البراقة غير العلمية والتى تؤدى إلى تزييف الكتابة التاريخية. وذلك فيما يخص تاريخ البرتغال فى العصور الوسطى .

ثانيا: الأبحاث العلمية التى ألفت فى المؤتمرات التاريخية ونشرت فى مجلات علمية عن تاريخ البرتغال.

8 centernario do reconhecimento de reino de Portugal pela santa de bula manifestis Probatum, 23 de maio 1979

Academia portuguese da Jistoria comemoriacao academica lisboa 1979 .

٨٠٠ سنة على الاعتراف بمملكة البرتغال بواسطة البابوية (الكرسى المقدس) مرسوم البابوية بالاعتراف ٢٣ مايو ١١٧٩م.

الاكاديمية التاريخية البرتغالية

احتفال أكاديمى.

لشبونة ١٩٧٩م.

قامت الأكاديمية التاريخية البرتغالية بالاحتفال بمرور ٨٠٠ عام على صدور المرسوم البابوى بالاعتراف بالبرتغال كمملكة مستقلة فى عام ١٩٧٩م، وقامت بنشر العديد من الأبحاث التاريخية المتنوعة عن تاريخ البرتغال التى ألقيت فى المؤتمر آنذاك[1].

وقد رأس الاحتفال رئيس الاكاديمية التاريخية البرتغالية المؤرخ المشهور : Prof doutr Jouquim erissioSerro والذى بدأ فى ١٨ مايو ١٩٧٩م.

ونستعرض بعض هذه الأبحاث وأولها :

1- Asituacao Politica de Portugal eml 1179 .

Pelo antonio cruz.

١- والجدير بالذكر أن ألفونسو هنريكز والذى بدأ حكمه البرتغال فى ١١٢٨م وكانت حينئذ كونتية فإنه فى عام ١١٣٩م بعد انتصاره على المسلمين فى معركة أوريك Ourique فإنه تلقب بلقب ملك وواجه معارضة ورفض الاعتراف باستقلال البرتغال كمملكة من جانب الفونسو السابع ملك قشتالة وليون ثم فرديناند الثانى ملك ليون وقد حاول الفونسو الكثير مع البابوية حتى نجح فى الحصول على موافقة البابوية وأصدرت قرار بالاعتراف بمملكة البرتغال كمملكة مستقلة وتلقب الفونسو بلقب ملك.

الحالة السياسية للبرتغال فى ١١٧٩م.

للأستاذ انطونيو كروز والبحث فى المجلد من صفحة ٢٥ إلى صفحة ٨٢ ويتحدث عن الأوضاع فى البرتغال وحدودها آنذاك وأوضاعها عند تولى الفونسو هنريكز فى ١١٢٨م ثم الحديث عن الفونسو هنريكز وميلاده وتربيته وكيفية توليته حكم كونتية البرتغال.

ثم يستعرض أهم سنوات شبابه حتى توليته الكونتية وموقف الملك الفونسو السابع ملك قشتالة وليون من الكونتية والنزاع مع أمه وتدخل الملك ألفونسو السابع ومعركة ساو ما مدى Sao Mamede ضد أمه فى ١١٢٨م وأتباعها المؤيدين لها وانتصار الفونسو هنريكز .

ويستعرض أحداث المملكة السياسية مركزا على الأحداث الهامة ثم من خلاله يتناول الحديث عن علاقة الفونسو هنريكز بالبابوية ثم الحديث عن معاهدة توى ١١٣٧م بين الفونسو هنريكز والفونسو السابع .

ويستعرض محاولات الفونسو مع البابوية من أجل الحصول على الاعتراف به كملك واستقلال مملكته ومنها علي سبيل المثال فى عام ١١٤٣م أرسل إلى البابا يعرض عليه التبعية الإقطاعية مع دفع الجزية له ووافقت البابوية على فرض الحماية ولم توافق على منحه لقب ملك وخاطبته بدوق البرتغاليين .

ويستمر فى عرض العلاقات مع البابوية حتى عهد البابا اسكندر الثالث (١١٥٩-١١٨١م) والذى اعترف بالبرتغال كمملكة.

وهكذا استعرض فى الجزء الأول من بحثه عن الأوضاع السياسية للبرتغال منذ عهد الفونسو هنريكز حتى صدور القرار البابوى أما فى الجزء الثانى (بداية صفحة ٥٧ من بحثه فيتحدث عن الحالة السياسية للبرتغال فى ١١٧٩م صدور المرسوم البابوى ويبدأ بنشر المرسوم البابوى ثم يبدأ فى شرح هذا المرسوم ويوضح أن ألفونسو حصل على التاج وعلى هذا المرسوم بسبب نجاحاته فى الحروب ضد المسلمين وبخاصة فى الاستيلاء على المدن والقلاع الإسلامية ويتحدث عن انطباعاته عن هذا المرسوم.

والجدير بالذكر أن موضوع البحث موضوع مطروق، ونظراً لأن هذا الموضوع هو مرسوم البابوية والأحوال السياسية لهذا المرسوم وأوضاع مملكة البرتغال كانت مجالا لدراسات وأبحاث عديدة ولذلك فإن الدراسة ليست بالمبتكرة أو الجديدة تماما.

ونجد أنه قد اعتمد على العديد من المصادر والمراجع جلها برتغالية ودراسة ألمانية (Erd-mann : Care) ترجمت للبرتغالية بعنوان:

البابوية Opapado e portugal no Primeir Seculo - da historia Portuguesa والبرتغال فى القرن الأول للتاريخ البرتغالى ودراسة أخرى ألمانية لنفس المؤلف عن غزوات البرتغاليين.

ودراسة أسبانية Valdeavellano

تاريخ أسبانيا Historia de espana

أما باقى مصادر ومراجعة برتغالية معلومة ومطروقة وإن كان هذا لايقلل من محاولته قراءة واستدلال هذا المرسوم وأثره على مملكة البرتغال.

2- Opapala e Portugal Desde A cnferencia de zamora (1143) ate abula de Alxandre 111 (1179) .

البابوية والبرتغال منذ اتفاقية سمورة ١١٤٣ حتى مرسوم البابا اسكندر الثالث ١١٧٩م للباحث أدوارد براساو Eduardo Brasao وذلك من صفحة ٨٣ إلى صفحة ١١٤ .

ويستعرض فى ذلك البحث بداية اهتمامات البابوية بشبه الجزيرة الايبيرية وخاصة البابا جريجورى السابع ودعوته لتوحيد القوى المسيحية فى شبه الجزيرة ضد المسلمين، وتشجيع محاولة الفونسو السابع للتوحيد وإقامة نفسه إمبراطورا على شبه الجزيرة، ومناهضة الشاب الفونسو هنريكز ملك البرتغال لهذه السيطرة القشتالية ومحاولة الفونسو هنريكز من تعظيم دور الكنيسة البرتغالية بإظهار كنيسة براغا Braga على كنيسة طليطلة . وقد نال الفونسو هنريكز مساعدات كثير من الكنيسة البرتغالية فى حملاته، ثم الحديث عن علاقته آنذاك بالبابوية ومقاومته لدعاوى سيطرة الفونسو السابع على البرتغال بمحاولاته جذب تأييد البابوية له ضد الفونسو السابع ، مما دفع البابا انوسنت الثانى (١١٣٠-١١٤٣م) لمحاولة تسوية النزاع فأرسل مبعوثه الكاردينال هيو والذى نجح فى عقد معاهدة سمورة بين الطرفين فى سبتمبر ١١٤٣م كان من أهم بنودها موافقة الامبراطور الفونسو السابع على أن يتلقب الفونسو هنريكز بلقب ملك بشرط أن يكون فصلا إقطاعيا له ولكن بعد مرور ثلاثة أشهر أرسل الفونسو هنريكز إلى البابا انوسنت الثانى يعرض عليه التبعية الاقطاعية مع دفع الجزية وموافقة البابوية ولكن أطلقت عليه فى الخطاب لقب دوق البرتغاليين.

ويستعرض كفاح الفونسو هنريكز من أجل استقلال مملكته حتى ١١٧٩م عندما نجح فى محاولاته مع البابا اسكندر الثالث فى إصدار مرسوم استقلال البرتغال فى ٢٣ مايو ١١٧٩م يتناول الحديث عن اسكندر الثالث ودوافعه لذلك.

ثم يبدأ من صفحة ١٠٣ فى استعراض وثائق وخطابات متبادلة بين البابوية والفونسو هنريكز.

والجدير بالذكر أن الباحث قد أعطى الكثير من الملاحظات على هذه الوثائق وقام بشرحها والتعمق فى ثنايا ألفاظها ومعانيها وأغراضها. وهو بحث شيق يلقى مزيد من الضوء على هذا الموضوع والجدير بالاهتمام إيراده العديد من الوثائق الهامة وتدعيم أراءه وأحكامه بالوثائق.

بحث ثالث :

3- Opapa Alexandre III E Abula

البابا اسكندر الثالث ومرسومه.

Pela Isaias da Rose Pereira

الباحث اسياس لاروسا بيريرا.

وهو من صفحة ١١٥ إلى صفحة ١٤٢ .

ويتحدث البحث عن البابا اسكندر الثالث ١١٥٩-١١٨١م عن نشأته حتى وصل إلى منصب البابا والكثير من التفاصيل عن حياته ومناصبه الدينية حتى وصل إلى هذا المنصب الرفيع ومن خلالها يستعرض مهامه التى أداها كرجل دين ومبعوث للبابوية كاكاردينال قبل توليته(البابوية) إلى بقاع مختلفة لتنفيذ سياسة البابوية واهتم عندما تولى البابوية بتوطيد نفوذها واحلال السلام فى العالم المسيحى آنذاك وخاصة فى شبه الجزيرة الايبيرية ، وعن نشاطه ومحاولته حل المشاكل بين مختلف الكنائس الاسبانية والبرتغالية وعقد المجالس الدينية مثل محاولة بين كنيسة براغا وشانت ياقب دى كومبوستلا فى ١١٧٩ ويستعرض أعمال هذا المجلس للتوفيق ويسعى من خلالها إلى تأكيد سيطرة ونفوذ البابوية.

ثم يتطرق إلى الحديث بسرد وافى عن قرار البابا اسكندر الثالث فى ٢٣ مايو ١١٧٩م بالاعتراف باستقلال مملكة البرتغال يتحدث عن خلفيات هذا القرار ويشير أيضا إلى أوضاع

أوربا وآنذاك من حيث الصراع بين البابوية والامبراطورية حتى أن البابا اسكندر الثالث فرض نفوذه على إيطاليا وحتى المانيا ازداد نفوذه فيها، وفرض نفوذه على ملك فرنسا لويس السابع وهنرى الثانى ملك انجلترا زادت سلطة البابوية وبربط بين سياسته فى أوربا وسياسته فى شبه الجزيرة الايبيرية .

ويشير إلى أن البابا اسكندر الثالث قدر جهود الفونسو هنريكز من توسيع كونتيته بحملاته وغزواته ضد المسلمين وأن أسقف براغا دون Gadinh قد ناشد البابا بتأكيد حكم وأراضى البرتغاليين، وكان البابا يرغب فى تشجيع الأمراء المسيحيين على توسيع سلطاتهم لأجل قتال المسلمين، ومن أجل تحالف الكنيسة البرتغالية مع السلطة السياسية ولدت مملكة البرتغال الخاضعة للتبعية الاقطاعية للبابوية ويتعرض لتفاصيل كثيرة من هذا القبيل.

والجدير بالذكر أن البحث يتصف بالعمق لأنه بدأ يحاول الغوص فى أعماق وأسباب صدور مرسوم البابا اسكندر الثالث باستقلال البرتغال وفى الوقت نفسه يعطى صورة عامة عن تاريخ البابوية فى عهد البابا اسكندر الثالث.

ويستعرض نص وثيقة المرسوم البابوى ويقدم دراسة تفصيلية عن هذه الوثيقة بملاحظاته وتعليقاته مع ترجمه للمرسوم من اللاتينية إلى اللغة البرتغالية.

ونجد أنه قد اعتمد على الكثير من الوثائق والمصادر الخاصة بالبرتغال والبابوية فى نفس الوقت على كثير من الارشيفات التاريخية.

وهناك أبحاث أخرى لايتسع المجال لعرضها وعلى سبيل المثال .

Alexandre III Reconhece Rieno de Portugal.

Jase Calvert Magalhaces

الاسكندر الثالث والاعتراف بمملكة البرتغال .

850 Aniversario da Batalha

ومؤتمر آخر عن :

de Sao Mamede (24 do Junho de 1128)

Academia Portuguesa da Historia Lisboa 1981 .

الذكرى السنوية الـ ٨٥٠ سنة لمعركة ساو ما مدى (٢٤ يونيو ١١٢٨م).

الأكاديمية التاريخية البرتغالية.

لشبونة ١٩٨١م.

وهى مجموعة أبحاث نشرت للاحتفال بهذه المعركة والتى نجح فيها الفونسو هنريكز من اقصاء والدته تريزا عن الوصاية والحكم وتولى فيها حكم البرتغال وحولها بعد ذلك من كونتية إلى مملكة.

ونستعرض بحث .

1- Batalha de Sao mamede

Subsidioa Para Asua Historia Militar

Pela Luis da Vamara Pina

معركة مساوى ما مدى وملاحظات لأجل تاريخها العسكرى

ويقسم بحثه إلى عدة نقاط

أولها: عن مفهوم وموقع المعركة.

ويربط بين الأحداث آنذاك ومفهوم المعركة ويتحدث عن قلعة ساو ما مدى وأنها قلعة قوية أمرت بإنشائها الكونتيسة مومادونا Mumadona عمة دون راميروا الثالث ملك ليون فى ٩٢٧م وهى مقامة بأعلى هضبة بحيث تشرف على وادى، والقلعة محاطة بأسوار عالية.

أما عن سبب إنشاء القلعة، فقد أتى أحد رجال الدين والمدعو القديس ما مدى S. Ma-mede إلى هذا المكان وأقام الكثير من المعابد والأبراج حملت إسمه للدفاع عن الدير الذى أسس في جو يمارس فأمرت مومادونا بانشاء القلعة التى تدعى Sao Mamede والحديث عن تفاصيل موقع المعركة وتضاريسه وتفاصيل تاريخية حول هذا الموقع على مر التاريخ حتى العصر الحديث.

والجزء الثانى دراسة عسكرية لمعركة ساو ما مدى: وبهذا يشرح الوضع فى يونيو ١١٢٨م عام المعركة ويشير أنه بعد وفاة دون هنرى البورجونى كونت البرتغال تولت زوجته تريزا حكم الكونتية بوصفها وصية على ابنها الصغير الفونسو هنريكز ثم الحديث عن صراعها مع اختها اوراكا ملكة قشتالة وليون حتى وفاة الأخيرة فى ١١٢٦م وتولى ابنها الفونس السابع والذى رفض عليها التبعية.

ولكن فى عام ١١٢٨م بلغ الفونسو هنريكز الثامنة عشرة من عمره وتقدم نبلاء البرتغال ورجال الدين إلى دونيا تريزا لكى تتنازل عن الحكم لابنها فرفضت هنا قرر الفونسو بنصيحة اتباعه بالاستيلاء على الحكم بالقوة ثم وصف أوضاع كل طرف من الطرافين المتصارعين الفونسو هنريكز واتباعه وتريزا ومؤيديها .

ثم الجزء الثالث : تفاصيل المعركة والعمليات مع إيراد خريطة توضح تفاصيل وضع الجيشين.

حيث توجه الفونسو إلى قلعة ساو ما مدى وهى تاج لإحدى المرتفعات المهمة على مدينة جويمارس كما أن بابها الرئيسى يطل على الغرب حيث الحقول المتعرجة مما يساعد فى السيطرة على أرضى المعركة والتقى الفريقان فى ٢٤ يونيو انتصر فيها الفونسو هنريكز وهزم أمه وأتباعه والتى وقعت فى الأسر.

أما الجزء الرابع : عن نتائج معركة ساو ما مدى

بالنسبة للبرتغال حيث مجملها أنها بدأت حكم الفونسو هنريكز لملكة البرتغال والذى ظل يكافح ضد سيطرة قشتالة وليون وفى الوقت نفسه يشن الحملات العديدة على المسلمين ويستولى على العديد من القلاع والمدن حتى صدور المرسوم البابوى فى ٢٣ مايو ١١٧٩م باستقلال مملكة البرتغال ويورد وصف القلعة ساو ما مدى من إحدى المدونات البرتغالية وأورد كثيرا من نصوص المدونات .

والجدير بالذكر أن الدراسة دراسة تتصف بالعمق وفى الوقت نفسه نجح فى إبراز تفاصيل هذه المعركة وجعل القارئ يعيش داخل أحداثها بحسن عرضة والمامه بأوضاع وتاريخ المنطقة آنذاك واعتمد على ما ورد عن القلعة والمعركة فى المدونات البرتغالية .

أما البحث الثانى والذى سوف نستعرضه هو:

2- intervencao da infanta- Rainha D. Teresa Na Genese do Estado Portugues pela Torquato de Sousa Soares.

دور الملكة دونيا تريزا فى تأصيل دولة البرتغال للباحث توركاتوا دى سوسا سوارس وهو باللغة البرتغالية.

والبحث يركز على أن لدوينا تريزا دور كبير فى تأسيس دولة البرتغال حيث أنها كانت

تشارك زوجها فى حكم الكونتية وادارتها أثناء انشغال زوجها بسفرياته وحملاته مما أكسبها خبرة كبيرة فى الحكم، وأثبتت جدارتها مما ساعدها عندما توفى زوجها ونجحت فى أن تقف أمام أطماع أختها أوراكا ملكة قشتالة وليون وسارت على نهج زوجها وقادت بمهارة سياسية إدارة النزاع مع أختها .

واعتمدت على الكنيسة والنبلاء والأسر القوية فى الحكم مثل عائلة Mendes de Piao وعائلة فرديناند بيريز وكان من أهم إنجازاتها التصدى لحملة على بن يوسف المرابطى على أراضى البرتغال وحصاره لمدينة قلمرية ١١١٧م، وفشل هذا الحصار ويركز البحث على أن دونيا تريزا كان لها دور كبير فى حفظ كونتية البرتغال مستقلة عن مملكة قشتالة وليون ونجحت فى ظل تعدد الصراعات والمواقف فى ادارتها بأحكام حتى نجح ابنها فى أن يستولى على الحكم منها فى ١١٢٨م بعد انتصاره فى معركة ساو ما مدى.

والبحث محاولة لتوضيح دور دونيا تريزا وأنها ليست كما صورتها بعض المصادر بأنها كانت سيئة وامرأة لعوب وأن هناك بعض التحامل عليها .

وأنها سارت على نفس سياسة زوجها هنرى البورجونى وسلمت الكونتية إلى ابنها وتحمل مقومات الاستقلال آنذاك.

Ogovermo de Portugal

pela infanta- Rainha D. Teresa (1112-1128) للباحث

Torquato de Sousa soares ونشر هذا البحث فى

Colectaneo de Estudos em Honro de Professor Doutour Damiao Peres Lisboa Academia Portuguesa de Historia 1974 , pp. 95-119 .

ونشر هذا البحث فى دراسات فى الاحتفال على شرف الدكتور راماو بيريز الأكاديمية البرتغالية للتاريخ ١٩٧٤م

والباحث له بحث آخر عن دونيا تريزا تعرضنا له- سابقا- ولكن فى هذا البحث وهو يسبق الذى تعرضنا له يركز على حكومة دونيا تريزا فى قضايا عامة.

والبحث يتحدث فى صفحة ٩٥ عن وفاة الكونت هنرى زوجها فى ٢٤ أبريل ١١١٢م وتولت زوجته تريزا الحكم الكونتية وسارت على نفس سياسة زوجها .

وقد واجهت تريزا عدة مشاكل خطيرة وأهمها الدفاع عن الكونتية من هجمات المسلمين والمشكلة الثانية هو مقاومة سيطرة ونفوذ أختها الملكة اوراكا، وقد اعتمدت على النبلاء ولجأت إلى نظام التحالفات والاتصالات بالمناوئين لأختها وخاصة مع بدرو فرويلز وديجو جالمريز رئيس أساقفة شانت ياقب ورئيس حزب ابنها (ابن اوراكا) الفونسو السابع، ثم اعلان الفونسو ريموندر السابع ملكا فى جليقية ضد سيطرة أمه أوراكا وتحالف تريزا مع هذا الحزب ضد اختها أوراكا.

ومن الاشارات الهامة فى البحث عن حملة على بن يوسف المرابطى وحصاره لمدينة قلمرية ونجاح تريزا فى الصمود وصد الحصار وفشل حملة على وعودته ١١١٧م والمزيد من الحديث عن علاقة بين تريزا وأطراف الصراع فى مملكة قشتالة وليون.

ثم يستعرض الحديث عن وفاة الملكة اوراكا ١١٢٦م تولى ابنها الفونسو السابع (ريموندير) وموقف تريزا من هذا ومحاولة الفونسو السابع فرض سيطرته على مملكة البرتغال ، وفى ١١٢٨ م بلغ الفونسو هنريكز ١٨ عاما وطلب النبلاء ورجال الدين من دونيا تريزا التنازل عن الحكم لابنها ولكنها رفضت مما دفعهم إلى نصح الفونسو هنريكز بالاستيلاء على الحكم بالقوة وكانت معركة ساو ما مدى مع أمه واتباعها وانتصر الفونسو أسر أمه وتقلص دورها واستكانت حتى توفت فى ١١٣٠م.

والبحث يلقى الضوء على حكم الملكة تريزا ويركز إن حكمها كان له دور كبير فى المحافظة ومقاومة سيطرة مملكة قشتالة وليون وفى الوقت نفسه نجحت فى الدفاع عن كونتيتها ضد الهجمات الاسلامية ولم يكن حكمها سيئا كما صورته بعض المصادر التاريخية ويركز أنها حكمت فأجادت لأنها قد اكتسبت خبره فى أثناء حكم زوجها واستمرت فى السير على نفس سياسته ويتضح أنه هناك تشابه بين بحثه عن دونيا تريزا ولكن فى البحث الذى ألقى بمناسبة الذكرى السنوية لمعركة ساو ما مدى كان يركز على نقاط بهدف الوصول إلى الدفاع عن دونيا تريزا أذن فكانت قضيته هو ابراء دونيا تريزا من التهم أما هذا البحث فيستعرض تاريخ حكمها جملة.

1- Congressc Historico de Guimaraes

D.A. Afonso Henriques e a su epoca 1997 .

المؤتمر التاريخى لجويمارس عن دون الفونسو هنريكز وعصره وعقد هذا المؤتمر فى ١٩٩٧م.

القت فى هذا المؤتمر العديد من الأبحاث منها D. Tesrsa, Rainha de portugal

عن تريزا ملك البرتغال ويروى فيه تاريخ حكمها ويلقى المزيد من الضوء على فضلها فى حكم البرتغال- وسبق أن تعرضنا لأبحاث تتحدث عن دونيا تريزا- وأيضا بحث عن

As fronterias do Condado Portucalensa

والبحث يتكلم عن حدود كونتية البرتغال منذ أن استولى الملك فرديناند الأول (١٠٣٥-١٠٦٥م) عندما استولى على الأراضى ما بين الدويرة ومنديجو فى لوزيتانيا وأهمها بازو ولاميجو وقلمرية (١٠٥٧م- ١٠٦٤م) وكون منها كونتية البرتغال ثم يتكلم بالتفصيل عن حدودها آنذاك ويستعرض تغير هذه الحدود نتيجة للمد والجذب فى الحملات الاسلامية ثم يتكلم عن حدود الكونتية فى عهد هنرى البورجونى ومحاولاته لضم بعد المدن والقلاع الاسلامية ولكن انشغاله فى الحروب الأهلية جعلته يحاول ضم أراضى من مملكة قشتالة ويكتسب بعض الأقاليم، ثم نفس سياسة زوجته دونيا تريزا والتى تولت بعد وفاته ١١١٢م حتى ١١٢٨م الحديث عن حدود الكونتية فى عهد الفونسو هنريكز وكيف أنه قد ضم العديد من أراضى حتى تحويلها إلى مملكة عندما تلقب بلقب ملك ١١٣٩م بعد معركة اوريك.

والبحث الثالث عن

Dina Teresa mueher e governamte do Seculo XII

دونيا تريزا امرأة وحكومة فى القرن الثانى عشر وقد استعرضنا من قبل أبحاث عن دونيا تريزا.

Actas del congreso de historia de Carmona, Edad Media Sevilla 1998, pp. 499-538 .

العلاقات بين البرتغال وقشتالة أثناء العصور الوسطى.

ألقى البحث فى المؤتمر الأول لتاريخ قرمونة فى شبيلية ١٩٩٨م والجدير بالذكر أن البحث يركز على العلاقات فى القرن الثالث عشر خاصة وأن النصف الأول منها شهد علاقات مكثفة ومشاكل عديدة بين قشتالة والبرتغال وتدخل مملكة قشتالة فى شئون مملك البرتغال وعلى سبيل المثال عندما تدخلت فى النزاع بين الفونسو الثانى ملك البرتغال واخواته حسب وصية أبيه .

وعندما بدا التكالب من قشتالة والبرتغال على أراضى المسلمين فى النصف الأول من القرن الثالث عشر بدأ النزاعات حول حقوق الفتح لكل منهما فما دفع البابوية إلى إرسال مبعوث إلى كل من فرديناند الثالث ملك قشتالة والفونسو التاسع ملك ليون وسانشو الثانى ملك

البرتغال لأجل توحيد جهودهم وهجماتهم ضد المسلمين فى ١٢٢٦م وحدث النزاع أيضا عام ١٢٣٠م، ١٢٣١م حول حقوق الفتح فى أراضى المسلمين .

ومن الإشارات الهامة تدخل مملكة قشتالة فى الصراع والحرب الأهلية بين الملك سانشو الثانى وأخيه الثانى إلى مملكة قشتالة طالبا للمساعدة فى استرداد حكمه وتدخل جيش من قشتالة بقيادة الفونسو (العاشر) والذى فشل فى ذلك.

والجدير بالذكر أن هذه الفترة النصف الأول من القرن الثالث عشر كان عصر الفتوحات الكبرى بالنسبة لقشتالة والبرتغال حيث الأولى استولت على العديد من القلاع والمدن أهمها اشبلية وقرطبة، والبرتغال نجحت فى الوصول بحدودها إلى المحيط الاطلنطى حيث أصبحت حدودها المعروفة لنا الآن فى العصر الحديث.

احتلال البرتغاليين مدينة سبتة المغربية ٨١٨ ، ١٤١٥م مقدمات ودوافعه ونتائجه :

نشر هذا البحث للدكتور أمين توفيق الطيبى فى كتابه دراسات وبحوث فى تاريخ المغرب والأندلس.

الجزء الثانى تونس ١٩٩٧م من صفحة ٢٦١ إلى صفحة ٢٨٥ ، والبحث يبدأ بالحديث عن بداية مملكة البرتغال فى نبذه قصيرة فى مطلع القرن الخامس عشرة ، ثم يتحدث عن دوافع العدوان البرتغالى على مدينة سبتع ويقسمها إلى.

١- دوافع دينية صليبية.

٢- دوافع اقتصادية.

٣- دوافع سياسية.

٤- القرصنة.

٥- امجاد الفروسية.

ثم يتحدث عن الرواية البرتغالية عن حملة سبته ثم رواية صاحب (نشر المثامى) عن حملة سبتة ثم النتائج المباشرة لسقوط مدينة سبتة وجدير بالذكر أن البحث ممتع وإن كان قد اعتمد فيما يخص الجانب البرتغالى على مراجع وليست مصادر تاريخية برتغالية واعتمد على مصادر عربية والبحث يلقى الضوء على بداية البرتغال فى محاولة تكوين امبراطورية برتغالية والاستيلاء على سبتة كان بداية الامبرياليه البرتغالية آنذاك وقد غاص فى البحث عن أسباب هذه الحملة ونتائجها .

ثالثا: الدراسات التاريخية عامة عن شبه الجزيرة الايبرية أو دراسات تخص من ضمنها تاريخ البرتغال فى العصور الوسطى.

La Roconquista

Lomax: DW.

حركة الاسترداد

برشلونة ١٩٨٤

للباحث لوماكس . Barcelona 1984

وهذا المؤلف يتناول حركة الاسترداد من سنة ٧١١م إلى ١٤٩٢ م فى شبه الجزيرة الايبيرية أى شاملا إسبانيا والبرتغال وهو من الدراسات الجادة حيث يعتبر الأستاذ لوماكس من المتخصصين فى الدراسات التاريخية لشبه الجزيرة الايبرية وقد نشر هذا المؤلف باللغة الإنجليزية فى طبعته الأولى فى لندن سنة ١٩٧٨م وما تحت أيدينا هو الترجمة الاسبانية.

وجدير بالذكر أنه يشير إلى أن هذا الكتاب هو الوحيد الذى يتناول بعنوان حركة الاسترداد من سنة ٧١١ إلى ١٤٩٢م ونجد أن هذا الكتاب يتحدث عن حركة الاسترداد فى كل من أسبانيا والبرتغال وأنه قد تعرض للكثير والكثير من المعلومات التى تخص سقوط قواعد ومدن وقلاع الأندلس على يد البرتغاليين ونشير على سبيل المثال إلى بعض منها .

وحيث أن من الموضوعات العامة التى تعرض لها هى حملات خيرالدو سيمبافور Geraldo Sempavor (جرانده الجليقى) والذى تعتبر قصته شبيهة بقصة السيد الكمبيادور فى شرق الأندلس، فقد أشار إلى حملات خيرالدوا للاستيلاء على قواعد ومدن غرب الأندلس تحت رعاية ملكه ومؤسس مملكة البرتغال الفونسو هنريكز ١١٢٨م- ١١٨٥م وقد شرح تكتيكاته الحربية اعتمادا على رواية ابن صاحب الصلاة [١]. (ت ٥٤٩م- ١١٩٨م) ثم أشار إلى العديد من القلاع والمدن التى استولى عليها وخاصة يابرة Evora فى سنة ١١٦٦م / ٥٦١ هـ وقاصرش Caceres فى نفس العام وحصن منتجانش Montachez وحصن شيربه Sepra

---

١- أنظر كتابه (المن بالإمامة على المستضعفين فى الأرض)، تحقيق الدكتور عبد الهادى التازى، بيروت ١٩٦٤م، ص٣٧٣، وأيضًا ابن عذارى، البيان المغرب، القس الموحدى، نشر ويسى ميراندا، تطوان ١٩٦٠م، ص٧٨ .

وحصن جليمانيه ثم حصار بطليوس سنة ١١٦٩م والعديد من الإشارات فى صفحات مختلفة عن نشاطه (لايتسع المجال هنا لذكرها) .

ومن أهم الأحداث للغزوات البرتغالية أحداث الاستيلاء على شنترين وشنتره ولشبونه.

وأيضًا أحداث حملات البرتغاليين ضد قصر أبى دانس Alcacer do Sal من عهد الفونسو هنريكز فى ١١٥٨م فى واضع مختلفة حتى استيلاء البرتغاليين عليها فى ٦١٤م / ١٢١٧م.

ثم الحملات وسقوط المدن والقلاع حتى الوصول بحدود البرتغال إلى المحيط الأطلنطى بالاستيلاء على العديد أهمها شلب وقارو.

ولايتسع المجال هنا لذكر الكثير من الحملات وسقوط قواعد غرب الأندلس على أيدى البرتغاليين.

والجدير بالذكر أن هذا المؤلف والذى يشمل على ٢٧٠ صفحة هى دراسة ممتعة وإن كانت دراسة مختصرة لطول الفترة الزمنية إلا إنها دراسجة وثائقية اعتمد فيها الباحث على أمهات ومصادر تاريخ شبه الجزيرة الايبيرية بشقيها المسيحى والإسلامى وبخاصة المصادر الإسلامية وقد تعرض لدراسة موجزة عن هذه المصادر من ص١٤-١٩ وإن كان المامه بسقوط المدن والقلاع الإسلامية شابها بعض الخلط حيث أن الإطلاع على كل ما يخص ذلك يحتاج إلى مجلدات ومجهودات ضخمة.

ولكن يعتبر هذا المؤلف وجبه خفيفة بعيدة عن الملل بعدم الخوض فى التفاصيل الدقيقة والروايات المتعددة وأحداثها لسقوط المدن ولذلك نجد أنه قد أراح القارى بذكر الأحداث المؤكدة من خلال المصادر الموثوقة دون الخوض فى العديد من الخلافات بين هذه المصادر .

ومن المراجع التى تناولت شبه الجزيرة الإيبيرية (أسبانيا والبرتغال) .
La Peninsula en la edad media.

للمؤرخ . Martin : Jose, L Barcelona 1978

شبه الجزيرة فى العصور الوسطى

وهو مؤلف ضخم يحتوى على ٧٦٩ صفحة.

ويبدأ تاريخه لشبه الجزيرة من عهد القوط الغربيين ثم شبه الجزيرة منذ عهد المسلمين ، من العهد الباكر فى القرون من الثامن إلى الحادى عشر ، يتناول فيها الفتح الإسلامى، واستقرار

المسلمين ثم الممالك والكونتيات فى شمال اسبانيا مرورا بالخلافة الأموية ثم عهد دول الطوائف ثم التركيز على الممالك الاسبانية والبرتغال بشكل وافى وهو تاريخ شامل لشبه الجزيرة سياسيا وحضاريا .

والبرتغال نالت حظ كبير من الاهتمام لدى الباحث لأنها إحدى الممالك الهامة والتى سادت فى غرب شبه الجزيرة.

ويتعرض لبداية مملكة الربتغال وكيف نشأة كونتيه على يد فرديناند الأول (١٠٣٥-١٠٦٥م) باستيلائه على بازو ولاميجو وقلمرية وكون من هذه كونتيه وعاصمتها قلمرية مرورا بالكونتيه وأحداثها فى عهد الفونسو السادس ثم هنرى البورجونى ثم دونيا تريزا.

وركز كثيرا على الفونسو هنريكز مؤسس المملكة وأشهر ملوكها ثم الحديث عن المشكلات الداخلية فى مملكة البرتغال وامتداد حدودها ثم الحديث عن الأوضاع الداخلية ومشاكل البرتغاليين فى القرن الثالث عشر واستيلائهم على المدن والقلاع حتى وصولها إلى الشكل الحالى.

ومن كتابته الهامة عن تاريخ البرتغال فى عهد بدرو الأول ملك البرتغال ١٣٥٧-١٣٧٦م من خلال استعراض أحوال المملكة وأوضاعها وسياستها الخارجية مع الممالك الأخرى.

والجدير بالذكر أن خوسيه لويس مارتين من الأساتذة المتخصصين والمتعمقين فى دراسة شبه الجزيرة الايبيرية فى العصور الوسطى وله دراسات عديده فى هذا المجال.

وبالنسبة لهذا المؤلف اعتمد بشكل كبير على المصادر والوثائق الخاصة بتاريخ شبه الجزيرة وبخاصة مصادر ووثائق التاريخ البرتغالى وقد حاول إحداث توازن فى استعراض للقوى والممالك فى شبه الجزيرة واستطاع وهو الأسبانى أن يكتب بحياد وأمانة عن تاريخ البرتغال ونجد أنه مؤمن بالحياد التاريخى من خلال ثنايا مؤلفه.

وأورد لنا فى بداية مؤلفه عن أهم المصادر والمراجع لكل فرع من فروع التاريخ سواء أكان تاريخا اقتصاديا و سياسيًا حتى مصادر ومراجع التاريخ الاجتماعى والاقتصادى وأيضا الخاصة بالأدب والفنون ومن أهمها أيضا مصادر التاريخ الإسلامى .

حقيقة أن دراسته تعتبر دراسة موسوعيه ولكن دراسة جادة تتميز بشمولية تاريخ شبه

الجزيرة الايبرية، أى غطت كل تاريخها السياسى والحضارى ولكنه مثل الدراسات الموسوعية تفتقر فى بعض الأحيان إلى العمق والتركيز.

ولكن من المزايا الهامة أنه فى نهاية كل فصل من فصوله العديده جدا يضع قائمة بكثير من المصادر والمراجع الخاصة بهذا الفصل .

Islao E Arbismo Na Peninsula Iberia
A ctas Do XI Gongresso da Uniao Europela A rabistas E Islamoloys Evora - Faro - Silves 9 set - 6 out 1982 .
editades por Adel sidarus ,Evora 1986, universdade de Evora

العرب والإسلام فى شبه الجزيرة الايبيرية

أعمال المؤتمر الحادى عشر للاتحاد الزوربى للمتخصصين فى الدراسات العربية والإسلامية .

ويابره - فلارو- شلب من ٢٩ سبتمبر إلى ٦ أكتوبر ١٩٨٢ .

وقد قام بإعداد هذه الأبحاث للنشر الأستاذ الدكتور عادل يوسف سيداروس جامعة يابره ١٩٨٦م.

والجدير بالذكر أن هذا المؤتمر ضم بين دفتيه العديد من الأبحاث والتى قام بنشرها فى هذا المجلد الاستاذ الدكتور عادل سداروس وهو أستاذ مصرى ويشغل مركز أستاذ الدراسات العربية فى جامعة يابرة.

ونجد أن هذه الأبحاث عديدة التى تخص تاريخ وحضارة شبه الجزيرة ويغلب على الأبحاث النواحى الحضارية التى تعتبر قاسم مشترك لكل قاطنى شبه الجزيرة الايبيرية، ضمت أبحاث مختلفة بلغات برتغالية وأسبانية وفرنسية وإنجليزية .

ونجد منها على سبيل المثال :

١- Montanchez y la Extramadura Espanola duarnte la dominacion Arabes Salvador Gomez Nagales.

للباحث

منتجانش والاكستر امادورا الاسبانية أثناء حكم العرب كانت تابعة للبرتغال فى العصور الوسطى.

وهو يتحدث عن كيف أن الباحثين اهتموا بالقلاع والمدن التى تشكل سلسلة دفاع فى مواجهة بين المسيحيين المسلمين مثل قرطبة وغرناطه وأشبيليه وأخرى . ويتحدث عن مدينته منتجاتش وكيف أنها إحدى القواعد الاستراتيجية الهامة اعترف بها كل المؤرخين وفى نص: أبراج بلاباس Torres Balbas بأن منتجاتش تعتبر كبرج أمامى لبطليموس ثم يتكلم عن أهميتها الاسنراتيجية ووصفها أثناء الحكم الاسلامى والمصادر التى تعرضت لهذه المدينة ثم الحديث عن سكانها وعن جوانبها والبحث يشمل من ص١٦٣- إلى ص١٨٠ من صفحات المجلد.

وهناك بحث آخر باللغة البرتغاليه.

2- Mocarabes em territorio Portugues nos seculos X e XI Lasa : A ntonio.

المستعربين فى الأراضى البرتغالية فى القروون العاشر والحادى عشر.

ويتعرض لدراسة المستعربين من خلال نص لمؤرخ من القرن السابع عشر وهو الراهب Ber-Bernardo de Brito فى كتابه Cronica de cister قد أورد بعض الوثائق من دير Lorvao والتى يتحدث عن العلاقات بين رهبان ذلك الدير والمسلمين الذين استولوا على تلك المناطق آنذاك.

ويتعرض من خلال نصوص هذه الوثائق لأوضاع المستعربين ويتناول ذلك من ص٢٧٣-٢٩٠ .

وهناك بحث ثالث باللغة الفرنسية

3- Nates sur les E changes Culturels entre Al Anadlus Et. L, Orient Musul-man au Bos Moyen Age .

للباحث Rachel Arte

ملاحظات حول التأثيرات الحضارية بين الأندلس والشرق الإسلامى فى العصور الوسطى ويتحدث عن خطوط الاتصال الحضارية التى واصلها المسلمين فى أسبانيا مع الشرق الإسلامى.

والتأثيرات الحجازية ثم الشامية فى الأندلس وعن بعض العلماء الذين حضروا إلى الأندلس والوفود الأندلسية إلى الاسكندرية والقاهرة وبلاد الشام ويتحدث كمثال أيضا عن ابن البيطار والذى توجه من الأندلس إلى شمال أفريقيا وإلى الشرق فى ٦١٧هـ - ١٢٢٠م

وكيف استطاع ذلك من خلال مؤلفه وهو رائد علم النبات حيث تجول- كما أشرنا- فى المغرب ومصر والشام وجمع الكثير من المعلومات الخاصة بالحشائش والنباتات واجتمع هناك بعلماء التاريخ الطبيعى وأخذ منهم الكثير من المعرفة النباتية وتحقق من خصائصها .

وتحدث عن التأثيرات فى عهد الموحدين وضرب العديد من الاشارات والأمثلة لعلماء ولايتسع المجال لذكرهم .

- بالإضافة إلى العديد من الأبحاث والتى تتضمن الكثير من الموضوعات الخاصة بحضارة شبه الجزيرة ومنها البرتغال والتأثيرات بينها وبين الحضارة الإسلامية.

Niebla Musulmana

Siglos VIII - XIII

Fatime Raldan castro , Madrid , 1993 .

لبلة الإسلامية فى القرون من الثامن إلى الثالث عشر لفاتيما رولدان كاستروا .

وهى رسالة دكتوراه نشرت ١٩٩٣ .

وجدير بالذكر أن مدينة لبلة تشمل إقليم الحدود بين اسبانيا والبرتغال وكانت مسرحا مشتركا لأحداث عديدة تتناول تاريخ غزوات وحركة الاسترداد البرتغالية وتعتبر أهم الدراسات لتوضيح الفترة الغامضة فى حركة الاسترداد البرتغالية فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى وكانت مثار الأحداث عندما اشتد الصراع بين ابن هود وابن الأحمر فإن قاض مدينة لبله شعيب بين محمد بن محفوظ قد ثار ودعى لنفسه وتسمى بالمعتصم وقامت مملكة ابن محفوظ وعاصمتها لبله ويمتد هذا الاقليم من رأس القديس فيكنت San Vicente إلى الغرب حتى مصب نهر الوادى الكبير ويحده من الشمال سيرا مورينا ومن الجنوب البحر واقليمها الحالى يشمل ولبه علاوة على شربه Serpa ومورا فى الالنتجو مع كل الغرب وهى مدن فارو طبيرة ولولى Loule وكاسترو ومارين وبهذا يتضح أن منطقة غزوات البرتغاليين هى أملاك تابعة لمملكة ابن محفوظ فى لبلة .

واستمر ابن محفوظ فى حكمها حتى سقوطها فى ١٢٦٢م بعد حصار القوات القشتالية وكنت أراضيها مثار نزاع بين البرتغال وقشتالة مما دفع البابوية للتدخل لحل النزاعات بينهما وتأكيد ذلك بزواج الفونسو الثالث ملك البرتغال لدونيا بياتريث ابنة الفونسو العاشر.

وهذه دراسة علمية جادة تمتاز بالعمق والأصالة وتلقى الضوء على هذا الاقليم عاصمته لبله وبشكل وافر ولذلك فهى جزء من تاريخ البرتغال وتاريخ أحداثه السياسية .

Las ordenes Militares en la Peninsula iberica , duarnte la edad Media Salamaca 1976 .

المؤلف Lomax D.W:

جماعات الرهبان الفرسان فى شبه الجزيرة الايبرية خلال العصور الوسطى.

يعتبر من أهم المراجع الخاصة بجماعات الرهبان اللفرسان سواء كانت جماعتى الاسبتارية والدواية ومراكزها فى اسبانيا والبرتغال والجماعات الوطنية وأهمها جماعة القديس شانت ياقب والقنطرة وقلعة رياح ويابرة.

ويعتبر مؤلفه دراسة وثائقية بليوجرافية للوثائق والأرشيفات والكتابات عن موضوع جماعات الرهبان حيث مثلت هذه الجماعات ظاهرة هامة جدا فى تاريخ اسبانيا والبرتغال فأراد المؤرخ لوماكس وضع دليل لكل جماعة يضم وثائقها وأرشيفاتها ومصادرها ومراجعها .

وأشار فى بداية بحثية عن جماعات الرهبان عامة سواء فى الشرق أ الغرب وفكرة نشأتها ثم تكلم عن الجماعات فى اسبانيا والبرتغال وتحدث عن مصادرها الهامة والتى تنقسم إلى ستة أقسام:

١- المصادر القصصية .

٢- مصادر وثائقية فى الأرشيف التاريخى الوطنى.

٣- أرشيفات أخرى.

٤- مجموعات الوثائق المطبوعة.

٥- مصادر قانونية.

٦- مصادر أثرية .

ويشير فى النقطة الثانية إلى جماعة الاسبتارية فى شبه الجزيرة ، ويقسم مصادرها ومراجعها إلى سبعة أقسام، مراجعها ومصادرها جماعة الاسبتارية:

١ الأرشيفات:

يتحدث عن الأرشيفات المختلفة- للمدن والكنائس والأديرة ومنها على سبيل المثال كنيسة القديس خوان فى سرقسطة وأرشيفات بامبلونا Pamplone وتطيلة Tudela وأرشيفات

كتالونيا فى البرتغال وقد وضع دليل لهذا الأرشيف والعديد من الأرشيفات علمًا بأنها لاتضم فقط وثائق خاصة بجماعة الاسبتارية بل تخص مختلف المجالات .

٢- مجموعات الوثائق المطبوعة:

وأول مجموعة هى وثائق الاسبتارية فى اسبانيا والمنشورة فى سنة ١٧٩٨م على يد عالم الأرشيفات خوان أنطونيو فرنان.

Juan A ntonio

وأيضا وثائق بافار التى نشرها لارجويتا Larrgueta والتى تخص سنوات قبل ١٣٠٠م، وفى البرتغال نجد أن ساريبفا Cunha Saraiva قد نشر كثيراً من وثائق العصور الوسطى الخاص بالاسبتارية .

٣- تاريخ جماعة الاسبتارية فى العصور الوسطى:

ويشير إلى العديد من المؤلفات وخاصة مؤلفات الباحثان وهما المتخصصان فى تاريخ جماعات الرهبان الفرسان الاسبتارية والداوية.

1- Garcia Larragueta

2 Ledesma Rubio.

٤- القانون والحياة الداخلية :

ويشير إلى بعض الدراسات التى تتناول هذه الموضوعات من خلال الكتابات العامة عن هذه الجماعة وخاصة كتابات المؤرخ جارثيا لارجويتا .

٥- مقدمى الأديرة والتنظيمات الديرية:

وتنقسم الإدارة لجماعة الاسبتارية بين كتالونيا ونافار وأراجون وقشتالة والبرتغال ، وهناك دراسات لكل قسم من هذه الأقسام وكل هذه الدراسات من خلال الوثائق لهذه الجماعة فى الأديرة والكنائس.

ومن المؤرخين الذين تعرضوا لهذه الموضوعات من البرتغاليين وأهمه :
Figueirede وكان كتابه هو Santa Catharina وأيضًا المؤرخ البرتغالى الشهير A Zevedo وأيضا Alvieres Pereire , Dailliez , Oliveira Martins

٦- العلاقات مع المؤسسات الأخرى:

ويتناول العلاقات بين الاسبتارية والمؤسسات الأخرى كالجماعات الأخرى والمؤسسات الحكومية والدينية كالكنائس والأنظمة الديرية وهناك دراسات على سبيل المثال للمؤرخين Gonzalez , Gorosterratza, Fory

٧ - العلوم والآداب والفنون :

عامة فهذه الدراسات مثل الجماعة الأخرى فى نشاطها الثقافى وذلك من خلال بعض المؤلفات وأهمها التى وضعت تحت إشراف الفونسو العاشر (العالم) ملك قشتالة ١٢٥٢-١٢٨٤م والذى اهتم بالثقافة والعلوم والفنون اهتمامًا كبيراً وتعرض فيما تعرض لتأثير هذه الجماعات ومنها الاسبتارية فى المجالات السابقة، بالإضافة إلى الأعمال المختلفة للمؤرخين وعلى سبيل المثال Dominguez Bordone ، ودراسته عن الرسومات المنمنمة فى مخطوط هردا Hereda.

مصادر ومراجع الداوية:

١- الأرشيفات:

بالنسبة للأبحاث التاريخية عن جماعة الداوية فنجد أن وثائق هذه الجماعة توجد مع وثائق الجماعات الأخرى الموجودة فى الأرشيفات المختلفة، والدراسات عن هذه الأرشيفات والتى قام بها Dessubre , Dailiez ومن الأرشيفات فى Vilar Bonet والتى نشرت بعناية Miret Sanz وبرشلونة ولشبونة وأرشيفات المراكز القديمة لهذه الجماعة .

٢- المصادر المطبوعة:

وأهم مجموعة للوثائق الخاصة بجماعة الداوية المنشورة كملاحق فى رسال الدكتورة للباحث فورى Forey وأيضا المجموعة المنشورة على يد Delaville Le Roulx ووثائق Garden y Barbem المطبوعة على يد Miret y Sanz والواذ التى قام بدراستها ميريت Miret للجماعة فى كتالونيا .

ومجموعة الوثائق البرتغالية التى نشرها كل من : Mur و Ferreira و Javierre و Cates و Ortega Gonzalez .

٣- تاريخ الداوية فى العصور الوسطى فى شبه الجزيرة:

هناك دراسات تشمل ضمن موضوعاتها عن الداوية مثل Zapoter قام بدراسة عن

جماعات الرهبان السترشية وتعرض من خلالها لجماعة الداوية وأيضًا Ferriere تعرض لجماعة المسيح وتعرض من خلالها لدراسته عن الداوية وأسلافهم فى البرتغال وأيضا دراسات ل Ruiz Perez و Bruguero بجانب دراسات عامة عن تاريخ الداوية العام لـ Prits و Delisle وأيضًا كتابات فورى Forey من أفضل ما كتب عن جماعة الداوية فى شبه الجزيرة الايبيرية.

وعن سقوط الداوية وانحلالها نجد دراسات أهمها لـ Raymouard وأيضًا دراسات للمؤرخين Prutz و Finke و Foy Liserand إنحلالها فى شبه الجزيرة دراسات Miret y Sanz و Mercate و Fory .

وفى البرتغال نجد Javierre و Benavides و Sans Trave.

٤- القوانين والحياة الداخلية :

قوانين الداوية نشرت على يد Curzon أما بالنسبة للحياة الداخلية نجد بحث لـ Meli-ville بالإضافة إلى كتابات المؤرخين عامة عن جماعة الداوية ونجد أيضًا Delaville de Roulix نشر إحدى الروايات (التراجم) الكتالونية للقوانين وأيضًا ل Forey دراسته عن حياة الجماعة فى التاج الأراجونى.

أما بالنسبة للبرتغال فنجد دراسات لكل من Javierre و Sans Travo.

٥- مقدمى الجماعة والتنظيمات الديرية والقطاعات:

ونجد أن فورى Fory قد قام بدراسته كاملة عن الأديرة والتنظيمات الخاصة بالداوية فى شبه الجزيرة وكذلك دراسة قيمة لميريت وسانز Miret y Sanz ودراسات ل Delisleو Piquet و Vilaı Bont.

٦- العلاقات مع المؤسسات الأخرى:

ومن المؤرخين الذين تعرضوا لعلاقة الداوية بالمؤسسات الأخرى منهم Forey وفى اسبانيا والبرتغال Torres y Topia و Gonzalez و Floriano و enavides

٧- العلوم والآداب والفنون:

والواقع ما يخص هذه الموضوعات نجدها فى المؤلفات العامة عن جماعة الداوية ، وقد ركز فورى Forey على هذه الموضوعات ودراسته لبعض كنائس الداوي من ناحية فنونها ورسوماتها وفى العديد من المؤلفات فى اسبانيا والبرتغال بالإضافة إلى التواريخ العام للفنون.

ثم تعرض الباحث إلى تقسميات جماعات الرهبان الفرسان الوطنية وهى:

١- سانتا ماريا التوتونية:

Santa Maria d los Ttonices.

٢- جماعة القديس شانت ياقى

Orcen de Santiago

٣- جماعة قلقة رياح

Orden de calatrava

٤- جماعة القنطرة

Orden de Alcantara

٥- جماة مونتسية

Ordn de Monteesa

٦- جماعة المسيح

Orden de Cristo

٧- جماعات رهبان فرسان اسبانية أخرى

Otras ordenes Hispanicas

٨- جماعات رهبان فرسان مفترضة:

Las Supuestas ordenes Militares

وهذه الجماعات وخاصة القنطرة وقلقة رياح والقديس ياقب كانت لها مراكز رئيسية فى البرتغال وفى نسيج من تاريخ البرتغال وأحداثها .

وهناك جماعة (أبيز) Aviz وهى جماعة برتغالية نشأت فى مدينة يابرة واتخذت فى ١٢١٢ اسم أبيز.

والجدير بالذكر أن هذا المؤلف بيلوجرافيا لجماعات الرهبان الفرسان عامة فى شبه الجزيرة الايبيرية فلم يترك شاردة ولاواردة عن الدراسات حول هذه الجماعات وقد أورد فى نهاية مؤلفاته قائمة بحوالى ٩١٨ ما بين مصادر ومرجع ومقالات وأبحاث مختلفة تتعرض لجماعات الرهبان الفرسان بموضوعاتها المختلفة والجدير بالذكر بها العديد من المؤلفات البرتغالية .

La Peninsula Iberica y El Mediterraneo centro ocidental Siglos XII- XV. Barcelona 98 .

شبه الجزيرة الايبرية والبحر المتوسط - المركز الغربى فى القرون الثانى عشر حتى الخامس عشر.

وهو يشمل عدة أبحاث منها على سبيل المثال

La Reconquista de las vias Meritimas

للباحث Alvaro Santamaria

حركة الاسترداد للبلاد البحرية:

يتحدث فى هذا البحث عن الاقتصاد فى الغرب المسيحى ويشير إلى نشاط حرك الاسترداد فى حوض البحر المتوسط الغربى وشن الحروب الصليبية ويهمنا ما يذكره عن البرتغال . حيث يشير إلى البرتغاليين والملاحين الشماليين ويتحدث عن البحرية البرتغالية بداية من من خلال خطابات تدل على نشاطهم البحرى والخطاب الأول بتاريخ ١ سبتمبر ١٣٠٣ من فرنسيسكوا مرسير Francesch Marsser (القنصل الكتالونى فى مالطة واستولى على مجموعة من الأخشاب ونهبها وفى الخطاب الثانى مؤرخ فى مايورقه ٢٤ سبتمبر فى نفس العام أن النائب فى الجزيرة أخبر دون دينيس ملك البرتغال عن أوضاع هناك من أجل مد نفوذ البرتغال ويواصل الحديث عن اهتمامات البرتغاليين خارج أراضيهم ويشير إلى بداية القرن الرابع عشر والسياسة البرتغالية للملك دينيس فى شمال أفريقيا والذى نظم إحدى الفرق العسكرية الخاصة لأجل القتال ضد المسلمين فى أسبانيا وأفريقيا والإشارة إلى حملاته فى أعوام ١٣٢١-١٣٢٤-١٣٣٥ .

وعن نشاط البرتغاليين التجارى فى ١٣٣٦ و ١٣٧١ و ١٣٩٠ م والسفارات التجارية غرب البحر المتوسط وهناك إشارات عديدة عن النشاط التجارى البرتغالى وعلاقته بالنشاط القشتالى الأراجونى وعلاقته بالنشاط البيزى والجنوى.

والجدير بالذكر أن البحث يركز عن النشاط التجارى لكل من أراجونى وقشتالة والبرتغال فى الحوض الغربى للبحر الأبيض المتوسط ولكن تسميته للبحث بحركة الاسترداد للبلاد البحرية فإنها تسميه غير دقيقة لأن حركة الاسترداد أطلقت على الحروب التى تمت بين الاسبان والبرتغاليين ضد المسلمين فى داخل شبه الجزيرة الايبرية.

ولكن خارجها لاينطبق عليها هذا المفهوم وإن كان ينطبق فقط على ماذكر من حملات على أراضى وموانئ مملكة غرناطة والتى كانت تحت حكم المسلمين آنذاك.

والبحث يتصف بالعمق وقد اعتمد فيه على عدد كبير جداً من الوثائق والمصادر والمراجع ما يزيد على ٤٠٠ ما بين وثيقة ومصدر ومرجع لبحث يتناول من ص٤١ - ١١٥ .

Muslim Spain and Portugal: Apolitica History of Al Andalus by Hugh Keb-bedy Hardover 1997 .

ويقع المؤلف فى ٣٢٠ صفحة يتحدث عن تاريخ المسلمين فى الأندلس وهو من المؤلفات العامة عن التاريخ السياسى للمسلمين فى العصور الوسطى ويستعرض من خلال ذلك سياسة المسلمين سواء مع القوى الاسلامية أو القوى المسيحية فى اسبانيا والبرتغال ويحاول القاء الضوء على مصادر المسلمين فى الأندلس.

Medieval Iberia : Readinga From Chritian , Muslim, and Hewish Soures, By o livia Remie Constable University of Pennsylvaina Press, 1997 .

تاريخ شبه الجزيرة الايبيرية قراءة من المصادر المسيحية والاسلامية واليهودية، والكتاب يشمل ٤٤٨ صفحة ونشرة جامعة بلنسلفانيا ١٩٩٧م.

ولأجل هذا التاريخ مشترك بين المسلمين المسيحيين واليهود لمدة ثمان قرون كان تاريخها خليطًا من السياسة والدين والثقافة وللأدب طوال الثمانية قرون يحاول المؤلف الغوص والتحليل فى موضوعات كتابه وخاصة الجوانب الحضارية المتأثرة بهذه العناصر وكل عنصر وما أدلى به من هذه الثقافة من خلال المصادر بكل منهم ويعتمد على المؤلفات العربية والقشتالية واللاتينية والكتالونية والبرتغالية.

وبالطبع البرتغال جزء من مسيحى شبه الجزيرة.

L'espace Rural ou Moyen Age : portugal, Espagne , Franca XII e- XIV e Siecle Boissellier Stephane Presses Universitaites de Rennes, 2002 .

أراضى الفلاحين فى العصور الوسطى البرتغال واسبانيا وفرنسا

والبحث يحتوى عبى ٢٣٠ صفحة وهو باللغة الفرنسية ويتحدث عن أودية وقرى البرتغال وأودية وقرى أسبانيا وكذلك فرنسا، ويتحدث أيضًا فى كل منهما عن الفلاحين ونظامهم ومعيشتهم ، ثم يتناول تاريخ البرتغال حتى ١٣٨٥م، وتاريخ اسبانيا من ٧١١-١٥١٦م وتاريخ فرنسا فى الفترة من ٩٨٧م إلى ١٥١٥م .

رابعا: قائمة ببعض المؤلفات التاريخية عن البرتغال فى العصور الوسيطى:

1- Balaro , Mihely otros:

Aidado Medoa no Ocident dos Barbos ao Renascimento Lisboa 1997 .

2- Birminghan, David: historia de Portugal Paperbuck 1995 .

3- Bloch, Marc, Asociedad Feudal Lisboa 1982 .

4- Broun Beter:

Rscensao do Cristianismo No ocidente Lisboa 1999 .

5- Cocheril , Maur : Les gnfantes teresa , Sancha, Mafalola et lorde de Citeaux au portugal Coimbra Faculdade Letras de Universidade 1978 .

6- Duby , Georges:

Astres ordens ou Imaginario do Feudalismo Ed Estompa 1992 .

7- Fourquin , Guy : Historia econmica da ocidente medieval Lisboa 1981 .

8- Guerreau , Alaim: ofeudalismo um Horizonte teorico Lisboa 1980 .

9- Krus Luis:

Aconcepaco Nobilirquica do espaco Iberico , Geografia dos Livros de Lisboa 1994 .

10- Krus , Luis: Passaado Memoria e poder na Sociedade Medieval Portuguese, Estudos Redonde Patrimonia Historica 1994 .

11- Leoff , Sacques:

Acivilizacao do Ocidente Medieval .2 val, Lisboa . Ed. Estampa 1983-1984 .

Para um novo conceito de idade Media tempo Trabalho Cultura no ocidente Lisboa Ed. Estampa 1980 .

- O homem Medieval .

12- Lot, Ferdinand . ofim do Idade Media Lisboa 1980 .

13- Oliveira, Manuel, Alves: Amao de Rainha D. Teressa Guimaraes,Centro Juvenil de S. gose 1980 .

14- Real , manuel luis :(Oprojecto da Catedral de Braga nos Rinais de Se-

culo XI e as origens do Romanico Portugues).
in actas do Congresso internacional do IX Centernario da dedicacao da de-
dicacao de Se de Brago, vol 1 . Universidade Catolica 1990, pp.435-512 .
15- Saraiva, Antonio Jose: Apica Medieval Portuguesa: zed , Losboa Instuto
de cultura e lingue Portuguesa (Col Biblioteca Breve m 29-1991 .
16- Soares, Torquato de Sousa:
O governo de Portugal pelo conde D. Henrique de Borgonha : Auas relacoes
com as Monarquias Leonesa - Castelhana e Aragonesa Revista Portuguesa
de Historia 14, 1974 , pp. 365-396 .

المحتويات

رقم الإيداع ٢٠٤٨١ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولى L.S.B.N. 977 - 322 - 200 - 4

مطبعة صحوة

٧ شارع اسماعيل رمضان - الكوم الأخضر- فيصل

تليفون وفاكس / ٣٨٧١٦٩٣ - ٠١٠١٠٠٩٦٧٨

Estudios sobre Historia de

España y portugal en la edad Media

Dr. Mohamed Mahmoud El nashar